

الجزء الخامس (الامام الحسين سيد الشهداء «ع»)

فهرس إجمالى

كلمة المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السّلام ٧

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام الحسين عليه السّلام فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصيته عليه السّلام ٢٥

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيته عليه السّلام ٣٧

الباب الثانى:

الفصل الأول: نشأة الإمام الحسين عليه السّلام ٥١

الفصل الثانى: مراحل حياة الإمام الحسين عليه السّلام ٥٧

الفصل الثالث: الإمام الحسين عليه السّلام من الولادة إلى الامامة ٥٩

الباب الثالث:

الفصل الأول: عصر الإمام الحسين عليه السّلام ٩١

الفصل الثانى: مواقف و إنجازات الإمام عليه السّلام ١١١

الفصل الثالث: نتائج الثورة الحسينية ٢٠٧

الفصل الرابع: من تراث الإمام الحسين عليه السّلام ٢١٣

ص:٧

[مقدمة المجمع]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداة لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و اله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الإنسان و زوّده بعنصرى العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحقّ و يميّزه عن الباطل ، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميّز حجّة له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرفه الغاية التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بيّن لنا عللها و أسبابها من جهة، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهة أخرى.

قال تعالى:

ص: ٨

قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى [الأنعام (٦): ٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقرة (٢): ٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الأحزاب (٣٣): ٤].

وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران (٣): ١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس (١٠): ٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبا (٣٤): ٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص (٢٨): ٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهداية . و هدايته هى الهداية الحقيقية، و ه و الذى يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحقّ القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدركها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله في فطرة الإنسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمة التعرف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** [الذاريات (٥١): ٥٦].

و حيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، إذ كانت المعرفة و العبادة طريقا منحصرًا و هدفًا و غايةً موصلةً إلى قمة الكمال.

و بعد أن زوّد الله الإنسان بطاقتي الغضب و الشهوة ليحقّق له و قود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطرة الغضب و الشهوة و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما. فمن هنا احتاج الإنسان - بالإضافة إلى عقله و سائر

ص:٩

أدوات المعرفة - الى ما يضمن له سلامة البصيرة و الرؤية؛ كي تتمّ عليه الحجّة، و تكمل نعمة الهداية، و تتوفر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير و السعادة، أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّة الهداية الربّانية أن يسند عقل الإنسان عن طريق الوحي الإلهي، و من خلال الهداء الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد، و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة و إعطاء الإرشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون، و لم يترك الله عباده مهمليين دون حجة هادية و علم مرشد و نور مضيء، كما أفصحت نصوص الوحي - مؤيدةً لدلائل العقل - بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجة، فالحجة قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، و لو لم يبق في الأرض إلّا اثنان؛ لكان أحدهما الحجّة. و صرّح القرآن - بشكل لا يقبل الريب - قائلاً:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد (١٣): ٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداء المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، و التي تتلخّص في:

١- تلقّي الوحي بشكل كامل و استيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة.

و هذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأنًا من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً: **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** [الانعام (٦): ١٢٤] و **اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ** [آل عمران (٣): ١٧٩].

ص:١٠

٢- إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية و لمن ارسلوا إليه، و يتوقّف الإبلاغ على الكفاءة التامة التي تتمثّل في «الاستيعاب و الإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة و أهدافها و متطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ و الانحراف معًا، قال تعالى: **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُخَكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** [البقرة (٢): ٢١٣].

٣- تكوين أمة مؤمنة بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدع م القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها في الحياة، وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمة مستخدمة عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى : **يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** [الجمعة (٦٢): ٢] و التزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان . و تتطلب التربية القدوة الصالحة التي تتمتع بكل عناصر الكمال، كما قال تعالى: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** [الأحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف و الضياع في الفترة المقررة لها، و هذه المهمة أيضا تتطلب الكفاءة العلمية و النفسية . و التي تسمى العصمة.

٥- العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية و تثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشرية و ذلك بتنفيذ الأطروحة الربانية، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيان سياسي يتولّى إدارة شؤون الأمة على أساس الرسالة الربانية للبشرية، و يتطلب التنفيذ قيادة حكيمة، و شجاعة فائقة، و صمودا كبيرا، و معرفة تامة بالنفوس و طبقات المجتمع و التيارات الفكرية و السياسية و الاجتماعية و قوانين الإدارة و التربية و سنن الحياة، و نلخصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية، هذا فضلا عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة

ص: ١١

الدينية من كلّ سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثّر تأثيرا سلبيا على مسيرة القيادة و انقياد الأمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، و اقتحموا سبيل التربية الشاق، و تحمّلوا في سبيل أداء المهام الرسالية كلّ صعب، و قدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدمه الإنسان ان المتفاني من أجل مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظة، و لم يتلکأوا طرفه عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و حمّله الأمانة الكبرى و مسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طا لباً منه تحقيق أهدافها . و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) في هذا الطريق الوعر خطوات مدهشة، و حقّق في أقصر فترة زمنية أكبر نتاج ممكن في حساب الدعوات التغييرية و الرسالات الثورية، و كانت حصيلة جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي:

١- تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين أمة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأ، و بالرسول قائدا، و بالشرعية قانونا للحياة.

٤- تأسيس دولة إسلامية و كيان سياسيّ يحمل لواء الإسلام و يطبّق شريعة السماء .

٥- تقديم الوجه المشرق للقيادة الربانية الحكيمة المتمثلة في قيادته (صلّى الله عليه و اله).

و لتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضروري:

أ- أن تستمر القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمر عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوة حسنة في الخلق و السلوك كالرسول (صلى الله عليه و اله)، يستوعب الرسالة و يجسدها في كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهي يحتم على الرسول (صلى الله عليه و اله) إعداد الصفوة من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلم مقاليد الحركة النبوية العظيمة و الهداية الربانية الخالدة بأمر من الله سبحانه و صيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تر بية الأجيال على قيم و مفاهيم الشريعة المباركة التي تولوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الرباني في ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه و اله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتهم بهما لن تضلّوا: كتاب الله و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض».

و كان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرفهم النبي الأكرم (صلى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى لقيادة الأمة من بعده.

إن سيرة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل المسيرة الواقعية للإسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه و اله) و دراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الأمة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تنضال بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه و اله)،

فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الأمة و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرساليّ للشريعة و لحركة الرسول (صلى الله عليه و اله) و ثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتجّ كم في سلوك القيادة و الأمة جمعاء.

و تبلورت حياة الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم (صلى الله عليه و اله) و انفتاح الأمة عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهداية و مصابيح لإنارة درب السالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله و على مرضاته، و المستقرّين في أمر الله، و التأمين في محبته، و الذاتيين في الشوق إليه، و السابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعة الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء؛ حتّى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ فيها، حتّى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة و يدّعوا دراستها بشكل كامل . و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبسات من حياتهم، و لقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التي دوّنها المؤرّخون، و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السّلام) الرسالية تبدأ برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و تنتهي بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

ص: ١٤

و يختص هذا الكتاب بدراسة حياة الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السّلام) و هو المعصوم الخامس من أعلام الهداية و الثالث من الأئمة الاثني عشر بعد رسول الله (صلّى الله عليه و اله) الذي روّى بدمه الطاهر و دماء أهل بيته و أصحابه الأبرار شجرة الإسلام العظيمة، و صانها من الذبول و الانهيار، فكان - كما أخبر عنه المصطفى (صلّى الله عليه و اله) - مصباح الهدى و سفينة النجاة لأمة جدّه (صلّى الله عليه و اله) من طوفان الطغاة و الظالمين.

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوة الأعزّاء الذين بذلوا جهدا و افرا و شاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجها إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيّد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلّا أن نبتهل إلى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنّه حسبنا و نعم النصير.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السّلام قم المقدسة

ص: ١٥

الباب الأوّل فيه فصول:

الفصل الأوّل:

الإمام الحسين (عليه السّلام) في سطور

الفصل الثاني:

انطباعات عن شخصيته (عليه السّلام)

الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيته (عليه السّلام)

الفصل الأول الإمام الحسين الشهيد (عليه السلام) في سطور

❖ - الإمام أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام) الشهيد بكر بلاء، ثالث أئمة أهل البيت بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و سيّد شباب أهل الجنة بإجماع المحدثين، و أحد اثنين نسلت منهما ذرية الرسول (صلى الله عليه و اله) و أحد الأربعة الذين باهل بهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) نصارى نجران، و من أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، و من القربى الذين أمر الله بمودّتهم، و أحد الثقلين اللذين من تمسّك بهما نجا و من تخلف عنهما ضلّ و غوى.

❖ - نشأ الحسين مع أخيه الحسن (عليهما السلام) في أحضان طاهرة و حجور طيّبة و مباركة أمّا و أبّا و جدّا، فتغذى من صافى معين جدّه المصطفى (صلى الله عليه و اله) و عظيم خلقه و وابل عطفه، و حظى بوافر حنانه و رعايته حتى أنّه ورّته أدبه و هديه و سوّده و شجاعته، ممّا أهّله للإمامة الكبرى التي كانت تنتظره بعد إمامة أبيه المرتضى و أخيه المجتبي (عليهما السلام) و قد صرّح بإمامته للمسلمين في أكثر من موقف بقوله (صلى الله عليه و اله): «الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا»، «اللهمّ إنّني أحبهما فأحب من يحبهما».

❖ - لقد التقى في هذا الإمام العظيم رافدا النبوة و الإمامة، و اجتمع فيه

شرف الحسب و النسب، و وجد المسلمون فيه ما وجدوه في جدّه و أبيه و أمّه من طهر و صفاء و نبل و عطاء، فكانت شخصيته تذكّر الناس بهم جميعا؛ فأحبّوه و عظّموه، و كان الى جانب ذلك كلّ مرجعهم الأوحد بعد أبيه و أخيه فيما كان يعترضهم من مشاكل الحياة و امور الدين ، لا سيما بعد أن دخلت الامّة الإسلامية حياة حافلة بالمصاعب نتيجة سيطرة الحكم الاموى الجاهلي، حتّى جعلتهم في مأزق جديد لم يجدوا له نظيرا من قبل، فكان الحسين (عليه السلام) هو الشخصية الإسلامية الرسالية الوحيدة التي استطاعت أن تخلّص امّة محمّد (صلى الله عليه و اله) خاصّة و الإنسانية عامّة من براثن هذه الجاهلية الجديدة و أدرانها.

❖ - لقد كان الحسين بن عليّ (عليهما السلام) كأبيه المرتضى و أخيه المجتبي في جميع مراحل حياته و مواقفه العملية مثلا للإنسان الرسالي الكامل، و تجسيدا حيّا للخلق النبويّ الرفيع في الصبو على الأذى في ذات الله، و السماحة و الجود و الرحمة و الشجاعة و إباء الضيم و العرفان و التعبد و الخشية لله و التواضع للحقّ و الثورة على الباطل، و رمزا شامخا للبطولة و الجهاد في سبيل الله و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و اسوة مثلى للإيثار و التضحية لإحياء المثل العليا التي اجتمعت في شريعة جدّه سيّد المرسلين، حتّى قال عنه جدّه المصطفى (صلى الله عليه و اله): «حسين منّي و أنا من حسين» معبرا بذلك أبلغ التعبير عن سموّ هذه الشخصية العظيمة التي ولدها (صلى الله عليه و اله) و ربّاه بيديه الكريمتين.

❖ - بقى الحسين بن عليّ (عليهما السلام) بعد جدّه في رعاية الصديقة الزهراء سيّدة النساء فاطمة (عليها السلام) و في كف أبيه المرتضى سيّد الوصيّين و إمام المسلمين الذي عاش محنة الانحراف في قيادة الامّة المسلمة بعد وفاة رسول الله

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَ قَدْ حَفَّتْ بِأَبِيهِ وَ آمَّهُ نَكَبَاتُ هَذِهِ الْمَحْنَةِ وَ الصَّرَاعِ مَعَ الَّذِينَ صَادَرُوا هَذِهِ الْإِمَامَةَ الْكُبْرَى بِكُلِّ صُلْفٍ وَ دُونَ حُجَّةٍ أَوْ بَرَهَانٍ ... لَقَدْ عَاشَ الْحُسَيْنُ

ص: ١٩

مَعَ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ وَ أَبِيهِ عَلِيٍّ وَ آمَّهُ الزَّهْرَاءُ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) هَذِهِ الْمَحْنَةُ وَ تَجَرَّعَ مَرَارَتَهَا، وَ هُوَ لَا يَزَالُ فِي سَنِّ الطُّفُولَةِ، وَ لَكِنَّهُ كَانَ يَعِي جَيِّدًا عَمَقَ الْمَحْنَةِ وَ شِدَّةَ الْمَصِيبَةِ.

❖ - شَبَّ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ أَيَّامَ خِلَافَةِ عُمَرَ، وَ انْصَرَفَ مَعَ أَبِيهِ وَ أَخِيهِ عَنِ السِّيَاسَةِ وَ التَّصَدَّى لِلْحُكْمِ فِي ظَاهِرِ الْأُمْرِ، وَ أَقْبَلَ عَلَى تَنْقِيفِ النَّاسِ وَ تَعْلِيمِهِمْ مَعَالِمَ دِينِهِمْ فِي خَطِّ الرِّسَالَةِ الصَّحِيحِ، وَ الَّذِي كَانَ يَتِمَثَّلُ فِي سُلُوكِهِ وَآدَابِهِ لَدَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ مَوَاقِفِهِ الْمُبْدِئِيَّةِ الْمَشْرِفَةِ.

❖ - وَقَفَ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَى جَانِبِ أَبِيهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي عَهْدِ عُثْمَانَ، وَ هُوَ فِي عُنْفَوَانِ شِبَابِهِ يَعْمَلُ مُخْلِصًا لِأَجْلِ الْإِسْلَامِ، وَ يَشْتَرِكُ مَعَ أَبِيهِ فِي وَضْعِ حَدِّ لِلْفُسَادِ الَّذِي أَخَذَ يَسْتَشْرِى فِي جِسْمِ الْأُمَّةِ وَالدَّوْلَةِ مَعَا فِي ظِلِّ حُكْمِ عُثْمَانَ وَ بَطَانَتِهِ، وَ لَمْ يَتَعَدَّ مَوَاقِفَ أَبِيهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) طِيلَةَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ؛ بَلْ عَمِلَ كَجُنْدَى مُخْلِصٍ لِلْقِيَادَةِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي أَنْطَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِأَبِيهِ الْمُرْتَضَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

❖ - وَ فِي عَهْدِ الدَّوْلَةِ الْعُلُويَّةِ الْمُبَارَكَةِ وَقَفَ الْحُسَيْنُ إِلَى جَانِبِ أَبِيهِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فِي جَمِيعِ مَوَاقِفِهِ وَ حُرُوبِهِ، وَ لَمْ يَتَوَانَ عَنِ قِتَالِ النَّاكِثِينَ وَ الْقَاسِطِينَ وَ الْمَارْقِينَ، بَيْنَمَا كَانَ أَبُوهُ حَرِيصًا عَلَى حَيَاتِهِ وَ حَيَاءً أَخِيهِ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) خَشِيَّةً انْقِطَاعِ نَسْلِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِمَوْتِهِمَا، وَ بَقِيَ إِلَى جَانِبِ أَبِيهِمَا حَتَّى آخِرِ لَحْظَةٍ، وَ هُمَا يَعْانِيَانِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ مَا كَانَ يَعْانِيهِ أَبُوهُمَا الْمُرْتَضَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حَتَّى اسْتَشْهَدَ فِي بَيْتِ مَنْ بَيَّوتَ اللَّهَ، وَ فَازَ بِالشَّهَادَةِ وَ هُوَ فِي مُحْرَابِ الْعِبَادَةِ بِمَسْجِدِ الْكُوفَةِ، وَ فِي أَقْدَسِ لَحْظَاتِ حَيَاتِهِ، أَعْنَى لَحْظَةِ الْعِبَادَةِ وَ التَّوَجُّهِ إِلَى رَبِّ الْكَعْبَةِ، حَيْثُ خَرَّ صَرِيحًا وَ هُوَ يَقُولُ: «فَزَتْ وَ رَبَّ الْكَعْبَةِ».

❖ - ثُمَّ وَقَفَ إِلَى جَانِبِ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ الْمَجْتَبَى (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) بَعْدَ أَنْ بَايَعَهُ بِالْخِلَافَةِ كَمَا بَايَعَهُ عَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْكُوفَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ

ص: ٢٠

وَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَ لَمْ يَتَعَدَّ مَوَاقِفَ أَخِيهِ الَّذِي نَصَّ عَلَى إِمَامَتِهِ كُلَّ مَنْ جَدَّهُ وَ أَبِيهِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) بِالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الْمَغْرِبَاتِ الَّتِي كَانَ يَسْتَعْمِلُهَا مَعَاوِيَةُ لِإِسْقَاطِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ تَفْتِيتِ قَوَاهِ وَ الْقَضَاءِ عَلَى حُكُومَتِهِ الْمَشْرُوعَةِ.

❖ - لَقَدْ كَانَ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَعِي مَوَاقِفَ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِشَكْلِ تَامٍّ وَ النَّتَائِجَ الْمُرْتَبِتَةَ عَلَى تِلْكَ الْمَوَاقِفِ، لِأَنَّ كَانَ يَدْرِكُ حَرَاஜَةَ الظَّرْفِ الَّذِي كَانَ يَكْتَنِفُ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ آنَ ذَاكَ وَ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِشَكْلِ خَاصٍّ، حَيْثُ انْطَلَتْ أَلَا عَيْبٍ مَعَاوِيَةُ وَ شَعَارَاتِهِ الزَّائِفَةُ عَلَى جَمَاعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ السَّدَجِ وَ الْبُسَطَاءِ، مِمَّنْ كَانُوا يَشْكُلُونَ الْقَاعِدَةَ الْعَظْمَى فِي مَجْتَمَعِ الْكُوفَةِ وَ مَرْكَزِ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَأَصْبَحُوا يَشْكُونَ وَ يَشْكُوكُونَ فِي حَقَائِقِ خَطِّ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بَعْدَ ذَلِكَ التَّضْلِيلِ الْإِعْلَامِيِّ الَّذِي قَامَ بِهِ مَعَاوِيَةُ وَ بَطَانَتُهُ وَ عَمَّالُهُ فِي صُفُوفِ الْجَيْشِ الْمُسَانِدِ

للإمام (عليه السلام)، و لم يستطع الإمام الحسن (عليه السلام) بكلّ ما أوتى من حكمة سياسية و شجاعة أدبية و رصانة منطقية أن يقنع تلك القاعدة الشعبية، و يوقفها على زيف الشعارات الاموية في عدم صحّة الخضوع لشعار السلم الذى كان قد تسلّح به معاوية لنيل الخلافة بأبخس الأثمان، ممّا اضطرّ الإمام الحسن (عليه السلام) للإقدام على الصلح من موقع القوة بعد أن نفّذ جميع الخطط السياسية الممكنة، و بعد أن سلك جميع الطرق المعقولة التى ينبغى للقائد المحنك أن يسلكها فى تلك الظروف السياسية و الاجتماعية و النفسية التى كان يعيشها الإمام الحسن (عليه السلام) و شيعته، فتنازل عن الخلافة، إلا انه لم يوقّع على شرع يّة حاكميّة معاوية بالإضافة الى أنّه قد اشترط شروطاً موضوعيّة تفضح واقع معاوية و الحكم الاموى على المدى القريب أو البعيد.

❖ - و هكذا أفلح الإمام الحسن (عليه السلام) بعد أن اختار الطريق الصعب، و تحمّل ما تحمّل من الأذى و المكروه من أقرب أفراد شيعته فضلاً عن

ص: ٢١

أعدائه، حيث استطاع أن يكشف حقيقة الحكم الاموى الجاهلى الذى ارتدى لباس الإسلام و رفع شعار الصلح و السلم، ليقتضى على الإسلام باسم الإسلام و بمن ينتسب الى قريش قبيلة الرسول (صلّى الله عليه و اله) بعد أن خطّط بشكل حاذق خطة يتناسى المسلمون بسببها أنّ آل أبى سفيان الذين يتربّعون اليوم على كرسى الحكم الإسلامى، و يحكمون المسلمين باسم الرسول (صلّى الله عليه و اله) و خلافته هم الذين حاربوا الإسلام بالأمس القريب.

❖ - و بهذا هيّا الإمام الحسن (عليه السلام) - بتوقيعه على وثيقة الصلح - الأرضية اللازمة للثورة ع لى الحكم الاموى الجاهلى الذى ظهر بمظهر الإسلام من جديد، و ذلك بعد أن أخلف معاوية كلّ الشروط التى اشترطها عليه الإمام الحسن (عليه السلام) بما فيها عدم تعيين أحد للخلافة من بعده، و عدم التعرّض لشيعه علىّ و للإمام الحسن و الحسين (عليهما السلام) بمكروه.

و لم يستطع معاوية أن يتمالك نفسه أمام هذه الشروط حتى سوّلت له نفسه أن يدسّ السمّ الفاتك الى الإمام الحسن (عليه السلام) ليستطيع توريث الخلافة لابنه الفاسق يزيد ... و لكنّه لم يع نتائج هذا التنكّر للشروط و لنتائج هذه المؤامرة القذرة ... و قد أيقن المسلمون - بعد مرور عقدين من الحكم الاموى - بشراسة هذا الحكم و جاهليّته، ممّا جعل القواعد الشعبية الشيعية تستعدّ لخوض معركة جديدة ضدّ النظام الحاكم، و بذلك تهيّأت الظروف الملائمة للثورة، و اكتملت الشروط اللازمة بموت معاوية و مجيء يزيد الفاسق شارب الخمر و المستهتر بأحكام الدين الى سدّة الحكم، و الإقدام على أخذ البيعة من وجوه الصحابة و عامّة التابعين، و الإصرار على أخذها من مثل أبى الضيم أبى عبد الله الحسين (عليه السلام) سيّد أهل الإباء و إمام المسلمين.

❖ - لقد حكم معاوية بن أبى سفيان ما يقارب عشرين سنة متّبعا سياسة

ص: ٢٢

التجويع و الإرهاب و الخداع و التزوير، ممّا أدّى الى انكشاف حقيقته للامّة من جهة، فى حين أنّها كانت قد ابتليت بداء موت الضمير و داء فقدان الإرادة من جهة اخرى، و هكذا استيقظت الامّة من سباتها و زال شكّها بحقانيّة خطّ أهل البيت

(عليهم السّلام)، بعد أن ارتفع جهلها بحقيقة الامويين، و لكنّها لم تقو على مقارعة الظلم و الظالمين، و أصبحت كما قال الفرزدق للإمام الحسين (عليه السّلام) حين كان متوجّها الى العراق و مستجيباً لدعوة الكوفيين : قلوبهم معك و سيوفهم عليك.

و من هنا تأكّد الموقف الشرعي للإمام الحسين (عليه السّلام) بعد أن توفّرت كلّ الظروف اللازمة للقيام في وجه الامويين الجاهليين، بينما لم تكن النهضة مفيدة للأمة في حالة الابتلاء بمرض الشكّ و التردد التي كانت تعاني منه في عصر الإمام الحسن السبط (عليه السّلام). لقد تمّت الحجّة على الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السّلام) حينما راسله أهل العراق و طلبوا منه التوجّه نحوهم، بعد أن أخرجوا عامل بنى امية من الكوفة و تمردوا على الامويين حيث كان هذا أحد مظاهر رجوع الوعي إلى عامّة شيعة أهل البيت (عليهم السّلام).

فاستجاب الإمام الحسين (عليه السّلام) لطلبهم، و تحرّك ن حوهم بالرغم من علمه بعدم ثباتهم و ضعف إرادتهم أمام إغراءات الحاكمين و اضطهادهم و إرهابهم، و ذلك لأنّه كان لا بد له من معالجة هذا المرض الجديد الذي يؤدّي باستشرائه الى ضياع معالم الرسالة و فسخ المجال لتحويل الخلافة الى كسروية و قيصريّة، و إعطاء المشروعية ل مثل حكم يزيد و أضرابه من الجاهليين الذين تستروا بستر الشريعة الإسلامية لضرب الشريعة و تمزيقها.

❖ - و بعد أن استجمعت ثورة الإمام الحسين (عليه السّلام) كلّ الشروط اللازمة

ص: ٢٣

لنجاحها و بلوغ أهدافها^١؛ نهض مستنفراً كلّ طاقاته و قدراته التي كان قد أعدّها و هيأها في ذلك الطرف التأريخي في صنع ملحمة الخالدة، فحرّك ضمير الأمة، و أعادها لتسلك مسيرة رسالتها، و بعث شخصيتها العقائدية من جديد، و سلب المشروعية من الحكام الطغاة، و مزّق كلّ الأقنعة الخداعة التي كانوا قد تستروا بها، و أوضح الموقف الشرعي للأمة على مدى الأجيال. و لم يستطع الطغاة أن يشوّهوا معالم نهضته، كما لم يستطيعوا أن يقفوا بوجه المدّ الثوري الذي أحدثه على مدى العصور، ذلك المدّ الذي أطاح بحكم بنى امية و بنى العباس و من حذا حذوهم، فكانت ثورته مصدر إشعاع رسالي لكل الامم، كما كانت القيم الرسالية التي طرحها و أكّد عليها محفّزاً و معياراً لتقييم كل الحكومات و الأنظمة السياسية الحاكمة، فسلام عليه يوم ولد و يوم استشهد و يوم يبعث حيّاً.

(١) راجع الشروط الضرورية الخمسة للنجاح و التي توفّرت في ثورة الحسين (عليه السّلام) في كتاب (ثورة الحسين . النظرية - الموقف - النتائج) السيّد محمد باقر الحكيم الطبعة الاولى، منشورات مؤسّسة الإمام الحسين (عليه السّلام): ٦٢-٩٢، و راجع مجلّة الفكر الإسلامي العدد (١٧) مقال الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر حول الثورة الحسينية تحت عنوان (التخطيط الحسيني لتغيير أخلاقية الهزيمة).

ص: ٢٥

^١ (١) راجع الشروط الضرورية الخمسة للنجاح و التي توفّرت في ثورة الحسين (عليه السّلام) في كتاب (ثورة الحسين . النظرية - الموقف - النتائج) السيّد محمد باقر الحكيم الطبعة الاولى، منشورات مؤسّسة الإمام الحسين (عليه السّلام): 62-92، و راجع مجلّة الفكر الإسلامي العدد (17) مقال الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر حول الثورة الحسينية تحت عنوان (التخطيط الحسيني لتغيير أخلاقية الهزيمة).

الفصل الثاني انطباعات عن شخصية الإمام الحسين (عليه السلام)

١- مكانة الإمام الحسين (عليه السلام) في آيات الذكر الحكيم:

لم تتفق كلمة المسلمين في شيء كاتفاقهم على فضل أهل البيت (عليهم السلام) وعلو مقامهم العلمي والروحي، وانطوائهم على مجموعة الكمالات التي أراد الله للإنسانية أن تتحلى بها.

و يعود هذا الاتفاق الى جملة من الاصول، منها تصريح الذكر الحكيم بالموقع الخاص لأهل البيت (عليهم السلام) من خلال التنصيص على تطهيرهم من الرجس، وأنهم القربى الذين تجب مودتهم كأجر للرسالة التي أتحف الله بها الإنسانية جمعاء، وأنهم الأبرار الذين أخلصوا الطاعة لله وخافوا عذاب الله وتجليبوا بخشيته، فضمن لهم الجنة والنجاه من عذابه.

و الإمام الحسين (عليه السلام) هو من أهل البيت (عليهم السلام) المطهرين من الرجس بلا ريب، بل هو ابن رسول الله بنص آية المباهلة التي جاءت في حادثة المباهلة مع نصارى نجران. وقد خلد القرآن الكريم هذا الحدث بمداليه العميقة في قوله تعالى:

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ

ص: ٢٦

وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ.^٢

و روى جمهور المحدثين بطرق مستفيضة أنها نزلت في أهل البيت، وهم: رسول الله و علي و فاطمة و الحسن و الحسين، كما صرحوا على أن الأبناء هنا هما الحسنان بلا ريب.

و تضمنت هذه الحادثة تصريحاً من الرسول بأنهم خير أهل الأرض و أكرمهم على الله، و لهذا فهو يباهل بهم، و اعترف أسقف نجران بذلك أيضاً قائلاً:

«أرى وجوها لو سأل الله بها أحد أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله»^٣.

و هكذا دلّت القصة كما دلّت الآية على عظيم منزلتهم و سموّ مكانتهم و أفضليّتهم، و أنّهم أحبّ الخلق الى الله و رسوله، و أنّهم لا يدانيهم في فضلهم أحد من العالمين.

و لم ينصّ القرآن الكريم على عصمة أحد غير النبيّ من المسلمين سوى أهل البيت (عليهم السلام) الذين أراد الله أن يطهرهم من الرجس تطهيراً^٤.

^٢ (١) آل عمران (٣): ٦١.

^٣ (٢) نور الأبصار: ١٠٠، و راجع تفسير: الجلالين و روح البيان و الكشاف و البيضاوي و الرازي، و صحيح الترمذي: ١٦٦ / ٢، و سنن البيهقي: ٦٣ / ٧، و صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، و مسند أحمد: ٨٥ / ١، و مصابيح السنة: ٢٠١ / ٢.

^٤ (٣) كما نصّت على ذلك الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

و لئن اختلف المسلمون في دخول نساء النبي في مفهوم أهل البيت؛ فإنهم لم يختلفوا قط في دخول عليّ و الزهراء و الحسين (عليهم السلام) في ما تقصده الآية المباركة^٥.

(١) آل عمران (٣): ٦١.

(٢) نور الأبصار: ١٠٠، و راجع تفسير: الجلالين و روح البيان و الكشف و البيضاوي و الرازي، و صحيح الترمذى : ٢ / ١٦٦، و سنن البيهقي: ٧ / ٦٣، و صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، و مسند أحمد: ١ / ٨٥، و مصابيح السنة: ٢ / ٢٠١.

(٣) كما نصّت على ذلك الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

(٤) راجع التفسير الكبير للفخر الرازي و تفسير النيسابوري، و صحيح مسلم : ٢ / ٣٣ و خصائص النسائي : ٤، و مسند أحمد: ٤ / ١٠٧، و سنن البيهقي : ٢ / ١٥٠، و مشكل الآثار : ١ / ٣٣٤، و مستدرک الحاكم : ٢ / ٤١٦، و اسد الغابة : ٥ / ٥٢١.

ص: ٢٧

و من هنا نستطيع أن نفهم السرّ الكامن في وجوب مودّتهم و الالتزام بخطّهم و ترجيح حبّهم على حبّ من سواهم بنص الكتاب العزيز^٦.

فإنّ عصمة أهل البيت (عليهم السلام) أدلّ دليل على أنّ النجاة في متابعتهم حينما تشعب الطرق و تختلف الأهواء، فمن عصمه الله من الرجس و كان دالّاً على النجاة كان متّبعه ناجياً من الغرق.

و نصّ النبي (صلى الله عليه و اله) - كما عن ابن عباس - بأنّ آية المودّة في القربى حينما نزلت و سأله بعض المسلمين عن المقصود من القرابة التي أوجبت على المسلمين طاعتهم بقوله: إنّهم عليّ و فاطمة و ابناهما^٧.

و لا يتركنا القرآن الحكيم حتّى يبيّن لنا أسباب هذا التفضيل في سورة «الدهر» التي نزلت لبيان عظمة الواقع النفسى الذى انطوى عليه أهل البيت عليهم السلام و الإخلاص الذى تفتقرن به طاعتهم و عباداتهم بقوله تعالى : **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُورًا * وَ جَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيرًا^٨.**

لقد روى جمهور المفسّرين و المحدثين أنّ هذه السورة المباركة نزلت في أهل البيت بعد ما مرض الحسنان، و نذر الإمام صيام ثلاثة أيام شكراً لله إن برئ، فوفوا بنذرهم أيّما وفاء، إنّ وفاء جسّد أروع أنواع الإيثار حتّى نزل قوله تعالى : **إِنْ**

^٥ (4) راجع التفسير الكبير للفخر الرازي و تفسير النيسابوري، و صحيح مسلم 2 / 33 و خصائص النسائي: 4، و مسند أحمد: 4 / 107، و سنن البيهقي: 2 / 150، و مشكل الآثار: 1 / 334، و مستدرک الحاكم: 2 / 416، و اسد الغابة: 5 / 521.

^٦ (1) قال تعالى في سورة الشورى الآية 23 مخاطباً رسوله الكريم: **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**. و قال في سورة سبأ: **إِذَا مَا سَأَلْتُمُ مِنْ أَجْرِ فَعُوْا لَهُ**.

^٧ (2) راجع التفسير الكبير، و تفسير الطبري، و الدر المنثور في تفسير آية المودّة
^٨ (3) الانسان (76): 9-12.

الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا
كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا فَشَكَرَ اللَّهُ

(١) قال تعالى في سورة الشورى الآية ٢٣ مخاطباً رسوله الكريم: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى. وقال في
سورة سبأ: مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ.

(٢) راجع التفسير الكبير، و تفسير الطبري، و الدر المنثور في تفسير آية المودة.

(٣) الانسان (٧٦): ٩ - ١٢.

(٤) الانسان (٧٦): ٥ - ٧.

ص: ٢٨

سعيهم على هذا الإيثار و الوفاء بما أورثهم في الآخرة و بما حباهم من الإمامة للمسلمين في الدنيا حتى يرث الأرض و
من عليها.

٢- مكانة الإمام الحسين (عليه السلام) لدى خاتم المرسلين (صلى الله عليه و اله):

لقد خصّ الرسول الأعظم حفيديه الحسن و الحسين (عليهما السلام) بأوصاف تنبئ عن عظم منزلتهما لديه، فهما:

١- ريحانتاه من الدنيا و ريحانتاه من هذه الأمة^٩.

٢- و هما خير أهل الأرض^{١١}.

٣- و هما سيّدا شباب أهل الجنة^{١٢}.

٤- و هما إمامان قاما أو قعدا^{١٣}.

٥- و هما من العترة (أهل البيت) التي لا تفترق عن القرآن الى يوم القيامة، و لن تضلّ أمة تمسكت بهما^{١٤}.

٦- كما أنّهما من أهل البيت الذين يضمنون لراكبي سفينتهم النجاة من الغرق^{١٥}.

^٩ (4) الانسان (76): 5-7.

^{١٠} (1) صحيح البخاري: 2/ 188، و سنن الترمذي: 539.

^{١١} (2) عيون أخبار الرضا: 2/ 62.

^{١٢} (3) سنن ابن ماجه: 1/ 56، و الترمذي: 539.

^{١٣} (4) المناقب لابن شهر آشوب: 3/ 163. نقلا عن مسند أحمد و جامع الترمذي و سنن ابن ماجه و غيرهم

^{١٤} (5) جامع الترمذي: 541، و مستدرک الحاكم: 3/ 109.

^{١٥} (6) حلية الأولياء: 4/ 306.

٧- و هما ممّن قال عنهم جدّهم: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق و أهل بيتي أمان لأهل الأرض من الاختلاف»^{١٦}.

(١) صحيح البخارى: ١٨٨ / ٢، و سنن الترمذى: ٥٣٩.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٦٢ / ٢.

(٣) سنن ابن ماجه: ٥٦ / ١، و الترمذى: ٥٣٩.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب: ١٦٣ / ٣. نقلا عن مسند أحمد و جامع الترمذى و سنن ابن ماجه و غيرهم.

(٥) جامع الترمذى: ٥٤١، و مستدرک الحاكم: ١٠٩ / ٣.

(٦) حلية الأولياء: ٣٠٦ / ٤.

(٧) مستدرک الحاكم: ١٤٩ / ٣.

ص: ٢٩

٨- و قد استفاض الحديث عن مجموعة من أصحاب الرسول (صلى الله عليه و اله) أنّهم قد سمعوا مقالته فيما يخصّ الحسين (عليهما السلام): «اللهم إنّك تعلم أنّي احبّهما فأحبّهما و أحبّ من يحبّهما»^{١٧}.

٣- مكانة الإمام الحسين (عليه السلام) لدى معاصريه:

١- قال عمر بن الخطاب للحسين (عليه السلام): فإنّما أنبت ما ترى فى رؤوسنا الله ثم أنتم^{١٨}.

٢- قال عثمان بن عفان فى الحسن و الحسين (عليهما السلام) و عبد الله بن جعفر:

فطموا العلم فطما^{١٩} و حازوا الخير و الحكمة^{٢٠}.

٣- قال أبو هريرة: دخل الحسين بن علىّ و هو معتم، فظننت أنّ النبىّ قد بعث^{٢١}.

و كان (عليه السلام) فى جنازة فأعيا، و قعد فى الطريق، فجعل أبو هريرة ينفذ التراب عن قدميه بطرف ثوبه، فقال له : يا أبا هريرة و أنت تفعل هذا، فقال له:

^{١٦} (7) مستدرک الحاكم: 149 / 3.

^{١٧} (1) خصائص النسائي: 26.

^{١٨} (2) الإصابة: 333 / 1، و قال: سنده صحيح.

^{١٩} (3) فطموا العلم فطما: أي قطعوه عن غيرهم قطعاً، و جمعوهم لأنفسهم جمعاً.

^{٢٠} (4) الخصال: 136.

^{٢١} (5) بحار الأنوار: 82 / 10.

دعنى، فو الله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم^{٢٢}.

٤- أخذ عبد الله بن عباس بركاب الحسن و الحسين (عليهما السلام)، فعوتب في ذلك، و قيل له : أنت أسنّ منهما! فقال: إن هذين ابنا رسول الله (صلى الله عليه و اله)، أ فليس

(١) خصائص النسائي: ٢٦.

(٢) الإصابة: ٣٣٣ / ١، و قال: سنده صحيح.

(٣) فطموا العلم فطم: أى قطعوه عن غيرهم قطعاً، و جمعوه لأنفسهم جمعاً.

(٤) الخصال: ١٣٦.

(٥) بحار الأنوار: ٨٢ / ١٠.

(٦) تاريخ ابن عساكر: ٣٢٢ / ٤.

ص: ٣٠

من سعادتى أن آخذ بركابهما^{٢٣}؟

و قال له معاوية بعد وفاة الحسن (عليه السلام): يا ابن عباس أصبحت سيّد قومك، فقال : أمّا ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين فلا^{٢٤}.

٥- قال أنس بن مالك- و كان قد رأى الحسين (عليه السلام)-: كان أشبههم برسول الله (صلى الله عليه و اله)^{٢٥}.

٦- قال زيد بن أرقم لابن زياد- حين كان يضرب شفتى الحسين (عليه السلام)-:

اعل بهذا القضيب، فوالله الذى لا إله غيره، لقد رأيت شفتى رسول الله (صلى الله عليه و اله) على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم بكى.

فقال له ابن زياد : أبكى الله عينك، فو الله لو لا أنّك شيخ قد خرفت لضربت عنقك، فخرج و هو يقول : أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم! قتلتم الحسين ابن فاطمة و أمّرت ابن مرجأ! فهو يقتل خياركم و يستبقى شراركم^{٢٦}.

^{٢٢} (6) تاريخ ابن عساكر: 322 / 4.

^{٢٣} (1) تاريخ ابن عساكر: 322 / 4.

^{٢٤} (2) حياة الإمام الحسين، للقرشي: 500 / 2.

^{٢٥} (3) أعيان الشيعة: 563 / 1.

^{٢٦} (4) اسد الغابة: 21 / 2.

٧- قال أبو برزّة الأسلمي ليزيد حينما رآه ينكت ثغر الحسين (عليه السلام):

أتكتك بقضيبيك في ثغر الحسين؟! أما لقد أخذ قضيبيك في ثغره مأخذاً لربما رأيت رسول الله صلى الله عليه و اله يرشفه. أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة و ابن زياد شفيحك! و يجيء هذا و محمد شفيعه^{٢٧}.

٨- و حين قال معاوية لعبد الله بن جعفر: أنت سيد بني هاشم؟ أجابه

(١) تاريخ ابن عساكر: ٣٢٢ / ٤.

(٢) حياة الإمام الحسين، للقرشي: ٥٠٠ / ٢.

(٣) أعيان الشيعة: ٥٦٣ / ١.

(٤) اسد الغابة: ٢١ / ٢.

(٥) الحسن و الحسين سبطا رسول الله: ١٩٨.

ص: ٣١

قائلاً: سيد بني هاشم حسن و حسين^{٢٨}.

و كتب اليه: إن هلك اليوم طفئ نور الإسلام فإنك علم المهتدين و رجاء المؤمنين^{٢٩}.

٩- سأل رجل عبد الله بن عمر عن دم البعوض يكون في الثوب أفيصلي فيه؟ فقال له : ممّن أنت؟ قال: من أهل العراق، فقال ابن عمر: انظروا الى هذا، يسألني عن دم البعوض و قد قتلوا ابن رسول الله (صلى الله عليه و اله) و قد سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: هما ريحانتاي من الدنيا^{٣٠}.

١٠- قال محمد بن الحنفية: إنّ الحسين أعلمنا علماً، و أثقلنا حملاً، و أقربنا من رسول الله (صلى الله عليه و اله) رحماً، كان إماماً فقيهاً...»^{٣١}.

١١- مرّ الحسين (عليه السلام) بعمر بن العاص و هو جالس في ظلّ الكعبة فقال: هذا أحب أهل الأرض الى أهل الأرض و الى أهل السماء اليوم^{٣٢}.

^{٢٧} (٥) الحسن و الحسين سبطا رسول الله: 198.

^{٢٨} (١) الحسن بن عليّ لكامل سليمان: 173.

^{٢٩} (٢) البداية و النهاية: 167 / 8.

^{٣٠} (٣) تاريخ ابن عساكر: 314 / 4.

^{٣١} (٤) بحار الأنوار: 140 / 10.

^{٣٢} (٥) تاريخ ابن عساكر: 322 / 4.

١٢- قال عبد الله بن عمرو بن العاص و قد مرّ عليه الحسين (عليه السّلام): من أحبّ أن ينظر الى أحبّ أهل الأرض الى أهل السماء فليظر الى هذا المجتاز^{٣٣}.

١٣- و حين أشار يزيد على أبيه معاوية أن يكتب للحسين (عليه السّلام) جوابا عن كتاب كتبه له، على أن يصغر فيه الحسين (عليه السّلام)، قال معاوية رادّا عليه: و ما

(١) الحسن بن عليّ لكامل سليمان: ١٧٣.

(٢) البداية و النهاية: ٨ / ١٦٧.

(٣) تاريخ ابن عساکر: ٤ / ٣١٤.

(٤) بحار الأنوار: ١٠ / ١٤٠.

(٥) تاريخ ابن عساکر: ٤ / ٣٢٢.

(٦) بحار الأنوار: ١٠ / ٨٣.

ص: ٣٢

عسيت أن أعيب حسينا، و والله ما أرى للعب فيه موضعا^{٣٤}.

١٤- قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان (والى المدينة) لمروان بن الحكم - لمّا أشار عليه بقتل الحسين (عليه السّلام) إذا لم يبايع -: و الله يا مروان ما أحبّ أن لى الدنيا و ما فيها و أنّى قتلت الحسين . سبحان الله! أقتل حسينا إن قال لا ابايع؟ و الله إنّى لأظنّ أنّ من يقتل الحسين يكون خفيف الميزان يوم القيامة^{٣٥}.

١٥- لمّا قبض ابن زياد على قيس بن مسهر الصيداوى - رسول الحسين (عليه السّلام) الى أهل الكوفة - أمره أن يصعد المنبر و يسبّ الحسين و أباه، فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أيّها الناس، إنّ هذا الحسين بن علىّ، خير خلق الله، و هو ابن فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و أنا رسوله اليكم، و قد فارقت بالهاجر من بطن ذى الرمة فأجيبوه، و اسمعوا له و أطيعوا . ثم لعن عبيد الله بن زياد و أباه، و استغفر لعلّى و الحسين. فأمر به ابن زياد، فألقى من رأس القصر، فتقطّع^{٣٦}.

^{٣٣} (6) بحار الأنوار: 10 / 83.

^{٣٤} (1) أعيان الشيعة: 1 / 583.

^{٣٥} (2) البداية و النهاية: 8 / 147.

^{٣٦} (3) المصدر السابق: 18 / 168.

١٦- من خطبة ليزيد بن مسعود النهشلي (رحمه الله): وهذا الحسين بن عليّ ابن رسول الله (عليه السلام)، ذو الشرف الأصيل، والرأى الأثيل، له فضل لا يوصف، و علم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته و سنّه و قدمه و قرابته . يعطف على الصغير، و يحنو على الكبير. فأكرم به راعي رعيّة، و إمام قوم و جبت لله به الحجّة، و بلغت به الموعظة^{٣٧}.

(١) أعيان الشيعة: ١ / ٥٨٣.

(٢) البداية و النهاية: ٨ / ١٤٧.

(٣) المصدر السابق: ١٨ / ١٦٨.

(٤) أعيان الشيعة: ١ / ٥٩٠.

ص: ٣٣

١٧- قال عبد الله بن الحرّ الجعفي: ما رأيت أحدا قطّ أحسن و لا أملاً للعين من الحسين^{٣٨}.

١٨- قال إبراهيم النخعي: لو كنت فيمن قاتل الحسين ثم ادخلت الجنة لاستحييت أن أنظر الى وجه رسول الله (صلّى الله عليه و اله)^{٣٩}.

٤- الإمام الحسين (عليه السلام) عبر القرون و الأجيال:

١- قال الربيع بن خيثم لبعض من شهد قتل الحسين (عليه السلام): و الله لقد قتلتهم صفوة لو أدركهم رسول الله (صلّى الله عليه و اله) لقتل أفواههم، و أجلسهم في حجره^{٤٠}.

٢- قال ابن سيرين: لم تبك السماء على أحد بعد يحيى بن زكريا إلّا على الحسين (عليه السلام)، و لما قتل اسودّت السماء، و ظهرت الكواكب نهارا، حتّى رؤيت الجوزاء عند العصر، و سقط التراب الأحمر، و مكثت السماء سبعة أيام بلياليها كأنّها علقه^{٤١}.

٣- قال علي جلال الحسيني: السيّد الزكي الإمام أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) ابن بنت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و ريحانته، و ابن أمير المؤمنين علىّ كرم الله وجهه، و شأن بيت النبوة له أشرف نسب و أكمل نفس، جمع الفضائل و مكارم الأخلاق و محاسن الأعمال، من علو الهمة، و منتهى الشجاعة، و أقصى غاية الجود، و أسرار العلم، و فصاحة اللسان، و نصره الحقّ، و النهي عن المنكر، و جهاد الظلم، و التواضع عن عزّ، و العدل، و الصبر، و الحلم، و العفاف، و المروءة، و الورع و غيرها.

^{٣٧} (٤) أعيان الشيعة: ١ / 590.
^{٣٨} (١) أعيان الشيعة: ٤ / 118.
^{٣٩} (٢) الإصابة: 1 / 335.
^{٤٠} (٣) بحار الأنوار: 10 / 79.
^{٤١} (٤) تاريخ ابن عساكر: 4 / 339.

(١) أعيان الشيعة: ٤/ ق ١/ ١١٨.

(٢) الإصابة: ١/ ٣٣٥.

(٣) بحار الأنوار: ١٠/ ٧٩.

(٤) تاريخ ابن عساكر: ٤/ ٣٣٩.

ص: ٣٤

و اختصّ بسلامة الفطرة، و جمال الخلقة، و رجاحة العقل، و قوة الجسم، و أضاف الى هذه المحامد كثرة العبادة و أفعال الخير، كالصلاة و الحج و الجهاد في سبيل الله و الإحسان . و كان إذا أقام بالمدينة أو غيرها مفيدا بعلمه، مرش دا بعمله، مهذباً بكرم أخلاقه، و مؤدباً ببليغ بيانه، سخيّاً بماله، متواضعا للفقراء، معظماً عند الخلفاء، موصلاً للصدقة على الأيتام و المساكين، منتصفاً للمظلومين، مشغولاً بعبادته، مشى من المدينة على قدميه الى مكة حاجاً خمسا و عشرين مرة ...

كان الحسين في وقته ع لم المهتدين و نور الأرض، فأخبار حياته فيها هدى للمسترشدين بأنوار محاسنه المقتفين آثار فضله^{٤٢}.

٤- قال محمد رضا المصري: هو ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و علم المهتدين، و رجاء المؤمنين^{٤٣}.

٥- قال عمر رضا كحالة: الحسين بن عليّ، و هو سيّد أهل العراق فقها و حالا و جودا و بذلا^{٤٤}.

٦- قال عبد الله العلّايلى : جاء في أخبار الحسين : أنّه كان صورة احتبكت ظلالها من أشكال جدّه العظيم، فأفاض النّبىّ (صلى الله عليه و اله) إشعاعاً غامرة من حبّه، و أشياء نفسه، ليتمّ له أيضا من وراء الصورة معناها فتكون حقيقة من بعد كما كانت من قبل إنسانية ارتقت الى نبوة (أنا من حسين) و نبوة هبطت الى إنسانية (حسين منّي) فسلام عليه يوم ولد^{٤٥}.

٧- قال عباس محمود العقّاد: مثل للناس في حلّة من النور تخشع لها

(١) راجع كتابه «الحسين» (عليه السّلام): ١/ ٦. و راجع أيضا: مجمع الزوائد: ٩/ ٢٠١ و بحار الأنوار: ٤٤/ ١٩٣.

(٢) الحسن و الحسين سبطا رسول الله (صلى الله عليه و اله): ٧٥.

(٣) أعلام النساء: ١/ ٢٨.

^{٤٢} (١) راجع كتابه «الحسين» (عليه السّلام): ١/ ٦. و راجع أيضا: مجمع الزوائد: ٩/ ٢٠١ و بحار الأنوار: ٤٤/ ١٩٣.

^{٤٣} (٢) الحسن و الحسين سبطا رسول الله (صلى الله عليه و اله): ٧٥.

^{٤٤} (٣) أعلام النساء: ١/ ٢٨.

^{٤٥} (٤) تاريخ الحسين (عليه السّلام): ٢٢٦.

الأبصار، و باء بالفخر الذى لا فخر مثله فى تواريخ بنى الإنسان ، غير مستثنى منهم عربى و لا عجمى، و قديم و حديث، فليس فى العالم اسرة أنجبت من الشهداء من أنجبتهم اسرة الحسين عدّة و قدرة و ذكرة، و حسبه أنّه وحده فى تأريخ هذه الدنيا الشهيد ابن الشهيد أبو الشهداء فى مئات السنين^{٤٦}.

٨- قال عمر أبو النصر : هذه قصة اسرة من قریش . حملت لواء التضحية و الاستشهاد و البطولة من مشرق الأرض الى مغربها. قصة ألف فصولها شباب ما عاشوا كما عاش الناس، و لا ماتوا كما مات الناس، ذلك أنّ الله شرف هذه الجماعة من خلقه بأن جعل النبوة و الوحى و الإلهام فى منازلها، و زاد ندى فلم يشأ لها حظّ الرجل العادى من عبادة، و إنّما أرادها للتشريد و الاستشهاد، و أرادها للمثل العليا من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و كتب لها أن تتزعم لواء التقوى و الصلاح الى آخر ما يكون من ذريتها^{٤٧}.

٩- قال عبد الحفيظ أبو السعود : عنوان النضال الحرّ، و الجهاد المستميت، و الا ستشهاد فى سبيل المبدأ و العقيدة، و عدم الخضوع لجور السلطان و بغى الحاكمين^{٤٨}.

١٠- قال أحمد حسن لطفى: إنّ الموت الذى كان ينشده فيها كان يمثّل فى نظره مثلاً أروع من كلّ مثل الحياة، لأنّه الطريق الى الله الذى منه المبتدأ و اليه المنتهى، و لأنّه السبيل الى الان تصار و الى الخلود، فهو أعظم بطل ينتصر بالموت على الموت^{٤٩}.

(١) أبو الشهداء الحسين بن عليّ (عليهما السلام): ١٥٠، طبعة النجف، مطبعة الغرى الحديثة.

(٢) آل محمد فى كربلاء: ٣٠.

(٣) سبطا رسول الله الحسن و الحسين: ١٨٨.

(٤) الشهيد الخالد الحسين بن عليّ: ٤٧.

^{٤٦} (١) أبو الشهداء الحسين بن عليّ (عليهما السلام): 150، طبعة النجف، مطبعة الغرى الحديثة

^{٤٧} (٢) آل محمد فى كربلاء: 30.

^{٤٨} (٣) سبطا رسول الله الحسن و الحسين: 188.

^{٤٩} (٤) الشهيد الخالد الحسين بن عليّ: 47.

ولد الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السلام) في بيت كان محطّ الملائكة و مهبط التنزيل، في بقعة طاهرة تتصل بالسمااء طوال يومها بلا انقطاع، و تتناغم مع أنفاسه آيات القرآن التي تتلى آناء الليل و النهار، و ترعرع بين شخصيات مقدّسة تجلّت بآيات الله، و نهل من ندير الرسالة عذب الارتباط مع الخالق، و صاغ لبنات شخصيته نبى الرحمة (صلّى الله عليه و اله) بفيض مكارم أخلاقه و عظمة روحه.

فكان الحسين (عليه السلام) صورة لمحمّد (صلّى الله عليه و اله) في امته، يتحرّك فيها على هدى القرآن، و يتحدث بفكر الرسالة، و يسير على خطى جدّه العظيم لبيّن مكارم الأخلاق، و يرمى للامّة شؤونها، و لا يغفل عن هدايتها و نصحتها و نصرتها، جاعلا من نفسه المقدسة نموذجا حيا لما أرادته الرسالة و الرسول ، فكان (عليه السلام) نور هدى للضالّين و سلسيلا عذبا للراغبين و عمادا يستند إليه المؤمنون و حجة يركن اليها الصالحون، و فيصل حقّ إذ يتخاصم المسلمون، و سيف عدل يغضب لله و يثور من أجل الله . و حين نهض كان بيده مشعل الرسالة الذي حمّله جدّه النبى (صلّى الله عليه و اله) يدافع عن دينه و رسالته العظيمة.

و من الإمعان فى شخصيّة الإمام الحسين (عليه السلام) الفدّة تتلمّس المظاهر التالية:

ص: ٣٨

١- تواضعه (عليه السلام):

جبل أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) على التواضع و مجافاة الأنانية، و هو صاحب النسب الرفيع و الشرف العالى و المنزلة الخصيصة لدى الرسول (صلّى الله عليه و اله)، فكان (عليه السلام) يعيش فى الامّة لا يأنف من فقيرها و لا يترفع على ضعيفها و لا يتكبّر على أحد فيها، يقتدى بجدّه العظيم المبعوث رحمة للعالمين، يبتغى بذلك رضا الله و تربية الامّة، و قد نقلت عنه (عليه السلام) مواقف كثيرة تعامل فيها مع سائر المسلمين بكلّ تواضع مظهرها سماحة الرسالة و لطف شخصيته الكريمة، و من ذلك:

إنّه (عليه السلام) قد مرّ بمساكين و هم يأكلون كسرا (خبزا يابساً) على كساء، فسلمّ عليهم، فدعوه الى طعامهم فجلس معهم و قال: لولا أنّ صدقة لأكلت معكم. ثمّ قال: قوموا الى منزلى، فأطعمهم و كساهم و أمر لهم بدراهم.

و روى: أنّه (عليه السلام) مرّ بمساكين يأكلون فى الصّفة، فقالوا: الغداء، فقال (عليه السلام): إنّ الله لا يحب المتكبرين، فجلس و تغدّى معهم ثمّ قال لهم: قد أجبتكم فأجيبونى، قالوا: نعم، فمضى بهم الى منزله و قال لزوجته: أخرجى ما كنت تدخرين^{٥٠}.

٢- حلمه و عفوه (عليه السلام):

تأدّب الحسين السبط (عليه السلام) بآداب النبوة، و حمل روح جدّه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) يوم عفى عمّن حاربه و وقف ضد الرسالة الإسلامية، لقد كان قلبه يتسع لكلّ الناس، و كان حريصا على هدايتهم متغاضيا فى هذا السبيل

^{٥٠} (1) أعيان الشيعة: 1/ 580، تاريخ ابن عساكر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) حديث 196، و تفسير البرهان: 2/ 363.

(١) أعيان الشيعة: ١ / ٥٨٠، تأريخ ابن عساكر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) حديث ١٩٦، و تفسير البرهان: ٢ / ٣٦٣.

ص: ٣٩

عن إساءة جاهلهم، يحدوه رضا الله تعالى، يقرب المذنبين و يطمئنهم و يزرع فيهم الأمل برحمة الله، فكان لا يردّ على مسيء إساءة بل يحنو عليه و يرشده الى طريق الحقّ و ينقذه من الضلال.

فقد روى عنه (عليه السلام) أنّه قال: «لو شتمني رجل في هذه الاذن - و أوماً الى اليمنى - و اعتذر لى فى اليسرى لقبّلت ذلك منه، و ذلك أنّ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) حدّثنى أنّه سمع جدّى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يقول: لا يرد الحوض من لم يقبل العذر من محق أو مبطل^{٥١}.

كما روى أنّ غلاماً له جنى جناية كانت توجب العقاب، فأمر بتأديبه فانبرى العبد قائلاً: يا مولاي و الكاظمين الغيظ، فقال (عليه السلام): خلّوا عنه، فقال:

يا مولاي و العافين عن الناس، فقال (عليه السلام): قد عفوت عنك، قال: يا مولاي و الله يحب المحسنين، فقال (عليه السلام): أنت حرّ لوجه الله و لك ضعف ما كنت أعطيك^{٥٢}.

٣- جوده و كرمه (عليه السلام):

و بنفس كبيرة كان الإمام الحسين بن على (عليهما السلام) يعين الفقراء و المحتاجين، و يحنو على الأرمال و الأيتام، و يثلج قلوب الوافدين عليه، و يقضى حوائج السائلين من دون أن يجعلهم يشعرون بذلّ المسألة، و يصل رحمه دون انقطاع، و لم يصله مال إلّا فرقه و أنفقه و هذه سجية الجواد و شنشنة الكريم و سمة ذى السماحة.

فكان يحمل فى دجى الليل البهيم جراباً مملوء طعاماً و تقودا الى منازل الأرمال و اليتامى حتّى شهد له بهذا الكرم معاوية بن أبى سفيان، و ذلك حين

(١) إحقاق الحقّ: ١١ / ٤٣١.

(٢) كشف الغمّة: ٢ / ٣١، و الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٦٨ مع اختلاف يسير، و أعيان الشيعة: ٤ / ٥٣.

ص: ٤٠

^{٥١} (١) إحقاق الحقّ: ١١ / ٤٣١.
^{٥٢} (٢) كشف الغمّة: ٢ / ٣١، و الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٦٨ مع اختلاف يسير، و أعيان الشيعة: ٤ / ٥٣.

بعث لعدّة شخصيات بهدايا، فقال متنّبًا : أمّا الحسين فيبدأ بأيّنام من قتل مع أبيه بصفّين، فإن بقي شيء نحر به الجزور و سقى به اللبن^{٥٣}.

و في موقف مفعم باللطف و الإنسانية و الحنان جعل العتق رداً للتحية، فقد روى عن أنس أنّه قال:

كنت عند الحسين فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان فحيّته بها، فقال لها : أنت حرّة لوجه الله تعالى . و انهر أنس و قال: جارية تجيئك بطاقة ريحان فتعتقها؟! فقال (عليه السّلام): كذا أدبنا الله، قال تبارك و تعالى: **وَ إِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها**، و كان أحسن منها عتقها^{٥٤}.

و من كرمه و عفوه أنّه وقف (عليه السّلام) ليقضى دين اسامة بن زيد و ليفرّج عن همّه الذي كان قد اعتراه و هو في مرضه^{٥٥}، رغم أنّ اسامة كان قد وقف في الصفّ المناوئ لأبيه أمير المؤمنين (عليه السّلام).

و وقف ذات مرّة سائل على باب الحسين (عليه السّلام) و أنشد قائلاً:

حرّك من دون بابك الحلقة

لم يخب الآن من رجاك

أبوك قد كان قاتل الفسقة

أنت جواد أنت معتمد

فأسرع اليه الإمام الحسين (عليه السّلام) و ما أن وجد أثر الفاقة عليه حتّى نادى بقنبر و قال متسائلاً : ما تبقى من نفقتنا؟ قال: مائتا درهم أمرتني بتفرقتها في أهل بيتك، فقال (عليه السّلام): هاتها فقد أتى من هو أحقّ بها منهم، فأخذها و دفعها الى السائل معذراً منه، و أنشد قائلاً:

و اعلم بأنّي عليك ذو شفقة

خذها فأرى اليك معذّر

أمست سمانا عليك مندفقة

لو كان في سيرنا الغداء عصا

(١) حياة الإمام الحسين: ١ / ١٢٨ عن عيون الأخبار.

(٢) كشف الغمّة: ٢ / ٣١، و الفصول المهمة: ١٦٧.

^{٥٣} (١) حياة الإمام الحسين: 1 / 128 عن عيون الأخبار.

^{٥٤} (٢) كشف الغمّة: 2 / 31، و الفصول المهمة: 167.

^{٥٥} (٣) بحار الأنوار: 44 / 189، و مناقب آل أبي طالب: 4 / 65.

(٣) بحار الأنوار: ١٨٩ / ٤٤، و مناقب آل أبي طالب: ٦٥ / ٤.

ص: ٤١

لكنَّ ريبَ الزمانِ ذو غير
و الكفَّ منِّي قليلةُ النفقة

فأخذها الأعرابي شاكرا و هو يدعو له (عليه السّلام) بالخير، و أنشد مادحا:

مطهرون نقيّات جيوبهم
تجرى الصلاة عليهم أينماذكروا
و أنتم أنتم الأعلون عندكم
علم الكتاب و ما جاءت به السور
من لم يكن علويّا حين تنسبه
فما له في جميع الناس مفتخر^{٥٤}

٤- شجاعته (عليه السّلام):

إنَّ المرءَ ليعجز عن الوصف و القول حين يطالع صفحة الشجاعة من شخصية الإمام الحسين (عليه السّلام) فإنَّه ورثها عن آبائه و تربّى عليها و نشأ فيها، فهو من معدنها و أصلها، و هو الشجاع في قول الحقّ و المستبسل للدفاع عنه، فقد ورث ذلك عن جدّه العظيم محمّد (صلّى الله عليه و اله) الذي وقف أمام أعتى قوّة مشرّكة حتّى انتصر عليها بالعقيدة و الإيمان و الجهاد في سبيل الله تعالى.

و وقف مع أبيه - أمير المؤمنين (عليه السّلام) - يعيد الإسلام حاكما، و ينهض بالأمّة في طريق دعوتها الخالصة، يصارع قوى الضلال و الانحراف بالقول و الفعل و قوّة السلاح ليعيد الحقّ الى نصّابه.

و وقف مع أخيه الإمام الحسن (عليه السّلام) موقف الأبطال المضحيين من أجل سلامة الأمّة و نجاة الصفوة المؤمنة المؤمنة المتمسكة بنهج الرسالة الإسلامية.

و وقف صامدا حين تقاعست جماهير المسلمين عن نصره دينها أمام جيروت معاوية و ضلاله و أزلامه و التيار الذي قاده لتشويه الدين القويم.

و لم يخش كلّ التهديدات و لا ما كان يلوح في الافق من نهاية مأساوية

^{٥٦} (1) تاريخ ابن عساکر: 4 / 323، و مناقب آل أبي طالب: 65 / 4.

(١) تاريخ ابن عساکر: ٣٢٣ / ٤، و مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٦٥.

ص: ٤٢

نتيجة الخروج لطلب الإصلاح و إحياء رسالة جدّه النبيّ (صلّى الله عليه و اله) و الوقوف في وجه الظلم و الفساد، فخرج و هو مسلمّ لأمر الله و ساع لا ابتغاء مرضاته، و ها هو (عليه السّلام) يردّ على الحرّ بن يزيد الرياحي حين قال له: اذكرك الله في نفسك فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ، و لئن قوتلت لتهلكنّ، فقال له الإمام أبو عبد الله (عليه السّلام):

أ بالموت تخوّفني؟ و هل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ ما أدري ما أقول لك؟

و لكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه:

إذا ما نوى خيرا و جاهد مسلما

سأمضي و ما بالموت عار على الفتى

و خالف مشورا و فارق مجرما

و واسى رجالا صالحين بنفسه

كفى بك ذلا أن تعيش و ترغما^{٥٧}

فإن عشت لم أندم و إن متّ لم ألم

و وقف (عليه السّلام) يوم الطفّ موقفا حيّره الألباب و أذهل به العقول، فلم ينكسر أمام جليل المصاب حتّى عند ما بقى وحيدا، فقد كان طودا شامخا لا يدنو منه العدو هيبّة و خوفا رغم جراحاته الكثيرة حتّى شهد له عدوّه بذلك، فقد قال حميد بن مسلم:

فوالله ما رأيته مكثورا قطّ قد قتل ولده و أهل بيته و أصحابه أربط ج أشا و لا أمضى جنانا منه، إن كانت الرّجالة لتشدّ عليه فيشد عليها بسيفه فيكشفهم عن يمينه و شماله انكشاف المعزى إذا اشتد عليها الذّب^{٥٨}.

٥- إباؤه (عليه السّلام):

لقد تجلّت صورة النّائر المسلم بأبهى صورها و أكملها في إباء الإمام

(١) تاريخ الطبري: ٢٥٤ / ٤، و الكامل في التّاريخ: ٢٧٠ / ٣.

(٢) اعلام الوري: ٤٦٨ / ١، و تاريخ الطبري: ٥٤٠ / ٥.

^{٥٧} (1) تاريخ الطبري: 254 / 4، و الكامل في التّاريخ: 270 / 3.
^{٥٨} (2) اعلام الوري: 468 / 1، و تاريخ الطبري: 540 / 5.

الحسين (عليه السلام) ورفضه للصبر على الحيف و السكوت على الظلم، فسنّ بذلك للأجيال اللاحقة سنّة الإباء و التضحية من أجل العقيدة و في سبيلها، حين وقف ذلك الموقف الرسالي العظيم يهزّ الامّة و يشجّعها أن لا تموت هوانا و ذلًا، رافضا بيعه الطليق ابن الطليق يزيد بن معاوية قائلا: «إنّ مثلي لا يبايع مثله».

و ها هو يصرّح لأخيه محمد بن الحنفية مجسّدا ذلك الإباء بقوله (عليه السلام):

«يا أخى! و الله لو لم يكن فى الدنيا ملجأ و لا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية»^{٥٩}.

و رغم أنّ الشيطان كان قد استحكم على ضمائر الناس فأماها حتى رضيت بالهوان، لكن الإمام الحسين (عليه السلام) وقف صارخا بوجه جحافل الشرّ و الظلم من جيوش الردّة الاموية قائلا : «و الله لا اعطيكم بيدى إعطاء الدليل و لا أقرّ إقرار العبيد، إننى عذت بربّى و ربكم أن ترجمون»^{٦٠}.

لقد كانت كلمات الإمام أبى عبد الله الحسين (عليه السلام) تعبّر عن أسمى مواقف أصحاب المبادئ و القيم و حملة الرسالات، كما تتمّ عن عزته و اعتداده بالنفس، فقد قال (عليه السلام):

«ألا و إنّ الدعىّ ابن الدعىّ قد ركز بين اثنتين بين السلّة و الذلّة، و هيهات منّا الذلّة، يأبى الله ذلك و رسوله و المؤمنون، و حجور طابت و طهرت، و انوف حميّة، و نفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللثام على مصارع الكرام»^{٦١}.

و هكذا علّم الإمام الحسين (عليه السلام) البشرية كيف يكون الإباء فى المواقف و كيف تكون التضحية من أجل الرسالة.

(١) الفتوح لابن أعثم: ٢٣ / ٥، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١٨٨ / ١، و بحار الأنوار: ٣٢٩ / ٤٤.

(٢) مقتل الحسين للمقرّم: ٢٨٠، و تأريخ الطبري: ٣٣٠ / ٤، و إعلام الورى: ٤٥٩ / ١، و أعيان الشيعة:

٦٠٢ / ١.

(٣) أعيان الشيعة: ٦٠٣ / ١، و الاحتجاج: ٢٤ / ٢، و مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ٦ / ٢.

^{٥٩} (١) الفتوح لابن أعثم: ٢٣ / ٥، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١٨٨ / ١، و بحار الأنوار: ٣٢٩ / ٤٤.

^{٦٠} (٢) مقتل الحسين للمقرّم: ٢٨٠، و تأريخ الطبري: ٣٣٠ / ٤، و إعلام الورى: ٤٥٩ / ١، و أعيان الشيعة:

٦٠٢ / ١.

^{٦١} (٣) أعيان الشيعة: ٦٠٣ / ١، و الاحتجاج: ٢٤ / ٢، و مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ٦ / ٢.

لقد كانت نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) و ثورته بركانا تفجّر في تاريخ الرسالة الإسلامية و زلزالا صاحباً أيقظ ضمير المتقاعسين عن نصره الحقّ، و الكلمة الطيبة التي دعت كلّ الثائرين و المخلصين للعقيدة و الرسالة الإسلامية إلى مواصلة المسيرة في بناء المجتمع الصالح وفق ما أَراده الله تعالى و رسوله (صلى الله عليه و اله).

و قد نهج الإمام الحسين (عليه السلام) منهج الصراحة و المكاشفة موضحاً للامة الخلل و الزيغ و الطريق الصحيح، فهذا هو بكل جرأة يقف أمام الطاغية يحذّره و يمنع عنه التمدادى فى الغيّ و الفساد ... فهذه كتبه (عليه السلام) الى معاوية واضحة لا لبس فيها ينذره و يحذّر من الاستمرار فى ظلمه و يكشف للامة مدى ضلّالته و فساده^{٦٢}.

و بكلّ صراحة و قوة رفض البيعة ليزيد بن معاوية، و قال موضحاً للوليد ابن عتبة حين كان واليا ليزيد : «إنا أهل بيت النبوة، و معدن الرسالة، و مختلف الملائكة و محل الرحمة، بنا فتح الله و بنا ختم، و يزيد فاسق فاجر، شارب للخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق و الفجور، و مثلى لا يبايع مثله»^{٦٣}.

و كانت صراحته ساطعة مع أصحابه و من أعلن عن نصرته، ففي أثناء المسير باتجاه الكوفة وصله نبأ استشهاد مسلم بن عقيل و خذلان الناس له، فقال (عليه السلام) للذين اتبعوه طلباً للعافية : «قد خذلنا شيعتنا فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف غير حرج، ليس عليه ذمام»^{٦٤}.

(١) الإمامة و السياسة: ١ / ١٨٩ و ١٩٥.

(٢) الفتوح: ٥ / ١٤، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١ / ١٨٤، و بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٢٥.

(٣) الإرشاد: ٢ / ٧٥، و تأريخ الطبري: ٣ / ٣٠٣، و البداية و النهاية: ٨ / ١٨٢، و بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٧٤.

ص: ٤٥

فتفرّق عنه ذوو الأطماع و ضعاف اليقين، و بقيت معه الصفوة الخيرة من أهل بيته و أصحابه، و لم يخادع و لم يداهن فى الوقت الذى كان يعزّ فيه الناصر.

و قبل وقوع المعركة أذن لكل من كان قد تبعه من المخلصين فى الانصراف عنه قائلا: «إنى لا أعلم أصحاباً أصحّ منكم و لا أعدل و لا أفضل أهل بيت، فجزاكم الله عنى خيراً، فهذا الليل قد أقبل فقوموا و اتّخذوه جملاً، و ليأخذ كلّ رجل منكم بيد صاحبه أو رجل من إخوتى و تفرّقوا فى سواد هذا الليل، و ذرونى و هؤلاء القوم، فإنّهم لا يطلبون غيرى، و لو أصابونى و قدروا على قتلى لما طلبوكم»^{٦٥}.

^{٦٢} (١) الإمامة و السياسة: 1 / 189 و 195.

^{٦٣} (٢) الفتوح: 5 / 14، و مقتل الحسين للخوارزمي: 1 / 184، و بحار الأنوار: 44 / 325.

^{٦٤} (٣) الإرشاد: 2 / 75، و تأريخ الطبري: 3 / 303، و البداية و النهاية: 8 / 182، و بحار الأنوار: 44 / 374.

^{٦٥} (١) الفتوح: 5 / 105، و تأريخ الطبري: 3 / 315، و أعيان الشيعة: 1 / 600.

و الحقَّ أنَّ من يطالع كلَّ تفاصيل نهضة الإمام الحسين (عليه السَّلام) سيجد الصدق و الصراحة و الجرأة في كلِّ قول و فعل في جميع خطوات نهضته المباركة.

٧- عبادته و تقواه (عليه السَّلام):

ما انقطع أبو عبد الله الحسين (عليه السَّلام) عن الاتِّصال برَّبِّه في كلِّ لحظاته و سكناته، فقد بقي يجسِّد اتِّصاله هذا بصيغة العبادة لله، و يوثِّق العرى مع الخالق جلَّت قدرته، و يشدُّ التضحية بالطاعة الإلهية متفانيا في ذات الله و من أجله، و قد كانت عبادته ثمرة معرفته الحقيقية بالله تعالى.

و إنَّ نظرة واحدة الى دعائه (عليه السَّلام) في يوم عرفه تبرهن على عمق هذه المعرفة و شدة العلاقة مع الله تعالى، و ننقل مقتضا من هذا الدعاء العظيم:

قال (عليه السَّلام): «كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟! أَيْكون لغيرك من

(١) الفتوح: ١٠٥ / ٥، و تأريخ الطبري: ٣ / ٣١٥، و أعيان الشيعة: ١ / ٦٠٠.

ص: ٤٦

الظهور ما ليس لك حتَّى يكون هو المظهر لك؟! متى غبت حتَّى تحتاج الى دليل يدلّ عليك؟! و متى بعدت حتَّى تكون الآثار هي التي توصل اليك؟! عميت عين لا تراك عليها رقبيا، و خسرت صفوة عبد لم تجعل له من حبّك نصيبا ...

إلهي هذا ذلّي ظاهر بين يديك، و هذا حالي لا يخفى عليك . منك أطلب الوصول اليك، و بك استدلّ عليك، فاهدني بنورك اليك، و أقمني بصدق العبودية بين يديك ...

أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتَّى عرفوك و وحدوك، و أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتَّى لم يحبّوا سواك و لم يلجأوا الى غيرك، أنت المؤمنس لهم حيث أو حشتمهم العوالم ...

ماذا وجد من فقدك؟! و ما الذي فقد من وجدك؟!

لقد خاب من رضى دونك بدلا، و لقد خسر من بغى عنك متحوّلا ...

يا من أذاق أحبّاءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملّقين، و يا من ألبس أوليائه ملابس هيبته فقاموا بين يديه مستغفرين ...»^{٦٦}.

و لقد بدا عليه عظيم خوفه من الله و شدة مراقبته له حتَّى قيل له: ما أعظم خوفك من ربّك! فقال (عليه السَّلام): «لا يأمن يوم القيامة إلّا من خاف من الله في الدنيا»^{٦٧}.

^{٦٦} (1) المنتخب الحسني للأدعية و الزيارات: 924 - 925.

صور من عبادته (عليه السلام):

إنَّ العبادة لأهل بيت النبوة (عليهم السلام) هي وجود و حياة، فقد كانت لذَّتهم في مناجاتهم لله تعالى، وكانت عبادتهم له متصلة في الليل والنهار وفي السرِّ والعلن، والإمام الحسين (عليه السلام) - وهو أحد أعمدة هذا البيت الطاهر - كان يقوم

(١) المنتخب الحسنی للأدعية والزيارات: ٩٢٤ - ٩٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ١٩٠ / ٤٤.

ص: ٤٧

بين يدي الجبار مقام العارف المتيقن والعالم العابد، فإذا توضعاً تغير لونه و ارتعدت مفاصله، فليل له في ذلك فقال (عليه السلام): «حق لمن وقف بين يدي الجبار أن يصفر لونه و ترتعد مفاصله»^{٦٨}.

و حرص (عليه السلام) على أداء الصلاة في أخرج المواقف، حتى وقف يؤدّي صلاة الظهر في قمة الملحمة في اليوم العاشر من المحرم^{٦٩} و جيوش الضلالة تحيط به من كل جانب و ترميه من كل صوب.

و كان (عليه السلام) يخرج م تذللاً لله ساعياً الى بيته الحرام يؤدّي مناسك الحجّ بخشوع و تواضع، حتى حجّ خمسا و عشرين حجة ماشياً على قدميه^{٧٠}.

و قد اشتهرت بين محدثي الشيعة و مختلف طبقاتهم مواقفه الخاشعة في عرفات أيام موسم الحجّ، و مناجاته الطويلة لربه و هو واقف على قدميه في ميسرة الجبل و الناس حوله.

لقد كان (عليه السلام) كثير البرّ و الصدقة، فقد روى أنّه ورت أرضاً و أشياء فتصدق بها قبل أن يقبضها، و كان يحمل الطعام في غلس الليل الى مساكين أهل المدينة لم يبتغ بذلك إلّا الأجر من الله و التقرب اليه^{٧١}.

(١) جامع الأخبار: ٧٦، و راجع: إحقاق الحق: ١١ / ٤٢٢.

(٢) ينابيع المودة: ٤١٠، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١٧ / ٢.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٩٣ / ٣، و مجمع الزوائد: ٩ / ٢٠١.

^{٦٧} (٢) بحار الأنوار: ١٩٠ / ٤٤.

^{٦٨} (١) جامع الأخبار: ٧٦، و راجع: إحقاق الحق: ١١ / ٤٢٢.

^{٦٩} (٢) ينابيع المودة: ٤١٠، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١٧ / ٢.

^{٧٠} (٣) سير أعلام النبلاء: ١٩٣ / ٣، و مجمع الزوائد: ٩ / ٢٠١.

^{٧١} (٤) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ١ / ١٣٥.

(٤) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ١ / ١٣٥.

ص: ٤٩

الباب الثاني فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأة الإمام الحسين (عليه السلام) الفصل الثاني:

مراحل حياة الإمام الحسين (عليه السلام) الفصل الثالث:

الإمام الحسين (عليه السلام) من الولادة إلى الإمامة

ص: ٥١

الفصل الأول نشأة الإمام الحسين (عليه السلام)

هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثالث أئمة أهل البيت الطاهرين، و ثاني سبطي رسول الله (صلى الله عليه و اله) و سيد شباب أهل الجنة، و ريحانة المصطفى، و أحد الخمسة أصحاب العبا و سيد الشهداء، و أمه فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله).

تأريخ الولادة:

أكد أغلب المؤرخين أنه (عليه السلام) ولد بالمدينة في الثالث من شعبان في السنة الرابعة من الهجرة^{٧٢}.

و ثمة مؤرخون أشاروا إلى أن ولادته (عليه السلام) كانت في السنة الثالثة^{٧٣}.

رؤيا أم أيمن:

أول رسول الله (صلى الله عليه و اله) رؤيا للسيدة أم أيمن - كانت قد فزعت منها حين

(١) تأريخ ابن عساكر: ٣١٣ / ١٤، و مقاتل الطالبين: ٧٨، و مجمع الزوائد: ١٩٤ / ٩، و اسد الغابة: ١٨ / ٢، و الإرشاد: ١٨.

(٢) اصول الكافي: ٤٦٣ / ١، و الاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة: ٣٧٧ / ١.

ص: ٥٢

^{٧٢} (١) تأريخ ابن عساكر: ٣١٣ / ١٤، و مقاتل الطالبين: ٧٨، و مجمع الزوائد: ١٩٤ / ٩، و اسد الغابة: ١٨ / ٢، و الإرشاد: ١٨.
^{٧٣} (٢) اصول الكافي: ٤٦٣ / ١، و الاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة: ٣٧٧ / ١.

رأت أن بعض أعضائه (صلى الله عليه و اله) ملقى في بيتها- بولادة الحسين (عليه السلام) الذي سيحل في بيتها صغيرا للرضاعة، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

أقبل جيران أم أيمن الى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فقالوا: يا رسول الله، إن أم أيمن لم تتم البارحة من البكاء، لم تزل تبكي حتى أصبحت، فبعث رسول الله الى أم أيمن فجاءته فقال لها: يا أم أيمن، لا أبكي الله عينك، إن جيرانك أتوني وأخبروني أنك لم تزلي الليل تبكين أجمع، فلا أبكي الله عينك ما الذي أبكاك؟ قالت: يا رسول الله، رأيت رؤيا عظيمة شديدة، فلم أزل أبكي الليل أجمع، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه و اله): فقصّيها على رسول الله فإن الله و رسوله أعلم، فقالت: تعظم على أن أتكلّم بها، فقال لها: إن الرؤيا ليست على ما ترى، فقصّيها على رسول الله. قالت:

رأيت في ليلتي هذه كأن بعض أعضائك ملقى في بيتي، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه و اله): نامت عينك يا أم أيمن، تلد فاطمة الحسين فترينه و تلبنه^{٧٤} فيكون بعض أعضائي في بيتك^{٧٥}.

الوليد المبارك:

و وضعت سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) وليدها العظيم، و زفّت البشري الى الرسول (صلى الله عليه و اله)، فأسرع الى دار عليّ و الزهراء (عليهما السلام)، فقال لأسماء بنت عميس: «يا أسماء هاتي ابني»، فحملته إليه و قد لفّ في خرقة بيضاء، فاستبشر النبي (صلى الله عليه و اله) و ضمّه اليه، و أدّن في اذنه اليمنى و أقام في اليسرى، ثمّ وضعه في حجره و بكى، فقالت أسماء: فداك أبي و امي، ممّ بكاؤك؟ قال (صلى الله عليه و اله): «من ابني هذا». قالت: إنه ولد الساعة، قال (صلى الله عليه و اله): «يا أسماء!

(١) أي: تسقينه اللبن.

(٢) بحار الأنوار: ٢٤٢ / ٤٣.

ص: ٥٣

تقتله الفئة الباغية من بعدى، لا أنالهم الله شفاعتي...»^{٧٦}.

ثمّ إنّ الرسول (صلى الله عليه و اله) قال لعليّ (عليه السلام): أيّ شيء سمّيت ابني؟ فأجابه عليّ (عليه السلام): «ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله». و هنا نزل الوحي على حبيب الله محمّد (صلى الله عليه و اله) حاملا اسم الوليد من الله تعالى، و بعد أن تلقّى الرسول أمر الله بتسمية وليده الميمون، التفت الى عليّ (عليه السلام) قائلا: «سمّه حسيناً».

و في اليوم السابع أسرع الرسول (صلى الله عليه و اله) الى بيت الزهراء (عليها السلام) فعقّ عن سبطه الحسين كبشا، و أمر بحلق رأسه و التصدّق بزنة شعره فضّة، كما أمر بختنه^{٧٧}.

^{٧٤} (١) أي: تسقينه اللبن.

^{٧٥} (٢) بحار الأنوار: 242 / 43.

^{٧٦} (١) إعلام الوري بأعلام الهدى: 1 / 427.

و هكذا أجرى للحسين السبط ما أجرى لأخيه الحسن السبط من مراسم.

اهتمام النبي (صلى الله عليه و اله) بالحسين (عليه السلام):

لقد تضافرت النصوص الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) بشأن الحسين (عليه السلام) و هي تبرز المكانة الرفيعة التي يمثلها في دنيا الرسالة و الامة. و نختار هنا عدة نماذج منها للوقوف على عظيم منزلته:

١- روى سلمان أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول في الحسن و الحسين (عليهما السلام): «اللهم إني أحبهما فأحبهما و احب من أحبهما»^{٧٨}.

٢- «من أحب الحسن و الحسين أحبته، و من أحبته أحبه الله، و من أحبه الله عز و جل أدخله الجنة، و من أبغضهما أبغضته، و من أبغضته أبغضه الله، و من أبغضه الله

(١) إعلام الوري بأعلام الهدى: ١ / ٤٢٧.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢ / ٢٥، إعلام الوري: ١ / ٤٢٧.

(٣) الإرشاد: ٢ / ٢٨.

ص: ٥٤

خلده في النار»^{٧٩}.

٣- «إن ابني هذين ريحانتاي من الدنيا»^{٨٠}.

٤- روى عن ابن مسعود أنه قال: كان النبي (صلى الله عليه و اله) يصلّي فجاء الحسن و الحسين (عليهما السلام) فارتدفاه، فلما رفع رأسه أخذهما أخذا رفيقا، فلما عاد عادا، فلما انصرف أجلس هذا على فخذه الأيمن و هذا على فخذه الأيسر، ثم قال:

«من أحبني فليحب هذين»^{٨١}.

٥- «حسين مني و أنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»^{٨٢}.

^{٧٧} (٢) عيون أخبار الرضا: ٢ / ٢٥، إعلام الوري: ١ / ٤٢٧.

^{٧٨} (٣) الإرشاد: ٢ / ٢٨.

^{٧٩} (١) الإرشاد: ٢ / ٢٨.

^{٨٠} (٢) الإرشاد: ٢ / ٢٨، و صحيح البخاري: ٢ / ١٨٨، و سنن الترمذي: ٥ / ٦١٥ ح ٣٧٧٠.

^{٨١} (٣) مستدرک الحاكم: ٣ / ١٦٦، و كفاية الطالب: ٤٢٢، و إعلام الوري: ١ / ٤٣٢.

^{٨٢} (٤) بحار الأنوار: ٤٣ / ٢٦١، و مسند أحمد: ٤ / ١٧٢، و صحيح الترمذي: ٥ / ٦٥٨ ح ٣٧٧٥.

٦- «الحسن و الحسين خير أهل الأرض بعدى و بعد أبيهما، و أمهما أفضل نساء أهل الأرض»^{٨٣}.

٧- «الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنة»^{٨٤}.

٨- عن برة ابنة أميّة الخزاعي أنّها قالت : لما حملت فاطمة (عليها السّلام) بالحسن خرج النّبيّ (صلى الله عليه و اله) فى بعض وجوهه فقال لها : «إنّك ستلدين غلاما قد هنّأتى به جبرئيل، فلا ترضعيه حتّى أصير اليك » قالت: فدخلت على فاطمة حين ولدت الحسن (عليه السّلام) و له ثلاث ما أرضعته، فقلت لها : أعطينيّه حتّى ارضعه، فقالت : «كلّا» ثمّ أدركتها رقة الامهات فأرضعته، فلمّا جاء النّبيّ (صلى الله عليه و اله) قال لها: «ماذا صنعت؟» قالت: «أدركنى عليه رقة الامهات فأرضعته» فقال: «أبى الله

(١) الإرشاد: ٢ / ٢٨.

(٢) الإرشاد: ٢ / ٢٨، و صحيح البخارى: ٢ / ١٨٨، و سنن الترمذى: ٥ / ٦١٥ ح ٣٧٧٠.

(٣) مستدرک الحاكم: ٣ / ١٦٦، و كفاية الطالب: ٢٢٢، و إعلام الوری: ١ / ٤٣٢.

(٤) بحار الأنوار: ٤٣ / ٢٦١، و مسند أحمد: ٤ / ١٧٢، و صحيح الترمذى: ٥ / ٦٥٨ ح ٣٧٧٥.

(٥) بحار الأنوار: ٤٣ / ٢٦١، و عيون أخبار الرضا: ٢ / ٦٢.

(٦) سنن ابن ماجه: ١ / ٥٦، و الترمذى: ٥ / ٦١٤ ح ٣٧٦٨، و بحار الأنوار: ٤٣ / ٢٦٥.

ص: ٥٥

عزّ و جلّ إلّا ما أراد».

فلما حملت بالحسين (عليه السّلام) قال لها: «يا فاطمة إنّك ستلدين غلاما قد هنّأتى به جبرئيل فلا ترضعيه حتى أجيء اليك و لو أقمت شهرا»، قالت: «أفعل ذلك»، و خرج رسول الله (صلى الله عليه و اله) فى بعض وجوهه، فولدت فاطمة الحسين (عليه السّلام) فما أرضعته حتى جاء رسول الله فقال لها : «ماذا صنعت؟» قالت: «ما أرضعته» فأخذه فجعل لسانه فى فمه فجعل الحسين يمصّ، حتى قال النّبيّ (صلى الله عليه و اله) : «إيها حسين إيها حسين»!! ثمّ قال: «أبى الله إلّا ما يريد، هي فيك و فى ولدك»^{٨٥} يعنى الإمامة.

^{٨٣} (5) بحار الأنوار: 43 / 261، و عيون أخبار الرضا: 2 / 62.

^{٨٤} (6) سنن ابن ماجه: 1 / 56، و الترمذى: 5 / 614 ح 3768، و بحار الأنوار: 43 / 265.

^{٨٥} (1) بحار الأنوار: 43 / 254، و راجع: المناقب: 3 / 50.

٩- إنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَانَ جَالِسًا فَأَقْبَلَ الْحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، فَلَمَّا رَآهُمَا النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَامَ لهُمَا وَاسْتَبْطَأَ بِلَوْغُهُمَا إِلَيْهِ، فَاسْتَقْبَلَهُمَا وَحَمَلَهُمَا عَلَى كَتِفَيْهِ، وَقَالَ : «نَعَمْ الْمَطِيُّ مَطِيَّكُمَا، وَنَعَمْ الرَّاكِبَانِ أَنْتُمَا، وَأَبُوكُمَا خَيْرٌ مِنْكُمَا»^{٨٦}.

كنيته و ألقابه:

أَمَّا كُنْيَتُهُ فَهِيَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ.

وَأَمَّا أَلْقَابُهُ فَهِيَ: الرَّشِيدُ، وَ الْوَفِيُّ، وَ الطَّيِّبُ، وَ السَّيِّدُ، وَ الزَّكِيُّ، وَ الْمُبَارَكُ، وَ التَّابِعُ لِمَرْضَاءِ اللَّهِ، وَ الدَّلِيلُ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ، وَ السَّبْطُ. وَ أَشْهَرُهَا رَتْبُهُ مَا لَقَّبَهُ بِهِ جَدُّهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي قَوْلِهِ عَنْهُ وَ عَنْ أَخِيهِ: «أَنْهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». وَ كَذَلِكَ السَّبْطُ لِقَوْلِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «حُسَيْنٌ سَبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ»^{٨٧}.

(١) بحار الأنوار: ٢٥٤ / ٤٣، و راجع: المناقب: ٥٠ / ٣.

(٢) بحار الأنوار: ٢٨٥ - ٢٨٦، راجع: ذخائر العقبى: ١٣٠.

(٣) أعيان الشيعة: ٥٧٩ / ١.

ص: ٥٧

الفصل الثاني مراحل حياة الإمام الحسين (عليه السلام)

تنقسم حياة كلِّ إمام من الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الى قسمين متميّزين:

الأوّل: من الولادة الى حين استلامه لمقاليد الإمامة و الولاية المناطة إليه من الله و المنصوص عليها على لسان رسوله و الأئمة (عليهم السلام) أنفسهم.

و الثاني: يبدأ من يوم تصديّه لإدارة أمور المسلمين و المؤمنين الى يوم استشهاده.

و قد يشتمل كلُّ قسم على عدّة مراحل حسب طبيعة الظروف و الأحداث التي تميّز كل مرحلة.

و نحن ندرس الفترة الاولى بجميع مراحلها و أهمّ أحداثها - و هي فترة الولادة حتى الإمامة - في الفصل الثالث من الباب الثاني، بينما ندرس الفترة الثانية بمراحلها المختلفة بشكل تفصيلي في الباب الثالث.

و ينبغي أن نعرف أنّ الفترة الاولى من حياة الإمام الحسين (عليه السلام) كانت ذات أربع مراحل هي:

^{٨٦} (٢) بحار الأنوار: 285-286، راجع: ذخائر العقبى: 130.

^{٨٧} (٣) أعيان الشيعة: 1 / 579.

١- حياته فى عهد جدّه (صلى الله عليه و اله) و هى من السنة (٤) الى (١٠) هجرية.

٢- حياته فى عهد الخلفاء الثلاثة، و هى من السنة (١١) الى (٣٥) هجرية.

٣- حياته فى عهد الدولة العلوية المباركة، أى منذ البيعة مع أبيه الى يوم

ص:٥٨

استشهاده صلوات الله عليه، و هى من السنة (٣٥) الى (٤٠) هجرية.

٤- حياته فى عهد أخيه الحسن المجتبى (عليه السلام) و هى عشر سنوات تقريبا، أى من أواخر شهر رمضان سنة (٤٠) هجرية الى بداية أو نهاية صفر سنة (٥٠) هجرية حيث استشهد الحسن (عليه السلام) و تصدّى هو للأمر من بعده.

و أمّا الفترة الثانية من حياته و هى التى تبدأ بعد استشهاد أخيه (عليه السلام) و تنتهى باستشهاده بأرض الطفّ يوم عاشوراء سنة (٦١) هجرية، فهى ذات مرحلتين متميزتين:

١- المرحلة الاولى: مدّة حياته خلال حكم معاوية، حيث بقى - صلوات الله عليه - ملتزما بالهدنة التى عقدت مع معاوية بالرغم من تخلف معاوية عن كلّ الشروط التى اشترطت عليه من قبل الإمام الحسن (عليه السلام)، و قد جسّد تمرده على كل شروط الصلح بإيعاز السّم الفاتك الى الإمام الحسن (عليه السلام) ليتخلّص من رقيب مناهض و يزيل الموانع عن ترشيح ولده الفاسق يزيد.

٢- المرحلة الثانية: و تبدأ بفوضى معاوية ابنه يزيد حاكما متحكّما فى رقاب المسلمين بعد موت أبيه و سعيه لأخذ البيعة من الحسين (عليه السلام) للقضاء على المعارضة التى كان قد عرف جذورها أيام أبيه . و من هنا تبدأ نهضته التى كانت بركانا تحت الرماد، فانفجرت بانفجار الفسق و الفجور و ظهورهما على مسرح القيادة و جهاز الحكم، فبدأ حركته من المدينة إلى مكّة ثم الى العراق، و توجّ صبره و جهاده بدمائه الطاهرة و دماء أهل بيته و أصحابه الأصفياء التى قدّمها فى سبيل الله تعالى.

ص:٥٩

الفصل الثالث الإمام الحسين (عليه السلام) من الولادة إلى الإمامة

الإمام الحسين (عليه السلام) فى عهد الرسول (صلى الله عليه و اله)

فى حياة النّبىّ (صلى الله عليه و اله) و الرسالة الإسلامية مساحة واسعة لبّيت علىّ و فاطمة و أبنائهما (عليهم السلام) و معانى و دلالات عميقة حيث إنّه البيت الذى سيحتضن الرسالة و يتحمّل عبء الخلافة و مسؤولية صيانة الدين و الامّة.

و كان لا بدّ لهذا البيت أن ينال القسط الأوفى و الحظّ الأوفر من فيض حبّ النّبىّ (صلى الله عليه و اله) و رعايته و ابوّته، فلم يدّخر النّبىّ (صلى الله عليه و اله) و سعا أن يروى شجرته المباركة فى بيت علىّ (عليه السلام) و يتعهّدها صباح مساء

مبيناً أن مصير الأمة مرهون بسلامة هذا البيت و طاعة أهله كما يتجلى ذلك في قوله (صلى الله عليه و اله): «إن علياً راية الهدى بعدى و إمام أوليائي و نور من أطاعني»^{٨٨}.

و حين أشرقت الدنيا بولادة الحسين (عليه السلام)؛ أخذ مكانته السامية في قلب النبي (صلى الله عليه و اله) و موضعه الرفيع في حياة الرسالة.

(١) حلية الأولياء: ٦٧/١، و نظم درر السمطين: ١١٤، و تاريخ ابن عساكر: ١٨٩/٢ ح ٦٨٠، و مقتل الخوارزمي: ٤٣/١، و جامع الجوامع (للسيوطي): ٣٩٦/٦، و منتخب الكنز: ٩٥٣/٦ ح ٢٥٣٩، و الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٠٧، و تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٧٣، و مجمع الزوائد: ١٣٥/٩، و كنز العمال:

١٥٣/٥، و صحيح الترمذي: ٣٢٨/٥ ح ٣٨٧٤، و اسد الغابة: ١٢/٢.

ص: ٦٠

و بعين الخبير البصير و المعصوم المسدّد من السماء و جد النبي (صلى الله عليه و اله) في الوليد الجديد وريثاً للرسالة بعد حين، ثائراً في الأمة بعد زيغ و سكون، مصلحاً في الدين بعد انحراف و اندثار، محيياً للسنة بعد تضييع و إنكار، فراح النبي (صلى الله عليه و اله) يهيئه و يعدّه لحمل الرسالة الكبرى مستعيناً في ذلك بعواطفه و ساعات يومه، و بهديه و علمه؛ إذ عمّا قليل سيضطلع بمهام الإمامة في الرسالة الخاتمة بأمر الله تعالى.

فها هو (صلى الله عليه و اله) يقول: «الحسن و الحسين ابنائ من أحبهما أحبني، و من أحبني أحبه الله، و من أحبه الله أدخله الجنة، و من أبغضهما أبغضني، و من أبغضني أبغضه الله، و من أبغضه الله أدخله النار»^{٨٩}.

و هل الحب إلّا مقدمة الطاعة و قبول الولاية؟ بل هما بعينهما في المآل.

لقد كان النبي (صلى الله عليه و اله) يتألم لبكائه و يتفقّده في يقظته و نومه، يوصي أمّه الطاهرة فاطمة صلوات الله عليها أن تغمر ولده المبارك بكلّ مشاعر الحنان و الرفق^{٩٠}.

حتّى إذا درج الحسين (عليه السلام) صبيّاً يتحرّك شرع النبي (صلى الله عليه و اله) يلفت نظر الناس إليه و يهيئ الأجواء لأن تقبل الأمة وصاية ابن النبي (صلى الله عليه و اله) عليها، فكم تأنّى النبي (صلى الله عليه و اله) في سجوده و الحسين يعلو ظهره (صلى الله عليه و اله) ليظهر للامة حبه له و كذا مكانته، و كم سارع النبي يقطع خطبته ليلقف ابنه القادم نحوه متعزّراً فيرفعه معه على منبره^{٩١}؟ كلّ ذلك ليدلّ على منزلته و دوره الخطير في مستقبل الأمة.

^{٨٨} (١) حلية الأولياء: 67/1، و نظم درر السمطين: 114، و تاريخ ابن عساكر: 189/2 ح 680، و مقتل الخوارزمي: 43/1، و جامع الجوامع (للسيوطي): 396/6، و منتخب الكنز: 953/6 ح 2539، و الفصول المهمة لابن الصباغ: 107، و تاريخ الخلفاء للسيوطي: 173، و مجمع الزوائد: 135/9، و كنز العمال:

153/5، و صحيح الترمذي: 328/5 ح 3874، و اسد الغابة: 12/2.

^{٨٩} (١) مستدرک الحاكم: 166/3، و تاريخ ابن عساكر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام)، و إعلام الوری: 432/1.

^{٩٠} (٢) مجمع الزوائد: 201/9، و سير أعلام النبلاء: 191/3، و ذخائر العقبی: 143.

^{٩١} (٣) مسند أحمد: 354/5، و إعلام الوری: 433/1، و كنز العمال: 168/7، و صحيح الترمذي: 616/5 ح 3774.

(١) مستدرک الحاكم: ٣/ ١٦٦، و تأريخ ابن عساکر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام)، و إعلام الوری: ١/ ٤٣٢.

(٢) مجمع الزوائد: ٩/ ٢٠١، و سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٩١، و ذخائر العقبی: ١٤٣.

(٣) مسند أحمد: ٥/ ٣٥٤، و إعلام الوری: ١/ ٤٣٣، و كنز العمال: ٧/ ١٦٨، و صحيح الترمذی: ٥/ ٦١٦ ح ٣٧٧٤.

ص: ٦١

و حين قدم وفد نصارى نجران يحاجج النبى (صلى الله عليه و اله) فى دعوته إلى الإسلام و عقيدة التوحيد الخالص و امتنع عن قبولها رغم وضوح الحق أمر الله تعالى بالمباهلة، فخرج النبى (صلى الله عليه و اله) إليهم و معه خير أهل الأرض تقوى و صلاحاً و أعزهم على الله مكانةً و منزلةً : على و فاطمة و الحسن و الحسين (عليهم السلام)، ليباهل بهم أهل الكفر و الشرك و انحراف المعتقد، و مدلاً بذلك - فى نفس الوقت - على أنهم أهل بيت النبوة و بهم تقوم الرسالة الإسلامية، فعطأهم من أجل العقيدة لا ينضب^{٩٢}.

و ما كان من النصارى إذ رأوا وجوها مشرقة و طافحة بنور التوحيد و العصمة؛ إلّا أن تراجعوا عن المباهلة و قبلوا بأن يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون.

لقد كانت هذه الفترة القصيرة التى عاشها الحسين (عليه السلام) مع جدّه (صلى الله عليه و اله) من أهمّ الفترات و أروعها فى تأريخ الإسلام كلّّه، فقد وطّد الرسول (صلى الله عليه و اله) فيها أركان دولته المباركة، و أقامها على أساس العلم و الإيمان، و هزم جيوش الشرك، و هدم قواعد الإلحاد، و أخذت الانتصارات الرائعة تترى على الرسول (صلى الله عليه و اله) و أصحابه الأوفياء حيث أخذ الناس يدخلون فى دين الله أفواجا.

و فى غمرة هذه الانتصارات فوجئت الأمة بالمصاب الجلل حين توفّى رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فخيم الأسى العميق على المسلمين و بخاصة على أهل بيته (عليهم السلام) الذين أضنتهم المأساة، و لسعته م حرارة المصيبة بغياب شخص النبى (صلى الله عليه و اله).

(١) مسند أحمد: ١/ ١٨٥، و صحيح مسلم: كتاب الفضائل باب فضائل علي: ٢/ ٣٦٠، و صحيح الترمذی:

٤/ ٢٩٣ ح ٢٠٨٥، و المستدرک على الصحيحين: ٣/ ١٥٠.

ص: ٦٢

ميراث النبى (صلى الله عليه و اله) لسبطيه (عليهما السلام):

^{٩٢} (1) مسند أحمد: 1/ 185، و صحيح مسلم: كتاب الفضائل باب فضائل علي: 2/ 360، و صحيح الترمذی: 4/ 293 ح 2085، و المستدرک على الصحيحين: 3/ 150.

و لما علمت سيّدة نساء العالمين أنّ لقاء أبيها برّبه عزّ وجلّ قريب أتت بابنيها الحسن والحسين (عليهما السّلام) فقالت: يا رسول الله، هذان إبناك فورّتهما شيئا، فقال (صلّى الله عليه و اله): أمّا الحسن فإنّ له هيبتي و سوّدي، و أمّا الحسين فإنّ له شجاعتى و جودى^{٩٣}.

وصيّة النبيّ (صلّى الله عليه و اله) بالسبطين (عليهما السّلام):

و وصّى النبيّ (صلّى الله عليه و اله) الإمام عليّا برعاية سبطيه، و كان ذلك قبل موته بثلاثة أيام، فقد قال له : سلام الله عليك أبا الريحانين، اوصيك بريحانتى من الدنيا، فعن قليل ينهدّ ركناك، و الله خليفتي عليك، فلمّا قبض رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قال علىّ:

هذا أحد ركنى الذى قال لى رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، فلمّا ماتت فاطمة (عليها السّلام) قال علىّ:

هذا الركن الثانى الذى قال لى رسول الله^{٩٤}.

لوعة النبيّ (صلّى الله عليه و اله) على الحسين (عليه السّلام):

حضر الإمام الحسين (عليه السّلام) عند جدّه الرسول (صلّى الله عليه و اله) حينما كان يعاني آلام المرض و يقترب من لحظات الاحتضار، فلمّا رآه ضمّه الى صدره و جعل يقول: «ما لى و ليزيد؟! لا بارك الله فيه.» ثمّ غشى عليه طويلا، فلمّا أفاق أخذ يوسع الحسين تقبيلًا و عيناه تفيضان بالدموع، و هو يقول : «أما إنّ لى و لقاتلك موقفا بين يدى الله عزّ و جلّ»^{٩٥}.

(١) بحار الأنوار: ٢٦٣ / ٤٣، و مناقب آل أبي طالب: ٢ / ٤٦٥ و نظم درر السمطين: ٢١٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦٢ / ٤٣.

(٣) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام)، باقر شريف القرشى: ١ / ٢١٨، نقلا عن مثير الأحزان.

و فى اللحظات الأخيرة من عمره الشريف (صلّى الله عليه و اله) ألقي السبطان (عليهما السّلام) بأنفسهما عليه و هما يخرقان الدموع و النبيّ (صلّى الله عليه و اله) يوسعهما تقبيلًا، فأراد أبوهما أمير المؤمنين (عليه السّلام) أن ينحيهما عنه فأبى (صلّى الله عليه و اله) و قال له: «دعهما يتزوّدا منى و أتزوّد منهما فستصيبهما بعدى إثره»^{٩٦}.

^{٩٣} (١) بحار الأنوار: 263 / 43، و مناقب آل أبي طالب: 2 / 465 و نظم درر السمطين: 212.

^{٩٤} (2) بحار الأنوار: 262 / 43.

^{٩٥} (3) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام)، باقر شريف القرشى: 1 / 218، نقلا عن مثير الأحزان.

^{٩٦} (1) مقتل الحسين للخوارزمي: 1 / 114.

ثمّ التفت (صلى الله عليه و اله) الى عواده فقال لهم : قد خلّفت فيكم كتاب الله و عترتى أهل بيتى، فالمضيّع لكتاب الله كالمضيّع لسنّتى، و المضيّع لسنّتى كالمضيّع لعترتى، إنّهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض^{٩٧}.

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ١/ ١١٤.

(٢) المصدر السابق.

ص: ٦٤

٩٨

الإمام الحسين (عليه السّلام) فى عهد الخلفاء

الحسين (عليه السّلام) فى عهد أبى بكر:

لقد كان أهل البيت (عليهم السّلام) بما فيهم الحسن و الحسين (عليهما السّلام) مفجوعين بوفاء الرسول (صلى الله عليه و اله)، و ألم المأساة يهيمن على قلوبهم و هم م شغولون بجهاز أعظم نبى عرفه التاريخ الإنسانى، إذ توجّهت إليهم صدمة اخرى ضاعفت آلامهم و بددت آمالهم التى غرسها رسول الله (صلى الله عليه و اله) فى نفوسهم و نفوس الامة.

إنها صدمة مصادرة الخلافة و تنحية الإمام على (عليه السّلام) عن مسرح القيادة و مصادرة المنصب الذى نصبه فيه الرسول (صلى الله عليه و اله) بأمر الله تعالى.

و كانت هذه الصدمة العنيفة بداية لمسلسل القلق و الاضطهاد الذى فرضه الخط الحاكم بعد الرسول (صلى الله عليه و اله) على أهل بيت الرسول (صلى الله عليه و اله)؛ لتحقيق العزل التام و الإبعاد الكامل لهم عن موقع القيادة بعد الرسول (صلى الله عليه و اله).

لوعة شهادة الزهراء (عليها السّلام):

كان لوفاء الرسول (صلى الله عليه و اله) وقع مؤلم فى روح الإمام الحسين الطاهرة، و هو لم يكن بعد قد أنهى ربيع الثامن.

^{٩٧} (2) المصدر السابق.

^{٩٨} گروه مؤلفان، أعلام الهدية - قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق.

و ما هي إلّا مدّة قصيرة و إذا بالحسين (عليه السّلام) يفجع باستشهاد أمّه فاطمة بنت رسول الله بتلك الصورة المأساوية بعد أن ظلّت تعاني من الظلم و القهر و ألم اغتصاب حقّها طوال الأيام التي عاشتها بعد أبيها (صلّى الله عليه و اله) فكانت تنعكس معاناتها في روحه اللطيفة؛ إذ كان كلّما نظر الى أمّه بعد وفاة أبيها شاهداها باكيةً محزونة القلب منكسرة الخاطر.

ص: ٦٥

و قد روى: أنّها سلام الله عليها ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة، و تقول لولديها: أين أبو كما الذي كان يكرمكما و يحملكما مرّة بعد مرّة؟

أين أبو كما الذي كان أشدّ الناس شفقةً عليكما، فلا يدعكما تمشيان على الأرض؟ و لا أراه يفتح هذا الباب أبداً و لا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما^{٩٩}.

و روى أن الزهراء (عليها السّلام) بعد وفاة أبيها (صلّى الله عليه و اله) كانت تصطحب الحسين معها الى البقيع حيث تظلل تبكي الى المساء، فيأتي أمير المؤمنين (عليه السّلام) فيعود بهم الى البيت.

و نقل الرواة عن أسماء بنت عميس قصّة استشهادها مفصّلاً، و قد جاء فيها أنّ الحسن و الحسين (عليهما السّلام) دخلا البيت بعيد وفاة أمّهما فقالا: يا أسماء! ما ينيم أمنا في هذه الساعة؟! قالت: يا ابني رسول الله ليست أمكما نائمة، بل فارقت روحها الدنيا. فوقع عليها الحسن يقبلها مرّة و يقول: يا أمّاه كلّمني قبل أن تفارق روحي بدني. قالت و أقبل الحسين يقبل رجلها و يقول: يا أمّاه أنا ابنك الحسين كلّمني قبل أن يتصدّع قلبي فأموت. قالت لهما أسماء: يا ابني رسول الله! انطلقا الى أبيكما علىّ فأخبراه بموت أمكما، فخرجا حتى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء، فابتدرهما جميع الصحابة، فقالوا: ما يبكيكما يا ابني رسول الله؟ لا أبكي الله أعينكما^{١٠٠}.

و جاء في نص آخر أنّه بعد أن فرغ أمير المؤمنين (عليه السّلام) من تغسيل الزهراء (عليها السّلام) نادى: يا أمّ كلثوم! يا زينب! يا سكينّة! يا فضّة! يا حسن! يا حسين! هلمّوا

(١) بحار الأنوار: ٤٣ / ١٨١.

(٢) المصدر السابق: ١٨٦.

ص: ٦٦

تزوّدوا من أمّكم، فهذا الفراق، و اللقاء الجنّة. فأقبل الحسن و الحسين (عليهما السّلام) و هما يناديان: وا حسرة لا تتطفئ أبداً من فقد جدّنا محمد المصطفى و أمنا فاطمة الزهراء! فقال أمير المؤمنين علىّ (عليه السّلام): إنّني أشهد الله أنّها قد حنّت

^{٩٩} (١) بحار الأنوار: 43 / 181.
^{١٠٠} (٢) المصدر السابق: 186.

و أنت و مدت يديها و ضمّتهم الى صدرها ملياً، و إذا بهاتف من السماء ينادى : يا أبا الحسن! ارفعهما فلقد أبكيا و الله ملائكة السماوات^{١٠١}.

و ذكرت أكثر الروايات أنّ الحسن و الحسين (عليهما السّلام) حضرا مراسم الصلاة على جنازة أمّهما (عليها السّلام) و تولّى غسلها و تكفينها أمير المؤمنين (عليه السّلام)، و أخرجها من بيتها و معه الحسن و الحسين فى الليل، و صلّوا عليها ...^{١٠٢}.

لقد فجّع الحسين (عليه السّلام) و خلال فترة قصيرة بحادثتين عظيمتين مؤلمتين : الاولى وفاة جدّه رسول الله (صلّى الله عليه و اله)، و الثانية استشهاد والدته فاطمة بنت الرسول (صلّى الله عليه و اله) بعد ما جرى عليها من أنواع الجفاء و الظلم.

و إذا أضفنا الى ذلك مأساة غضب حقوق أبيه أمير المؤمنين (عليه السّلام) و مأساة إبعاده عن المسرح السياسى ليصبح جليس بيته؛ تجلّت لنا شدة المحن و المصائب التى أحاطت بالحسين (عليه السّلام) و هو فى صغر سنّه.

و لقد تعمّقت مصائب الإمام الحسين (عليه السّلام) بسبب أنواع الحصار المفروض من قبل خطّ الخلافة و فتذاك على أصحاب الرسول (صلّى الله عليه و اله) الأوفياء لخطّه الرسالى و على بن أبى طالب أمير المؤمنين (عليه السّلام) بشكل خاص، مثل منع الخمس و سائر الحقوق من الوصول اليه، كما تجلّى ذلك بوضوح فى تأميم «فدك» و الذى كان من أهدافه ممارسة ضغوط مالية اخرى على أهل بيت النبى (صلّى الله عليه و اله) و أبناء أمير المؤمنين (عليهم السّلام).

(١) بحار الأنوار: ١٧٩ / ٤٣.

(٢) المصدر السابق: ٢١٢.

ص: ٦٧

الحسين (عليه السّلام) فى عهد عمر بن الخطاب:

و فى عهد عمر بن الخطاب اتّخذ الحصار أبعادا أكثر خطورة، فقد ذكر المؤرّخون أنّ عمر حظر على أصحاب الرسول (صلّى الله عليه و اله) الخروج من المدينة إلّا بترخيص منه، و قد طال الحظر أمير المؤمّنين بنى على بن أبى طالب (عليه السّلام) حتى مثّل هذا الأمر نمطا آخر من الضغوط التى مورست على أهل بيت الوحي الطاهرين.

أجل لقد أدّت هذه الممارسات القهرية و المواقف الظالمة الى إقصاء على أمير المؤمنين (عليه السّلام)، و جعلته جليس بيته، و من ثمّ تغييبه عن الميادين السياسية و الاجتماعية حتى صار نسيا منسيا، و إن كان الخليفة يرجع إليه فى بعض المسائل أحيانا، و لعلّ السبب فى عدم إبعاده عن المدينة، هو حاجته إليه فى القضايا التى كانت تستجد للخليفة، و لم يكن بمقدور أحد غير على (عليه السّلام) أن يقدّم الحلّ المقبول لها.

^{١٠١} (١) بحار الأنوار: 179 / 43.

^{١٠٢} (٢) المصدر السابق: 212.

و بلحكمة السديدة و الصبر الجميل كظم أمير المؤمنين (عليه السلام) غيظه متغاضيا عن حقه الذي استأثر به عمر بعد أبي بكر من دون حق شرعي و لا حجة بالغة، و في كل ذلك عاش الحسين (عليه السلام) مع آلام أبيه (عليه السلام)، و رأى كيفية تعامله مع الحدث، و هو يحمل ه موم الامة الإسلامية و يقلقه مصيرها، إنه يتذكر كيف كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) يؤثر عليا على كل من عداه و يوصي به الامة المرة بعد المرة، و لكنه الآن مقصى عن مقامه، فما كان يملك إلا أن يكتنم أحاسيسه و مشاعره.

يروى: أن عمر ذات يوم كان يخطب على المنبر فلم يشعر إلا و الحسين (عليه السلام) قد صعد إليه و هو يهتف: «انزل عن منبر أبي و اذهب إلى منبر أبيك».

ص: ٦٨

و بهت عمر و استولت الحيرة عليه، و راح يصدقه و يقول له: صدقت لم يكن لأبي منبر، و أخذه فأجلسه إلى جنبه، و جعل يفحص عمر أو عز إليه بذلك قائلا له: من علمك؟ فأجابه الإمام الحسين (عليه السلام): «و الله ما علمني أحد»^{١٠٣}.

و قد كان الحق يقضى بأن لا يكتفى عمر بالتصديق الكلامي للحسين من دون إعادة حقه في فدك و الخمس إليه، و إعادة حق والده في الخلافة إليه، إطاعة لله و للرسول (صلى الله عليه و اله).

و يروى أيضا: أن عمر كان معنيا بالإمام الحسين (عليه السلام) حتى طلب منه أن يأتيه إذا عرض له أمر. و قصده الحسين (عليه السلام) يوما و معاوية عنده، و رأى ابنه عبد الله فطلب (عليه السلام) الإذن منه فلم يأذن له فرجع معه، و التقى به عمر في الغد فقال له: ما منعك يا حسين أن تأتيني؟ قال الحسين (عليه السلام): «إنني جئت و أنت خال بمعاوية فرجعت مع ابن عمر» قال عمر: أنت أحق من ابن عمر، فإنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ثم أنتم^{١٠٤}.

الحسين (عليه السلام) في عهد عثمان:

بخلق الرسالة و آداب النبوة و بالفضائل السامية أطل الإمام الحسين (عليه السلام) على مرحلة الرجولة في العقد الثالث من العمر، يعيش أجواء أبيه المحتسب و هو يرى اللعبة السياسية تتلون و الهدف واحد، و هو أن لا يصل على (عليه السلام) و بنوه إلى زعامة الدولة الإسلامية بل تبقى الخلافة بعيدة عنهم، فهاهو ابن الخطاب لا يكتفى بحمل الامة على ما لا تطيق من جفاء رأيه و طبعه و أخطاء اجتهداته؛ حتى ابتلاها بالشورى السداسية التي انبثقت منها خلافة عثمان.

(١) الإصابة: ١ / ٣٣٢.

(٢) المصدر السابق.

ص: ٦٩

^{١٠٣} (١) الإصابة: ١ / 332.
^{١٠٤} (٢) المصدر السابق.

و لقد وصف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه المرحلة و هو الذى آثر مصلحة الدين و الامّة على حقّه الخاص فى الزعامة فصر صبرا مرّاً حتّى قال:

فصبرت و فى العين قذى، و فى الحلق شجا، أرى ترائى نهبا، حتى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطّاب بعده، فصيرها فى حوزة خشناء يغلظ كلمها و يخشن مسّها، و يكثر العثار فيها، فصبرت على طول المدّة و شدّة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها فى جماعة زعم أنّى أحدهم، فيا لله و للشورى، متى اعترض الريب فى الأوّل منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر؟!^{١٠٥}.

و ازدادت محنة أهل البيت (عليهم السلام) و تضاعفت مهمّتهم صعوبة، و هم يواجهون عصرا جديدا من الانحراف بالخلافة، و هو عصر يتطلّب جهودا أضخم و سعيّا أكبر لكى لا تضع الامّة و الرسالة، و لكنّ لونا متميزا من المعاناة القاسية بدأ واضحا يصبغ حياة الامّة الإسلامية، فإنّ خيار رجالها من صحابة رسول الله (صلى الله عليه و اله) يهانون و يضربون و ينفون فى الوقت الذى تتسابق على مراكز الدولة شرارها من الطلقاء و أبنائهم، تحت ظلّ ضعف عثمان و جهله بالامور أحيانا و عصبيّته القبليّة الامويّة أحيانا اخرى^{١٠٦}.

و عاش الحسين (عليه السلام) معاناة الامّة و هى تنتفض على ف ساد حكم عثمان فى مخاض عسير، فتمتدّ الأيادى المظلومة لتزيح الخليفة الحاكم بقوة السيف.

و فى خطبة الإمام علىّ (عليه السلام) المعروفة بالشقشقيّة و التى وصف فيها محنة الامّة بتولّى الخلفاء الثلاثة دفة الحكم قبله تصوير دقيق لما جرى فى حكم عثمان بن عفّان؛ إذ قال (عليه السلام):

(١) نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٥٧.

ص: ٧٠

إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه^{١٠٧} بين ثنيه^{١٠٨}، و معتلفه^{١٠٩}، و قام معه بنو أبيه يخضمون^{١١٠} مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع^{١١١}، إلى أن انتكث عليه قتله^{١١٢}، و أجهز^{١١٣} عليه عمله، و كبت^{١١٤} به بطنته^{١١٥}.

^{١٠٥} (١) نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

^{١٠٦} (٢) تاريخ الخلفاء: 57.

^{١٠٧} (١) نافجا حضنيه: رافعهما، و الحصن: ما بين الإبط و الكشح.

^{١٠٨} (٢) النثيل: الروث و قدر الدواب.

^{١٠٩} (٣) المعتلف: موضع العلف.

^{١١٠} (٤) الخضم: أكل الشيء الرطب.

^{١١١} (٥) النبتة بكسر النون: كالنبات فى معناه.

^{١١٢} (٦) انتكث عليه قتله: انتقض.

^{١١٣} (٧) أجهز عليه: تمّم قتله.

^{١١٤} (٨) كبت به: من كبا الجواد إذا سقط بوجهه.

^{١١٥} (٩) البطنة بالكسر: البطر و الأشر و التخمة.

موقف مع أبي ذر الغفاري:

أمعن الخليفة عثمان بن عفان في التنكيل بالمعارضين و المندّدين بسياسته غير مراعاة كرامة أحد من صحابة الرسول (صلى الله عليه و اله) الذين طالتهم يده، فصبّ عليهم جام غضبه و بالغ في ظلمهم و إرهابهم، و كان أبو ذر الغفاري - و هو أقدم أصحاب الرسول (صلى الله عليه و اله) الذين سبقوا إلى الإسلام- واحدا من المندّدين بسياسة عثمان و الرافضين لها، و قد نهاه عثمان عن ذلك فلم ينته، فالتاع عثمان و ضاق به ذرعا فأبعده الى الشام، و في الشام أخذ أبو ذر يوقظ الناس و يدعوهم الى الحذر من السياسة الاموية التي كان ينتهجها معاوية ابن أبي سفيان و الى عثمان الاموي على الشام.

لقد غضب معاوية على حركة أبي ذر و كتب الى عثمان يخبره بخطرته عليه، فاستدعاه الى المدينة، لكن هذا الصحابي الجليل واصل مهمّة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و التحذير من خطر الاموية الدخيلة على

(١) نافجا حضيئه: رافعهما، و الحضن: ما بين الإبط و الكشح.

(٢) النشيل: الروث و قذر الدواب.

(٣) المعتلف: موضع العلف.

(٤) الخضم: أكل الشيء الرطب.

(٥) النبتة - بكسر النون -: كالنبات في معناه.

(٦) انتكث عليه قتله: انتقض.

(٧) أجهز عليه: تمّم قتله.

(٨) كبت به: من كبا الجواد إذا سقط بوجهه.

(٩) البطنة - بالكسر -: البطر و الأشر و التخمة.

ص: ٧١

الاسلام و المسلمين، فرأى عثمان أنّ خير وسيلة للتخلّص من معارضة أبي ذر هي نفيه الى جهة نائية لا سكن فيها، فأمر بإبعاده الى الربذة موعزا الى مروان بن الحكم بأن يمنع المسلمين من مشايعته و توديعه، و لكنّ أهل الحقّ أبوا إلّا مخالفة عثمان، فقد انطلق لتوديعه - بشكل علني - الإمام علي (عليه السّلام) و الحسنان (عليهما السّلام) و عقيّل و عبد الله بن جعفر و عمّار بن ياسر رضي الله عنهم . و قد نقل المؤرّخون كلمات حكيمة و ساخنة للمودّعين استنكروا خلالها الحكم العثماني الجائر ضده، و قد جاء في كلمة الإمام الحسين (عليه السّلام) ما نصّه:

يا عمّاه! إنّ الله تبارك و تعالى قادر أن يغيّر ما قد ترى، إنّ الله كلّ يوم هو فى شأن، و قد منعك القوم دنياهم، و منعهم دينك، فما أغناك عمّا منعوك، و أحوجهم الى ما منعهم؟

فاسأل الله الصبر، و استعذ به من الجشع و الجزع، فإنّ الصبر من الدين و الكرم، و إنّ الجشع لا يقدّم رزقا و الجزع لا يؤخّر أجلا^{١١٦}.

و بكى أبو ذر بكاء مرّا، فألقى نظرة الوداع الأخيرة على أهل البيت (عليهم السّلام) الذين أخلص لهم الودّ و أخلصوا له، و خاطبهم بقوله:

«رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة، إذا رأيتمكم ذكرت بكم رسول الله (صلى الله عليه و اله)، ما لى بالمدينة سكن و لا شجن غيركم، إننى ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام، و كره أن اجاور أخاه و ابن خاله بالمصريين فافسد الناس عليهما فسيّرني الى بلد ليس لى به ناصر و لا دافع إلّا الله، و الله ما اريد إلّا الله صاحبا، و ما أخشى مع الله وحشة»^{١١٧}.

(١) بحار الأنوار: ٢٢ / ٤١٢، و راجع: مروج الذهب: ٢ / ٣٥٠.

(٢) المصدر السابق.

ص: ٧٢

الإمام الحسين (عليه السّلام) فى عهد الدولة العلوية

انتهى حكم الخلفاء الثلاثة بمقتل عثمان، و انتهت بذلك خمسة و عشرون عاما، من العناء الناشئ عن إقصاء الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السّلام) عن الحياة السياسية و الاجتماعية للمسلمين.

و قد أيقن المسلمون أنّ الإمام عليّا (عليه السّلام) هو القائد الذى يحقّق آمالهم و أهدافهم و يعيد لهم كرامتهم، و أنّهم سينعمون فى ظلال حكمه بالحرية و المساواة و العدل فأصروا على مبايعته بالخلافة.

لكن و للأسف الشديد فقد جاءت قناعة الامة هذه متأخرة كثيرا، حيث اصببت الامة بأمراض خطيرة و انحرافات كبيرة، و غابت عنها الروح التضحية و القيم الإيمانية، و تسربت بالأطماع و المنافع الشخصية، و انحدرت نحو التوجّهات الفئويّة الضيقة. من هنا أعلن الإمام على (عليه السّلام) رفضه الكامل لخلافتهم قائلا لهم : لا حاجة لى فى أمركم، فمن اخترتم رضيت.^{١١٨}

^{١١٦} (١) بحار الأنوار: ٢٢ / ٤١٢، و راجع: مروج الذهب: ٢ / ٣٥٠.

^{١١٧} (٢) المصدر السابق.

^{١١٨} (١) بحار الأنوار: ٣٢ / ٧.

و ذلك لعلمه (عليه السلام) بأنّه من الصعب جدّاً أن يعيد الى المجتمع الأحكام الإسلامية التي بدّلها الخلفاء و غيروها باجتهاداتهم الخاطئة، فإنّه (عليه السلام) كان يعرف جيّداً أنّ المجتمع الذي نشأ على تلك الأخطاء سيقف بوجهه و سيعمل جاهداً على مناجزته و الحيلولة بينه و بين تحقيق مخططاته السياسية الهادفة الى تحقيق العدل و القضاء على الجور . هذا و إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) مع سابقته الفريدة الى الإسلام و حنكته السياسية و مؤهلاته القيادية العظيمة لم يستطع الوقوف بوجه الانحراف الذي سرى الى جميع مفاصل المجتمع

(١) بحار الأنوار: ٣٢ / ٧.

ص: ٧٣

الإسلامي، و لم يتمكّن من إعادة هذا المجتمع الى طريق الحقّ و العدالة اللّاحب، إذ وقفت في وجهه فئات من المنافقين و النفعيين و من كان يحمل في نفسه البغض و الكره لله و لرسوله، و قد أكّد ذلك في خطبته الشقشقية بقوله (عليه السلام): فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة^{١١٩} و مرقت^{١٢٠} أخرى و قسط آخرون^{١٢١} كأنهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه يقول : **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجِجُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**^{١٢٢} بلى و الله لقد سمعوها و وعوها و لكنهم حليت الدنيا في أعينهم و راقهم زبرجها^{١٢٣}.

مع أبيه (عليه السلام) في إصلاح الامة:

لقد بادر الإمام عليّ (عليه السلام) الى إعادة الحقّ الى نصابه و العدل الى سيادته، محييا سنّة رسول الله (صلّى الله عليه و اله) في الامة منتهجا الطريق القويم.

و ما أسرع ما وقفت قوى الضلال ضد إصلاحات الإمام (عليه السلام) في مجال الإدارة و في مجال توزيع الأموال و في مجال العدل في القضاء و في مجال مراعاة شؤون الرسالة و شؤون المسلمين!

و لم يتردّد (عليه السلام) في التحرك لفضح خط النفاق و القضاء على الفساد و اجتثاث جذوره لتسلم الرسالة و الامة منه، و قام هو و أهل بيته (عليهم السلام) يخوضون غمار الحروب دفاعا عن الإسلام مقتدين برسول الله (صلّى الله عليه و اله). و شارك الإمام الحسين (عليه السلام) في جميع الحروب التي شنها المنافقون ضدّ الإمام علي (عليه السلام)

(١) نكثت طائفة: نقضت عهدها، و أراد (عليه السلام) بتلك الطائفة الناكثة أصحاب الجمل.

(٢) مرقت: خرجت، و أراد (عليه السلام) بتلك الطائفة المارقة الخوارج أصحاب النهروان.

^{١١٩} (١) نكثت طائفة: نقضت عهدها، و أراد (عليه السلام) بتلك الطائفة الناكثة أصحاب الجمل

^{١٢٠} (٢) مرقت: خرجت، و أراد (عليه السلام) بتلك الطائفة المارقة الخوارج أصحاب النهروان

^{١٢١} (٣) قسط: جار، و أراد (عليه السلام) بالجارين أصحاب صفين

^{١٢٢} (٤) القصص (28): 83.

^{١٢٣} (٥) نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

(٣) قسط: جار، و أراد (عليه السّلام) بالجائرين أصحاب صفّين.

(٤) القصص (٢٨): ٨٣.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

ص: ٧٤

و كان يبرز إلى ساحة القتال بنفسه المقدّسة كلّما اقتضى الأمر و سمح له والده (عليه السّلام) و قد سجّل المؤرّخون خطاباً للإمام الحسين (عليه السّلام) وجّهه لأهل الكوفة لدى تحركهم الى صفّين، جاء فيه بعد حمد الله تعالى و الثناء عليه: يا أهل الكوفة! أنتم الأحبة الكرماء و الشعار دون الدثار، جدّوا في إطفاء ما وتر بينكم و تسهيل ما اتوّعّر عليكم، ألا إنّ الحرب شرّها و ريع و طعمها فظيع، فمن أخذ لها اهبتها و استعدّ لها عدّتها، و لم يألَم كلومها قبل حلولها فذاك صاحبها، و من عاجلها قبل أوّان فرصتها و استبصار سعيه فيها فذاك قمن أن لا ينفع قومه و إن يهلك نفسه، نسأل الله بقوّته أن يدعمكم بالفئته^{١٢٤}.

حرص الإمام عليّ (عليه السّلام) على سلامة الحسين (عليهما السّلام):

قاتل الإمام الحسين (عليه السّلام) في معركة صفّين كما قاتل في معركة الجمل، مع أن بعض الروايات أفادت بأن أمير المؤمنين (عليه السّلام) كان يمنع الحسين (عليهما السّلام) من النزول الى ساحة القتال خشية أن ينقطع نسل رسول الله (صلى الله عليه و اله)؛ إذ كان (عليه السّلام) يقول: إملكوا عنّي هذا الغلام لا يهدّتي، فإنّني أنفس بهذين - يعني الحسن و الحسين (عليهما السّلام) - على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله (صلى الله عليه و اله)^{١٢٥}.

و جاء في نصوص اخرى أنّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) كان يبعث ابنه محمّد ابن الحنفية الى ساحات القتال مرّات عديدة دون أن يسمح للحسين (عليهما السّلام) بذلك، و قد سئل ابن الحنفية عن سرّ ذلك فأجاب: «إنّهما عيناه و أنا يمينه فهو يدفع عن عينه بيمينه»^{١٢٦}. و يعكس هذا الجواب مدى ما كان يحظى به

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١ / ٢٨٤.

(٢) نهج البلاغة: من كلام له (عليه السّلام) في بعض أيام صفّين، و قد رأى ابنه الحسن يتسرّع الى الحرب. باب خطب أمير المؤمنين: ٢٠٧.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١ / ١١٨.

ص: ٧٥

^{١٢٤} (١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: 1 / 284.
^{١٢٥} (٢) نهج البلاغة: من كلام له (عليه السّلام) في بعض أيام صفّين، و قد رأى ابنه الحسن يتسرّع الى الحرب باب خطب أمير المؤمنين: 207.
^{١٢٦} (٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: 1 / 118.

الحسان عند الإمام على (عليه السلام).

و تفيد الأخبار بأن الإمام الحسين (عليه السلام) ظلّ مع أبيه بعد صفين أيضا في جميع الأحداث مثل قضية التحكيم و معركة النهروان.

و معلوم أنّ الأحداث التي عايشها الإمام الحسين مع أبيه (عليهما السلام) كانت مأساوية و مرّة جدّا، و قد بلغت المأساة ذروتها عند ما تأمر الخوارج على قتل أسمى نموذج للإنسان الكامل - بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) - أي عند ما ضرب المجرم عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي إمامه أمير المؤمنين (عليه السلام) على رأسه بالسيف و هو في محراب العبادة.

وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام) للإمام الحسين (عليه السلام):

تدلّ وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسين (عليه السلام) على شدّة اهتمامه به و محبّته له، و قد جاء في نهج البلاغة أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لما ضربه ابن ملجم - لعنه الله - أوصى للحسن و الحسين بالوصية التالية:

«أوصيكما بتقوى الله، و أن لا تبغيا الدنيا و إن بغتكما، و لا تأسفا على شىء منها زوى عنكما، و قولا بالحق، و اعملا للأجر و كونا للظالم خصما، و للمظلوم عوناً. أوصيكما و جميع ولدى و أهلى و من بلغه كتابى بتقوى الله و نظم أمركم و صلاح ذات بينكم؛ فإننى سمعت جدّكما (صلى الله عليه و اله) يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة و الصيام» الله الله فى الأيتام! فلا تغبوا أفواههم، و لا يضيعوا بحضرتكم. و الله الله فى جيرانكم! فإنهم وصيّة نبيّكم، ما زال يوصى بهم حتى ظننا أنّه سيورّتهم. و الله الله فى القرآن! لا يسبقكم بالعمل به غيركم. و الله الله فى الصلاة! فإنّها عمود دينكم. و الله الله فى بيت ربّكم! لا تخلوه ما بقيتم، فإنّه إن ترك لم تناظروا. و الله الله فى الجهاد بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم فى سبيل الله! و عليكم بالتواصل و التبادل، و إياكم و التدابر و التقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف و النهى

ص: ٧٦

عن المنكر فيؤلى عليكم شراركم، ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم. ثم قال: يا بنى عبد المطلب! لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضل تقولون: قتل أمير المؤمنين. ألا لا تقتلنّ بى إلّا قاتلى. انظروا إذا أنا متّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة، و لا تمثّلوا بالرجل؛ فإننى سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول: «إياكم و المثلة و لو بالكلب العقور»^{١٢٧}.

و ثمّة وصية أخرى قيّمة و جامعة خاصّة بالإمام الحسين (عليه السلام) ذكرها ابن شعبة فى تحف العقول، و نحن نقلها لأهمّيّتها حيث تضمّنت حكما غرّاء و وصايا أخلاقية خالدة. و إليك نصّ ما رواه ابن شعبة عن الإمام على (عليه السلام):

«يا بنى! أوصيك بتقوى الله فى الغنى و الفقر، و كلمة الحقّ فى الرضى و الغضب، و القصد فى الغنى و الفقر، و بالعدل على الصديق و العدو، و بالعمل فى النشاط و الكسل، و الرضى عن الله فى الشدّة و الرّخاء، أى بنى ما شر بعده الجنّة بشر، و لا خير بعده النار بخير، و كلّ نعيم دون الجنّة محقور، و كلّ بلاء دون النار عافية.

^{١٢٧} (1) نهج البلاغة: باب الكتب و الرسائل (47).

و اعلم يا بنى! أنه من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره، و من تعرّى من لباس التقوى لم يستتر بشىء من اللباس، و من رضى بقسم الله لم يحزن على ما فاتته، و من سلّ سيف البغى قتل به، و من حفر بئرا لأخيه وقع فيه، و من هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته، و من نسى خطيئته استعظم خطيئته غيره، و من كابد الامور عطب، و من اقتحم الغمرات غرق، و من أعجب برأيه ضلّ، و من استغنى بعقله زلّ، و من تكبر على الناس ذلّ، و من خالط العلماء وقّر . و من خالط الأنذال حقّر. و من سفه على الناس شتم، و من دخل مداخل السوء اتّهم، و من مزح استخفّ به، و من أكثر من شىء عرف به، و من كثر كلامه كثر خطؤه، و من كثر خطؤه قلّ حياؤه، و من قلّ حياؤه قلّ ورعه، و من قلّ ورعه مات قلبه، و من مات قلبه

(١) نهج البلاغة: باب الكتب و الرسائل (٤٧).

ص: ٧٧

دخل النار.

أى بنى! من نظر فى عيوب الناس و رضى لنفسه بها فذاك الأحمق بعينه، و من تفكّر اعتبر، و من اعتبر اعتزل، و من اعتزل سلم، و من ترك الشهوات كان حرّاً، و من ترك الحسد كانت له المحبة عند الناس.

أى بنى! عزّ المؤمن غناه عن الناس، و القناعة مال لا ينفد، و من أكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا بالهيب، و من علم أن كلامه من عمله قلّ كلامه إلّا فيما ينفعه.

أى بنى! العجب ممّن يخاف العقاب فلم يكفّ، و رجا الثواب فلم يتب و يعمل.

أى بنى! الفكرة تورث نورا و الغفلة ظلمة و الجهالة ضلالة، و السعيد من وعظ بغيره، و الأدب خير ميراث، و حسن الخلق خير قرين، ليس مع قطيعة الرحم نماء و لا مع الفجور غنى . أى بنى! العافية عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت إلّا بذكر الله، و واحدة فى ترك مجالسة السفهاء.

أى بنى! من تزىّا بمعاصى الله فى المجالس أورثه الله ذلّا، و من طلب العلم علم. أى بنى! رأس العلم الرفق، و آفته الخرق، و من كنوز الإيمان الصبر على المصائب، و العفاف زينة الفقر، و الشكر زينة الغنى، كثرة الزيارة تورث الملالة، و الطمأنينة قبل الخيرة ضد الحزم، و إعجاب المرء بنفسه يدلّ على ضعف عقله . أى بنى، كم نظرة جلبت حسرة، و كم من كلمة سلبت نعمة.

أى بنى! لا شرف أعلى من الاسلام، و لا كرم أعزّ من التقوى، و لا معقل أحرز من الورع، و لا شفيح أنجح من التوبة، و لا لباس أجمل من العافية، و لا مال أذهب بالفاقة من الرضى بالقوت، و من اقتصر على بلغة الكفاف تعجّل الراحة و تبوّأ خفض الدعة.

أى بنى! الحرص مفتاح التعب و مطيئة النصب و داع الى التقحّم فى الذنوب، و الشره جامع لمساوى العيوب، و كفاك تأديبا لنفسك ما كرهته من غيرك، لأخيك عليك مثل الذى

ص:٧٨

لك عليه، و من تورّط فى الامور بغير نظر فى العواقب فقد تعرّض للنوائب، التدبير قبل العمل يؤمنك الندم، من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ، الصبر جنّة من الفاقة، البخل جلاباب المسكنة، الحرص علامة الفقر، وصول معدم خير من جاف مكثر، لكل شىء قوت و ابن آدم قوت الموت.

أى بنى! لا تؤيس مذنبا، فكم من عاكف على ذنبه ختم له بخير، و كم من مقبل على عمله مفسد فى خر عمره، صائر الى النار.

أى بنى! كم من عاص نجا، و كم من عامل هوى، من تحرّى الصدق خفّت عليه المؤن، فى خلاف النفس رشدتها، الساعات تنتقص الأعمار، ويل للباغين من أحكم الحاكمين و عالم ضمير المضميرين.

يا بنى! بسّ الزاد الى المعاد العدوان على العباد، فى كلّ جرعة شرق، و فى كلّ أكلة غصص، لن تنال نعمة إلّا بفواق اخرى.

ما أقرب الراحة من النصب، و البؤس من النعيم، و الموت من الحياة، و السقم من الصحة ! فطوبى لمن أخلص لله عمله و علمه و حبّه و بغضه و أخذه و تركه و كلامه و صمته و فعله و قوله، و بنخ بنخ لعالم عمل فجّد، و خاف البيات فأعدّ و استعدّ، إن سئل نصح، و إن ترك صمت، كلامه صواب، و سكوته من غير عىّ جواب.

و الويل لمن بلى بحرمان و خذلان و عصيان، فاستحسن لنفسه ما يكرهه من غيره، و أزرى على الناس بمثل ما يأتى.

و اعلم أى بنى! أنّه من لانت كلمته وجبت محبّته، وفّقك الله لرشدك، و جعلك من أهل طاعته بقدرته، إنّّه جواد كريم^{١٢٨}.

(١) تحف العقول: ٨٨ وصايا أمير المؤمنين (عليه السّلام).

ص:٧٩

الإمام الحسين مع أبيه (عليهما السّلام) فى لحظاته الأخيرة:

كان آخر ما نطق به أمير المؤمنين (عليه السّلام) هو قوله تعالى: **لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**، ثمّ فاضت روحه الزكية، تحفّها ملائكة الرحمن، فمادت أركان العدل فى الأرض، و انطمست معالم الدين.

لقد مات ملاذ المظلومين و المحرومين الذى كرّس جهده لإقامة دولة تنهى دور الإثرة و الاستغلال و تقييم العدل و الحقّ بين الناس.

^{١٢٨} (١) تحف العقول: 88 وصايا أمير المؤمنين (عليه السّلام).

وقام سبطا رسول الله (صلى الله عليه و اله) بتجهيز أبيهما المرتضى (عليه السلام) فغسلاه و أدرجاه في أكفانه . و في الهزيع الأخير من الليل حملاه الى قبره في النجف الأشرف، و قد واروا أكبر رمز للعدالة و القيم الإنسانية المثلى كما اعترف بذلك خصومه . و كتب المؤرخون : أن معاوية لما بلغه مقتل الإمام علي (عليه السلام) خرج و اتخذ يوم قتله عيداً في دمشق! فقد تحقّق له ما كان يأمله، و تمّ له ما كان يصبو إليه من اتّخاذ الملك وسيلة لاستعباد المسلمين و إرغامهم على ما يكرهون^{١٢٩}.

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢ / ١٠٩.

ص: ٨٠

الإمام الحسين في عهد أخيه الإمام الحسن (عليهما السلام)

حالة الامّة قبل الصلح مع معاوية:

لم يكن تفتّت أركان المجتمع الإسلامي - الذي كان يؤمن بأقدس رسالة سماوية و أعظمها و أشملها - في ظلّ حكم معاوية بن أبي سفيان وليد جهود آنيّة، فقد بدأ الانحراف من يوم السقيفة، إذ تولّى زمام امور الامّة من كان لا يملك الكفاءة و القدرة المطلوبة، و إنّما تصدّى لها من تصدّى على أساس العصبية القبلية^{١٣٠}. و يشهد لذلك قول أبي بكر : وليت أمركم و لست بخيركم^{١٣١}.

و انحدرت الامّة في واد آخر يوم ميّز عمر بن الخطاب في العطاء بين المسلمين مخالفا سنّة رسول الله (صلى الله عليه و اله) و مبتدعاً نظاماً طبقياً جديداً، حتى إذا حكم عثمان بن عفّان؛ استفحل الفساد و استشرى في جهاز الحكم و الادارة، حين سيطر فسّاق الناس و شرارهم على امور الناس فراحوا يعيشون في الامّة فساداً كالوليد بن عقبة و الحكم بن العاص و عقبة بن أبي معيط و سعيد بن العاص و عبد الله بن سعد بن أبي سرح^{١٣٢}.

و أصبحت العائلة الاموية التي لم تفتتح على الإسلام لتشكّل قوّة اقتصادية جرّاء نهبهم لثروات الامّة، و عطايا عثمان لهم بغير حق، و تغلغلوا في أجهزة الحكم، و تمكّن معاوية بن أبي سفيان خلال ولايته على الشام منذ عهد عمر أن ينشئ مجتمعاً وفق ما تهوى نفسه الحاقدّة على الإسلام و النبيّ (صلى الله عليه و اله)

(١) الإمامة و السياسة: ٦ / ١.

(٢) عليّ و الحاكمون: ١٠٩، و تأريخ الخلفاء: ٧١.

^{١٢٩} (١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢ / 109.

^{١٣٠} (١) الإمامة و السياسة: 6 / 1.

^{١٣١} (٢) عليّ و الحاكمون: 109، و تأريخ الخلفاء: 71.

^{١٣٢} (٣) تأريخ اليعقوبي: 2 / 41، و العقد الفريد: 2 / 261، و أنساب الأشراف: 5 / 38، و شرح النهج: 1 / 67.

(٣) تأريخ البيهقي: ٢ / ٤١، و العقد الفريد: ٢ / ٢٤١، و أنساب الأشراف: ٥ / ٣٨، و شرح النهج: ١ / ٦٧.

ص: ٨١

و أهل بيته (عليهم السّلام)، فقد دخل هو و أبوه الإسلام مقهورين مورتورين يوم فتح مكة، و دخل في عداد الطلقاء، بعد أن كان قد فقد جدّه و خاله و أخاه في الصراع ضد الإسلام قبل فتح مكّة.

على أن طوال هذه الفترة - منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه و اله) الى نهاية حكم عثمان - لم يعتن النظام الحاكم بالدعوة الإسلامية و نشرها و ترسيخها في النفوس، و لم يسع لاجتثاث العقد و الأمراض و العادات القبلية، بل كان همّ الحاكمين هو الاندفاع في الفتوحات طمعا في توسعة الدولة و زيادة الأموال. و قد عمل الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه و اله) جاهدا على أن لا تفقد الأمّة شخصيتها الإسلامية و حاول تقليل انحرافها، فكان يتدخّل و يعين الفئة الحاكمة تارة باللين و اخرى بالشدة متجنّبا الصدام المباشر معهم، لأجل استرداد حقّه الشرعي في الخلافة، مؤثرا مصلحة الإسلام العامّة على ما سواها من المصالح^{١٣٣}.

لقد فجعت الأمّة بمصلحتها الكبير - يوم استشهد الإمام عليّ (عليه السّلام) - و انهارت بين يدي الإمام الحسن بن عليّ (عليهما السّلام) بعد أن أنهكتها حروب الإصلاح ضد الناكثين و القاسطين و المارقين؛ إذ أسرع القوى النفعيّة و المناقفة و الحاقدة على الإسلام إلى الوقوف في وجه الإمام عليّ (عليه السّلام) متنكرة لأوامر الله سبحانه و رسوله (صلى الله عليه و اله) غير مبالية بمصلحة الأمّة، بالرغم من تجسيده للزعامة الحقيقية التي تقود إلى منهج الحقّ و العدل الإلهي، و هم يعلمون بشرعيته التي اكتسبها من الرسالة و الرسول (صلى الله عليه و اله). و هذا ما كان يشكّل خطرا حقيقيا من شأنه أن يلغى وجودهم من المجتمع الإسلامي، و لهذا كانت حروب: الجمل و صفين ثم النهروان.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١ / ٢٤٨.

ص: ٨٢

و رأى الإمام الحسن (عليه السّلام) أن ينهض بالأمّة مواصلا مسيرة الإصلاح و مواجهة الانحراف، و لكنّ الجموع آثرت السلامة و الركون إلى الراحة^{١٣٤}، فاضطرّ الإمام الحسن (عليه السّلام) إلى الصلح و المهادنة مع معاوية - و هو المنتحصر القوى في بلاد الشام - على شروط و عهود مهمّة، ليضمن سلامة الصفوة الخيرة من الأمّة، و ليبني قاعدة جماهيرية أكثر و عيا و أعمق إيمانا برسالتها الإسلامية، كي لا يمسح المجتمع المسلم و لا تمحق الرسالة؛ إذ ليس السيف دائما هو الفيصل في حالات النزاع، فربما كان للكلمة و المعاهدة أثر أبغ في مرحلة خطيرة، حيث الهدف هو صيانة الرسالة الإسلامية و حفظ الأمّة الإسلامية في كلّ الأحوال، و ليتّضح دور النفاق و العداء الذي كان يتّسم به بنو اميّة و ما كان يضمره حكامهم للإسلام.

^{١٣٣} (١) شرح النهج لابن أبي الحديد: 1 / 248.

^{١٣٤} (١) الإرشاد للمفيد: 8 - 9.

و لقد وقف الإمام الحسين (عليه السلام) الى جانب أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) و عايش جميع الأحداث التي مرّ بها أخوه، و كانا على اتفاق تامّ في الرأي و الموقف، يعاضده في توجيه الامّة و إنقاذها بعد أن رأى كيف أنّ انحراف السقيفة تكاملت أدواره في هذه المرحلة، و قد سرى هذا الانحراف في جسد الامّة حتى غدت لا تتحفّز لنهضة الإمام الحسن (عليه السلام) و لا تستجيب لأوامره.

و أحاط الإمام الحسن (عليه السلام) بكلّ مادّته معاوية من المكائد و الدسائس، و أصبحت الأكثرية من جيش العراق في قبضة معاوية بن أبي سفيان و طغمته، بعد أن كان يمثل جيش العراق العمود الفقري لجيش الإمام عليّ (عليه السلام).

و لم يكن ليخفى على الإمام الحسين (عليه السلام) أنّ المعركة - لو قدّر للإمام الحسن أن يدخلها مع معاوية - ستكون لصالح الأخير، و ستنتهي حتماً إمّا بقتل

(١) الإرشاد المفيد: ٨ - ٩.

ص: ٨٣

الحسن و الحسين و جميع الهاشميين و خلّص شيعتهم، أو ستنتهي بأسرهم، في الوقت الذي تحتاج فيه الامّة الإسلامية إلى وجود الإمام المعصوم بينها لإنقاذ ما تبقى و بناء ما تهدّم؛ فإنّ الرسالة الإسلامية خاتمة الرسالات و لا بدّ من إتمام ما بناه الرسول (صلى الله عليه و اله) و الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

و من ذلك تبيّن أنّ ما رواه بعض المؤرّخين من أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان كارها لما فعله الإمام الحسن (عليه السلام) و أنّه قال له: «انشدك الله أن لا تصدّق احداثه معاوية و تكذب احداثه أبيك» و أنّ الحسن قال له: «اسكت أنا أعلم منك» ... يتبيّن أنّ هذه المرويّات لا أساس لها من الصحة^{١٣٥}.

هذا بالإضافة الى أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان أبعد نظراً و أعمق غوراً في الامور و معطياتها من أفذاذ عصره الذين قدّروا للحسن (عليه السلام) موقفه الحكيم الذي لم يكن هناك مجال لاختيار موقف سواه، و كان (عليه السلام) أرفع شأنًا من أن تخفى عليه المصلحة التي أدركها غيره فيما فعله أخوه حتى يقف منه ذلك الموقف المزعوم.

و لا يشكّ المعتقدون بإمامة و عصمة الإمامين الحسين (عليه السلام) في عدم صحة الروايات التي تحدّثت عن معارضة الإمام الحسين (عليه السلام) لموقف أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) من الصلح مع معاوية.

فإذا كان الحسنان (عليهما السلام) إمامين مفترضى الطاعة؛ كان كلّ ما قاما به هو محض التكليف الإلهي، و طبقاً لما أراده الله تعالى لهما، فليس ثمّة مجال لمثل تلك الروايات.

و يشهد على قولنا هذا روايات معتبرة تعارض تلك الروايات غير الصحيحة، منها ما يلي:

^{١٣٥} (١) سيرة الأئمة الاثني عشر: 23 / 2.

١- قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): نحن قوم فرض الله طاعتنا، و أنتم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهالته^{١٣٦}.

٢- سأل رجل أبا الحسن الإمام الرضا (عليه السلام) فقال: طاعتك مفترضة؟

فقال: نعم، قال: مثل طاعة علي بن أبي طالب (عليه السلام)؟ فقال: نعم^{١٣٧}.

٣- عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال له حمran: جعلت فداك، أرأيت ما كان من أمر عليّ و الحسن و الحسين (عليهم السلام) و خروجهم و قيامهم بدين الله عزّ و جلّ و ما اصابوا من قتل الطواغيت إيّاهم و الظفر بهم حتى قتلوا أو غلبوا؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام): يا حمran! إنّ الله تبارك و تعالى قد كان قدّر ذلك عليهم و قضاه و أمضاه و حقه ثمّ أجراه، فبتقدّم علم ذلك اليهم من رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قام عليّ و الحسن و الحسين و بعلم صمت من صمت منّا^{١٣٨}.

٤- و عن عظيم أخلاق الحسين (عليه السلام) و احترامه لأخيه الحسن (عليه السلام) قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): ما تكلم الحسين بين يدي الحسن إعظاماً له^{١٣٩}.

٥- قال أبو عبد الله (عليه السلام): إنّ معاوية كتب الى الحسن بن عليّ صلوات الله عليهما أن أقدم أنت و الحسين و أصحاب عليّ، فخرج معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري فقدموا الشام، فأذن لهم معاوية، و أعدّ لهم الخطباء ... ثمّ قال:

يا قيس! قم فبايع، فالتفت الى الحسين (عليه السلام) ينظر ما يأمره، فقال: يا قيس! إنّ إمامي (يعني الحسن) (عليه السلام)^{١٤٠}.

(١ و ٢) اصول الكافي: ١ / ١٤٣، باب فرض طاعة الأئمة.

(٣) اصول الكافي: ١ / ٢٢١ - ٢٢٢ باب أنّ الأئمة (عليهم السلام) لم يفعلوا شيئاً و لا يفعلون إلّا بعهد من الله عزّ و جلّ و أمر منه لا يتجاوزونه.

(٤) حياة الإمام الحسين: ٢ / ٢٥٢.

(٥) بحار الأنوار: ٤٤ / ٦١.

^{١٣٦} (١ و ٢) اصول الكافي: ١ / ١٤٣، باب فرض طاعة الأئمة

^{١٣٧} (١ و ٢) اصول الكافي: ١ / ١٤٣، باب فرض طاعة الأئمة

^{١٣٨} (٣) اصول الكافي: ١ / ٢٢١ - ٢٢٢ باب أنّ الأئمة (عليهم السلام) لم يفعلوا شيئاً و لا يفعلون إلّا بعهد من الله عزّ و جلّ و أمر منه لا يتجاوزونه.

^{١٣٩} (٤) حياة الإمام الحسين: ٢ / ٢٥٢.

^{١٤٠} (٥) بحار الأنوار: ٤٤ / ٦١.

احترام الإمام الحسين (عليه السلام) لبنود صلح الإمام الحسن (عليه السلام):

استشهد الإمام الحسن (عليه السلام) سنة (٤٩) أو (٥٠) للهجرة، و مات معاوية سنة (٦٠) للهجرة، و في هذه المدة كانت الإمامة و القيادة للإمام الحسين (عليه السلام) و لم تجب عليه طاعة أحد، لكنّه (عليه السلام) ظلّ ملتزماً ببند معاهدة الصلح التي عقدها أخوه الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية، فلم يصدر عنه أىّ موقف ينتهك به بنود المعاهدة المذكورة. بل لما طالبه بعض الشيعة بالقيام و الثورة على معاوية، أوصاهم بالصبر و التقية مشيراً الى التزامه بالمعاهدة، و أنّه سيكون في حلّ من المعاهدة بموت معاوية.

رسالة جعدة بن هبيرة إلى الإمام الحسين (عليه السلام):

كان جعدة بن هبيرة بن أبي وهب من أخلص الناس للإمام الحسين (عليه السلام) و أكثرهم مودة له، و قد اجتمعت عنده الشيعة و أخذوا يلحّون عليه في مراسلة الإمام للقدوم الى مصرهم الكوفة ليعلم الثورة على حكومة معاوية، فدفع جعدة رسالة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) هذا نصها: «أمّا بعد، فإن من قبلنا من شيعتك متطلّعة أنفسهم اليك، لا يعدلون بك أحداً، و قد كانوا عرفوا رأى الحسن أخيك في الحرب، و عرفوك باللين لأوليائك و الغلظة على أعدائك و الشدة في أمر الله، فإن كنت تحبّ أن تطلب هذا الأمر فاقدم علينا، فقد وطئ أنفسنا على الموت معك»^{١٤١}.

فأجابه الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله: «أمّا أخى فإننى أرجو أن يكون الله قد

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢٢٩ - ٢٣٠.

وَقَّه و سدّده، و أمّا أنا فليس رأيت اليوم ذاك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض، و اكنوا في البيوت، و احترسوا من الظنة ما دام معاوية حيّاً، فإن يحدث الله به حدثاً و أنا حيّ كتبت اليكم برأيتي، و السلام».

يتبيّن ممّا تقدّم أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) - انطلاقاً من مسؤوليته الشرعية - اتّبع أخاه الإمام الحسن (عليه السلام) في مسألة الصلح مع معاوية، و قد قبله و التزم به طيلة حكم معاوية، بل إنّ عشرات الشواهد تؤكّد أنّهما كانا منسجمين في تفكيرهما و نظرتهما إلى الامور و معطياتها و متفقين في كلّ ما جرى و تمّ التوصل اليه.

و كما نسبوا إلى الإمام الحسين (عليه السلام) ذلك فقد نسبوا إلى الإمام الحسن (عليه السلام) أيضاً أنّه كان على خلاف مع أبيه! في كثير من مواقفه السياسية قبيل خلافته و خلالها. و من الواضح أنّ الهدف من أمثال هذه المزاعم هو زرع الشكّ في نفوس الامة بالنسبة للموقع الريادي للإمامين الشرعيين الحسن و الحسين (عليهما السلام) بغية ايجاد الفرقة و الاختلاف كي يبتعد الناس عنهما.

^{١٤١} (١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): 229 / 2 - 230.

استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام):

أقام الإمام الحسن (عليه السلام) بالكوفة أياما بعد أن صالح معاوية، ثم عاد مع أخيه الإمام الحسين (عليه السلام) و جميع أهل بيته الى المدينة، فأقام بها كاخما غيظه لازما منزله منتظرا لأمر ربّه جلّ اسمه^{١٤٢}. و كما ذكرنا فإنّ الإمام الحسين (عليه السلام) رفض التحرك ضد معاوية ما دام حيّا، التزاما بمعااهدة الصلح التي كان قد عقدها أخوه الحسن (عليه السلام) معه.

(١) الإرشاد: ١٥ / ٢.

ص: ٨٧

و قد اهتمّ الإمامان (عليهما السلام) في المدينة بالعبادة و ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس الناس و توضيح الأحكام الإسلامية للناس و إرشادهم و هدايتهم و العمل من أجل تربية جيل واع يتحمّل مسؤوليته تجاه الظلم و الفساد و الانحراف الحاصل في مسيرة الأمّة. و في هذه السنوات العشر - كما دوّنته جملة من مصادر التاريخ الإسلامي - قد حدثت عدّة مناقشات كلامية من جانب الإمامين الحسن و الحسين (عليهما السلام) بالنسبة لتصرفات معاوية و جملة من عناصر بلاطه.

ص: ٨٩

الباب الثالث فيه فصول:

الفصل الأوّل:

عصر الإمام الحسين (عليه السلام)

الفصل الثاني:

مواقف الإمام (عليه السلام) و إنجازاته

الفصل الثالث:

نتائج الثورة الحسينية

الفصل الرابع:

من تراث الإمام الحسين (عليه السلام)

الفصل الأول عصر الإمام الحسين (عليه السلام)

البحث الأول: حكومة معاوية و دورها في تشويه الإسلام:

أمسك معاوية و الطغمة الفاسدة من بنى امية بزمام الحكم، و أكملوا بذلك الانحراف الذى حصل من السقيفة، حيث حوّل معاوية الخلافة إلى ملك عضوض مستبد، حين صرّح بعادته للامة الإسلامية و اعترف بعدم رضى الامّة به حاكما بقوله : و الله ما وليّتها - أى الخلافة - بمحبّة علمتها منكم و لا مسرّة بولايتي و لكن جالدتكم بسيفي^{١٤٣}.

و لكنّ معاوية و التيار الذى تزعمه واجه عقبة كؤودا، هى تطبيق الإمام علىّ (عليه السلام) لأحكام الشريعة الإسلامية بصورتها الصحيحة. مضافا إلى أنّه لم يترك الامّة حتى عمّق العقيدة فى النفوس، فأحبّته الجماهير - و خصوصا أهل العراق - و كان فى ذلك حريصا على الرسالة و الامّة الإسلامية و مفتّدا مزاعم أرباب السقيفة حين عبّر أبو بكر عن عجزه و اعتذر عن كثرة أخطائه بقوله: فإنّى قد وليّت عليكم و لست بخيركم^{١٤٤}. فإنّ هذا الاعتذار قد يفهم منه

(١) تأريخ الخلفاء: ٧١.

(٢) المصدر السابق.

عدم إمكان التطبيق التام للشريعة الإسلامية. و لكنّ الإمام عليّا (عليه السلام) قد قدّم النموذج الحىّ للقيادة الكفوءة الواعية و المعصومة بعد الرسول (صلّى الله عليه و اله)، فكانت الامّة المسلمة تتوقّع قائدا كعلّى بن أبى طالب (عليه السلام).

و لكن معاوية شرع فى تشويه هذه القيم الإسلامية و محاربة القوى المتعاطفة مع أهل البيت (عليهم السلام) و هدم كلّ ما بناه الإمام علىّ (عليه السلام) فى الامّة الإسلامية من قيم فتفقد إرادتها و يموت ض ميرها لئلا تكون قادرة على مواجهة أهواء الحكّام المخالفة للدين الحنيف. لقد أعلن معاوية - منذ أوّل خطوة - أنّ هدفه الأساس هو استلام زمام الحكم حتّى لو اريقّت من أجله دماء المسلمين المحرّمة بكلمته المعروفة: و الله ما قاتلتكم لتصلّوا و لا لتصوموا و لا لتحجّوا و لا لتزكّوا، و إنّما قاتلتكم لتأمرّ عليكم^{١٤٥}.

منهج معاوية لمحاربة الإسلام:

و لا بدّ لنا من دراسة موجزة للمخططات الشيطانية التى تبنّاها معاوية و ما رافقها من الأحداث الجسام، فإنّها من أهمّ الأسباب فى ثورة الإمام الحسين (عليه السلام).

^{١٤٣} (١) تأريخ الخلفاء: 71.

^{١٤٤} (٢) المصدر السابق.

^{١٤٥} (١) شرح نهج البلاغة: 4/ 16.

لقد رأى الامام (عليه السلام) ما وصل اليه حال المسلمين من التردّي عقائديا و أخلاقيا و اجتماعيا و اقتصاديا و سياسيا. و كان كل هذا التردّي من جرّاء السياسات التي أبعدت الامة عن مسار الإسلام الأصيل من خلال ممارسات معاوية التي بلغت ذروتها في فرض يزيد بالقوة خليفة على المسلمين، فهبّ - سلام الله عليه - بعد هلاك معاوية الى

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦ / ٤.

ص: ٩٣

تفجير ثورته الكبرى التي أدت الى إيقاظ النفوس و تحريك إرادة الامة.

و اليك بعض معالم سياسات الجاهلية الاموية التي تصدّى لتنفيذها معاوية:

١ - سياسته الاقتصادية:

لم تكن لمعاوية أية سياسة اقتصادية في المال حسب المعنى المتداول لهذه الكلمة، و إنّما كان تصرفه في جباية الأموال و إنفاقها خاضعا لرغباته و أهوائه، فهو يهب الثراء العريض للمؤيدين له و يحرم معارضيه من العطاء، و يأخذ الأموال و يفرض الضرائب بغير حقّ، و قد شاع في عصر معاوية الفقر و الحرمان عند الأكثرية الساحقة من المسلمين، فيما تراكت الثروات عند فئة قليلة راحت تتحكّم في مصير المسلمين و شؤونهم، و هذه بعض الخطوط الرئيسة في سياسته الاقتصادية:

أ - الحرمان الاقتصادي:

أشاع معاوية الحرمان الاقتصادي في الأقطار التي كانت تضمّ الجبهة المعارضة له، مثل:

✽ يثرب:

لم ينفق معاوية على أهل يثرب أيّ شيء من المال، لأنّ فيهم كثيرا من الشخصيات المعارضة للاسرة الأموية و الطامعة في الحكم، يقول المؤرخون:

إن معاوية أجبرهم على بيع أملاكهم فاشتراها بأبخس الأثمان، و قد أرسل قيما على أملاكه لتحصيل وارداتها فمنعوه عنها، و قابلوا حاكمهم عثمان بن محمد و قالوا له: إنّ هذه الأموال لنا كلّها، و إنّ معاوية آثر علينا في عطائنا، و لم يعطنا

ص: ٩٤

درهما حتّى مضنا الزمان و نالتنا المجاعة، فاشتراها بجزء من مائة من ثمنها، فردّ علّ يهم حاكم المدينة بأقسي القول و أمره^{١٤٦}.

^{١٤٦} (١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): 2 / 123.

و قد نصب معاوية على الحجاز مروان بن الحكم تارة و سعيد بن العاص مرة أخرى، و كان يعزل الأول و يولّي الثاني، و قد جهدا معا في إذلال أهل المدينة و إفقارهم.

✽ العراق:

فرض معاوية على أهل العراق عقوبات اقتصادية بصفته المر كز الرئيسي للمعارضة، و كان واليه المغيرة بن شعبة يحبس العطاء و الأرزاق عن أهل الكوفة، و قد سار الحكّام الامويون بعد معاوية على هذا النهج في اضطهاد أهل العراق و حرمانهم^{١٤٧}، باعتبارهم الثقل الأكبر في الخطّ الواعي الذي وقف مع أمير المؤمنين (عليه السّلام).

ب- استخدام المال لتثبيت ملكه:

استخدم معاوية بيت المال لتثبيت ملكه و سلطانه، و اتخذ المال سلاحا يمكنه من التسلّط على الامة، فقد كان من عناصر سياسة الامويين استخدام المال سلاحا للإرهاب و أداة للتقريب، فحرم منه فئة من الناس، و أغدق أضعافا مضاعفة لطائفة أخرى ثمنا لضمائرهم و ضمانا لسمتهم^{١٤٨}.

و وهب معاوية خراج مصر لعمر بن العاص، و جعله طعمة له مادام

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام): ٢ / ١٢٣.

(٢) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام): ٢ / ١٢٥، و راجع العقد الفريد: ٤ / ٢٥٩.

(٣) المصدر السابق: ٢ / ١٢٧، نقلا عن اتجاهات الشعر العربي: ٢٧، د. محمد مصطفى.

ص: ٩٥

حيّا، و ذلك لتعاونه معه على مناجزة أمير المؤمنين (عليه السّلام)^{١٤٩}.

ج- شراء الذمم:

فتح معاوية بابا جديدا في سياسته الاقتصادية و هى شراء الذمم، فقد أعلن عن ذلك بكل دناءة قائلا : و الله لأستميلنّ بالأموال ثقات علىّ، و لا قسمنّ فيهم الأموال حتى تغلب دنيائ آخرته^{١٥٠}.

^{١٤٧} (٢) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام): ٢ / ١٢٥، و راجع العقد الفريد: ٤ / ٢٥٩.

^{١٤٨} (٣) المصدر السابق: ٢ / ١٢٧، نقلا عن اتجاهات الشعر العربي: ٢٧، د. محمد مصطفى.

^{١٤٩} (١) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام): ٢ / ١٢٧.

^{١٥٠} (٢) راجع وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٩٥، و شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٩٣.

كما روى أنه وفد عليه جماعة من أشرف العرب فأعطى كل واحد منهم مائة ألف درهم، وأعطى الحتات عمّ الفرزدق سبعين ألفاً، فلما علم الحتات بذلك رجع مغضباً إلى معاوية، فقال له بلا خجل ولا حياء: إنني اشتريت من القوم دينهم، وكلتكم إلى دينكم.

فقال الحتات: اشترى مني ديني. فأمر له بإتمام الجائزة^{١٥١}.

د - ضريبة النبروز:

فرض معاوية على المسلمين ضريبة النبروز في بدعة سنّها من غير دليل في الشريعة الإسلامية، ليسدّ بها نفقاته، و بالغ في إرهاب الرّاس واضطهادهم على أدائها، وقد بلغت فيما يقول المؤرخون : عشرة ملايين درهم، وهي من الضرائب التي يألفها المسلمون، وقد اتخذها الحكّام من بعده سنة فأرغموا المسلمين على أدائها^{١٥٢}.

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام): ١٢٧ / ٢.

(٢) راجع وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٩٥، و شرح نهج البلاغة: ٢٩٣ / ٢.

(٣) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام): ١٢٨ - ١٢٩ / ٢.

(٤) المصدر السابق: ١٣١ / ٢، و راجع: الحياة الفكرية في الاسلام: ٤٢.

ص: ٩٤

٢ - سياسة التفرقة:

بنى معاوية سياسته على تفريق كلمة المسلمين ، إيماناً منه بأنّ الحكم لا يستقرّ له إلّا بإشاعة العداء بين أبناء الامة الإسلامية، «و كانت لمعاوية حيلته التي كرّرها و أتقنها و برع فيها، و استخدمها مع خصومه في الدولة من المسلمين و غير المسلمين، و كان قوام تلك الحيلة، العمل الدائب على التفرقة و التخذيّل بين خصومه بإلقاء الشبهات بينهم و إثارة الإحن فيهم، و منهم من كان من أهل بيته و ذوى قرياه ... كان لا يطيق أن يرى رجلين ذوى خطر على وفاق، و كان التنافس الفطري بين ذوى الأخطار ممّا يعينه على الإيقاع بهم»^{١٥٣}.

أ - اضطهاد الموالى:

^{١٥١} (٣) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام): ١٢٨ - ١٢٩ / ٢.

^{١٥٢} (٤) المصدر السابق: ١٣١ / ٢، و راجع: الحياة الفكرية في الاسلام: ٤٢.

^{١٥٣} (١) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام): ١٣٥ / ٢، عن العقّاد في كتابه «معاوية في الميزان»: ٦٤.

بالغ معاوية في اضطهاد الموالى و إذلا لهم، و قد رام أن يبيدهم إبادة شاملة . يقول المؤرخون: إنه دعا الأحنف بن قيس و سمرة بن جندب و قال لهما: إنى رأيت هذه الحمراء قد كثرت، و أراها قد قطعت على السلف، و كأنى أنظر الى وثبة منهم على العرب و السلطان، فقد رأيت أن أقتل شطرا منهم، و أدع شطرا لإقامة السوق و عمارة الطريق^{١٥٤}.

ب - العصبية القبلية:

أحصى معاوية العصبية القبلية، و قد ظهرت فى الشعر العربى صور مريضة و مؤلمة من ألوان الصراع الذى كانت السلطة الاموية تختلقه لإشغال الناس عن التدخل فى الشؤون السياسية، و قال المؤرخون:

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ١٣٥ / ٢، عن العقاد فى كتابه «معاوية فى الميزان»: ٦٤.

(٢) العقد الفريد: ٢ / ٢٦٠.

ص: ٩٧

إن معاوية عمد الى إثارة الأحقاد القديمة بين الأوس و الخزرج محاولا بذلك التقليل من أهميتهم، و إسقاط مكانتهم أمام العالم العربى و الإسلامى، كما تعصب لليمنيين على المصريين، و أشعل نار الفتنة فيما بينهم حتى لا تتحد لهم كلمة تضر بمصالح دولته^{١٥٥}.

٣- سياسة البطش و الجبروت:

ساس معاوية الامة بسياسة البطش و القمع، فاستهان بمقدراتها و كرامتها، و قد أعلن - بعد الصلح - أنه قاتل المسلمين و سفك دماءهم كى يتأمر عليهم، و قد أدلى بتصريح عبّر فيه عن كبريائه و غطرسته فقال : نحن الزمان، من رفعناه ارتفع، و من وضعناه اتضع^{١٥٦}.

و سار عمّاله و ولاته على هذه الخطة الغادرة، فقد خاطب عتبة بن أبى سفيان المصرىين بقوله : فو الله لأقطعن بطون السباط على ظهوركم.

و جاء فى خطاب لخالد القسرى فى أهل مكة: فإننى و الله ما اوتى لى بأحد يطعن على إمامه (يعنى معاوية) إلّا صلبته فى الحرم^{١٥٧}.

٤- الخلاعة و المجون و الاستخفاف بالقيم الدينية:

^{١٥٤} (٢) العقد الفريد: 2 / 260.

^{١٥٥} (١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): 2 / 137.

^{١٥٦} (٢) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): 2 / 138-139، و العقد الفريد: 2 / 159.

^{١٥٧} (٣) الأغاني لأبى الفرج الإصفهاني: 22 / 382 طبعة بيروت.

عرف معاوية بالخلاعة و المجون، يقول ابن أبي الحديد: كان معاوية أيام عثمان شديد التهتك موسوما بكل قبيح، و كان في أيام عمر يستتر نفسه قليلا؛ خوفا منه إلا أنه كان يلبس الحرير و الديباج و يشرب في آنية الذهب و الفضة، و يركب البغلات ذوات السروج المحلّات بها - أى بالذهب - و عليها جلال الديباج و الوشى ...

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ١٣٧ / ٢.

(٢) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ١٣٨ - ١٣٩، و العقد الفريد: ١٥٩ / ٢.

(٣) الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني: ٣٨٢ / ٢٢ طبعة بيروت.

ص: ٩٨

و نقل الناس عنه في كتب السيرة أنه كان يشرب الخمر في أيام عثمان في الشام^{١٥٨}.

و روى عن عبد الله بن بريدة قوله : دخلت أنا و أبي على معاوية فأجلسنا على الفراش، ثم اوتينا بالطعام فأكلنا ثم اوتينا بالشراب فشرب معاوية! ثم ناول أبي فقال: ما شربته منذ حرّمه رسول الله (صلى الله عليه و اله)^{١٥٩}.

و ثمة روايات عديدة تحدّثت عن أكل معاوية للربا، منها: أن معاوية باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) نهى عن مثل هذا إلا مثلا بمثل، فقال معاوية: ما أرى به بأسا.

فقال له أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية؟ أنا أخبره عن رسول الله و هو يخبرني عن رأيه! لا اسألك بأرض أنت بها. ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب فذكر له ذلك، فكتب عمر الى معاوية : أن لا تبع ذلك إلا مثلا بمثل و وزنا بوزن^{١٦٠}.

و من مظاهر استخفاف معاوية بالقيم الاسلامية استلحاقه زياد بن عبيد الرومي و إلصاقه بنسبه من دون بيّنة شرعية، و إنّما اعتمد على شهادة أبي مريم الخمار و هو ممّا لا يثبت به نسب شرعي، و قد خالف بذلك قول رسول الله (صلى الله عليه و اله): «الولد للفراش و للعاهر الحجر»^{١٦١}.

٥- إظهار الحقد على النبي (صلى الله عليه و اله) و العداء لأهل بيته (عليهم السلام):

حقد معاوية على النبي (صلى الله عليه و اله) فقد مكث في أيام خلافته أربعين جمعة لا يصلي عليه، و سأله بعض أصحابه عن ذلك فقال: لا يمنعني عن ذكره إلا أن

^{١٥٨} (١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ١٤٤ / ٢ - ١٤٥.

^{١٥٩} (٢) مسند أحمد بن حنبل: ٣٤٧ / ٥.

^{١٦٠} (٣) سنن النسائي: ٢٧٩ / ٧.

^{١٦١} (٤) راجع قصة الاستلحاق و أساليبها و آثارها في (حياة الإمام الحسن بن علي): ١٧٤ / ٢ - ١٩٠.

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢ / ١٤٤ - ١٤٥.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٥ / ٣٤٧.

(٣) سنن النسائي: ٧ / ٢٧٩.

(٤) راجع قصة الاستلحاق وأسبابها وآثارها في (حياة الإمام الحسن بن علي): ٢ / ١٧٤ - ١٩٠.

ص: ٩٩

تشمخ رجال بآنافها»^{١٦٢}. و سمع المؤذن يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ...» و اندفع يقول: لله أبوك يا ابن عبد الله، لقد كنت عالي الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين^{١٦٣}.

و سخر معاوية جميع أجهزته للحط من قيمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم وديعة رسول الله (صلى الله عليه و اله) حتى استخدم أخطر الوسائل في محاربتهم و إقصائهم عن واقع الحياة الإسلامية، و كان من بين ما استخدمه في ذلك:

١- تسخير الوعظ ليحوّلوا القلوب عن أهل البيت (عليهم السلام).

٢- افتعال الأخبار على لسان النبي (صلى الله عليه و اله) للحط من قيمة أهل البيت (عليهم السلام) و قد استفاد من أبي هريرة الدوسي، و سمرة بن جندب، و عمرو بن العاص، و المغيرة بن شعبة، حيث اختلقوا مئات الأحاديث على لسان النبي (صلى الله عليه و اله).

٣- استخدم معاوية معاهد التعليم و أجهزة الكتاتيب لتغذية النشء ببغض أهل البيت (عليهم السلام) و خلق جيل معاد لهم.

و تمادى معاوية في عداوته لأمر المؤمنين (عليه السلام) فأعلن سبه و لعنه في نواذيه العامة و الخاصة، و أوعز الى جميع عمّاله و ولاته أن يذيعوا سبه بين الناس، و سرى سب الإمام في جميع أنحاء العالم الإسلامي، و قد خطب معاوية في أهل الشام فقال لهم: أيها الناس، إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال لي: إنك ستلى الخلافة من بعدى فاختار الأرض المقدسة- يعني الشام- فإن فيها الأبدال و قد اخترتك فلعنوا أبا تراب^{١٦٤}.

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢ / ١٥١، عن النصائح الكافية: ٩٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠ / ١٠١.

(٣) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢ / ١٦٠، و شرح نهج البلاغة: ٣ / ٣٦١.

^{١٦٢} (١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢ / ١٥١، عن النصائح الكافية: ٩٧.

^{١٦٣} (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠ / ١٠١.

^{١٦٤} (٣) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢ / ١٦٠، و شرح نهج البلاغة: ٣ / ٣٦١.

٦- العنف مع شيعة أهل البيت (عليهم السلام):

اضطهدت الشيعة أيام معاوية اضطهادا رسميا، و مورس معهم أشد أنواع القمع و القهر . و قد وصف الإمام محمد الباقر (عليه السلام) الإرهاب الاموى بقوله (عليه السلام): «و قتلت شيعتنا بكلّ بلدة و قطعت الأيدي و الأرجل على الظنّة، و كان من يذكر بحبنا و الانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره»^{١٦٥}.

و عمد معاوية الى إبادة القوى المفكّرة و الواعية من الشيعة، و قد ساق أفواج منهم الى ساحات الإعدام، من قبيل : حجر بن عدى و رشيد الهجرى و عمرو بن الحمق الخزاعى و أوفى بن حصن.

و لم يقتصر معاوية على تنكيله برجال الشيعة، و إنّما تجاوز ظلمه الى نساءهم، فأشاع الذعر و الإرهاب فى العديد منهم مثل: الزرقاء بنت عدى و سودة بنت عماره و ام الخير البارقيّة.

و أو عز معاوية الى جميع عمّاله بهدم دور الشيعة و محو أسمائهم من الديوان و قطع عطائهم و رزقهم، كذلك عهد الى عمّاله بعدم قبول شهادتهم فى القضاء و غيره مبالغة فى إذلالهم و تحقيرهم.

إنّ انحرافات معاوية و جرائمه لا يمكن استيعابها فى هذه الإشارات السريعة، و هى تتطلّب كتابا خاصا بها لكثرتها و سعتها، و لقد كنّا نرمى فى الدرجة الاولى من هذه الإشارات الى التمهيد للتطرّق الى ذكر جريمته الكبرى التى أدّت بالإمام الحسين (عليه السلام) الى إعلان ثورته، هذه الجريمة التى تمثّلت فى فرض ابنه يزيد الفاسق وليا للعهد.

(١) شرح نهج البلاغة: ١٥ / ٣، و الطبقات الكبرى: ٩٥ / ٥.

٧- فرض البيعة بالقوة ليزيد الفاجر:

لقد كانت الخلافة أيام أبى بكر و عمر و عثمان ذات مسحة إسلامية و كانوا يحكمون تحت شعار خلافة الرسول (صلى الله عليه و اله).

على أنّ معاوية حينما بدأ بالسيطرة على زمام السلطة فإنّه - رغم الخداع و التضليل الذى عرفنا شيئا عنه - لم يجترئ على تحدّى الرسول (صلى الله عليه و اله) و رسالته بشكل علنى و صريح فى بداية حكمه؛ إذ كان يستغل المظاهر الإسلامية لإحكام القبضة و لتحقيق مزيد من السيطرة على رقاب أبناء الامّة الإسلامية.

و من هنا وصف معاوية بالدهاء و الذكاء المفرط؛ لأنه كان يلبس باطله لباسا إسلاميا.

^{١٦٥} (١) شرح نهج البلاغة: ١٥ / ٣، و الطبقات الكبرى: ٩٥ / ٥.

و لكن تحميلة ليزيد الفاجر المعلن بفسقه على الأمة جاء هتكا صريحا للقيم الإسلامية و استهتارا واضحا لعرف المسلمين؛ و ذلك لما عرفه المسلمون جميعا من أنّ الخلافة الإسلامية ليست حكما قيصريا و لا كسرويا لينتقل بالوراثة، و لا يستحق هذا المنصب إلّا العالم بالكتاب و السنّة، العامل بهما و القادر على تحقيق أهداف الرسالة الإسلامية و تطبيق أحكامها.

هذا مضافا إلى أنّ فرض البيعة ليزيد على المسلمين كان جريمة كبرى ذات أبعاد اجتماعية و سياسية خطيرة تنتهى بتصفية الاسلام و محوه من على وجه الأرض، لو لا ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) سبط الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) الحافظ لدين جدّه من الضياع و الدمار.

و لأجل الوقوف على عظمة هذه الجريمة؛ لا بدّ أن نعرف أولا من هو يزيد؟ و ما هو السبب الذى جعله غير صالح للخلافة؟ و لما ذا يكون فرض بيعته عدوانا صريحا على الاسلام و ارتدادا عنه و عودة الى الجاهلية التى ناهضها الاسلام؟

ص: ١٠٢

البحث الثانى: من هو يزيد بن معاوية؟

قبل الحديث عن تولّى يزيد للحكم و موقف الإمام الحسين (عليه السلام) من ذلك لا بدّ و أن نعرف من هو يزيد فى منظار الإسلام و المسلمين؟ و ما هو رأى الإسلام فى البيت الاموى بصورة عامة؟

لا يشك أحد من الباحثين و المؤرخين فى أنّ الامويين كانوا من الدّ أعداء الإسلام و أنكد خصومه منذ أن بزغ فجره و حتى آخر مرحلة من مراحل حكمهم . و أنهم لم يدخلوا فيه إلّا بعد أن استنفدوا جميع إمكاناتهم فى محاربتة حتى باؤوا بالفشل. و لمّا دخلوا فيه مرغمين أخذوا يخطّطون لتشويه معالمه و إعادة مظاهر الجاهلية بكلّ أشكالها بأسلوب جديد و تحت ستار الإسلام.

و كان معاوية يرتعش جزعا و يضجر عندما كان يسمع النداء باسم النبى محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و يشعر بانطلاق هذا الاسم المبارك فى أجواء العالم الإسلامى من أعلى المآذن فى كلّ يوم.

و هكذا كان غيره من حكام ذلك البيت الذين حكموا باسم الإسلام و هم يعملون على تقويضه و إبرازه على غير واقعه و تشويه قوانينه و تشريعاته و مثله.

و يزيد بن معاوية الذى وقف الإمام الحسين (عليه السلام) منه ذلك الموقف الخالد كان كما يصفه المؤرخون و المحدثون مستهترا الى حدّ الإسراف فى الاستهتار، و ممعنا فى الفحشاء و المنكرات الى حدّ الغلوّ فى ذلك^{١٦٦}.

(١) سيرة الأئمّة الاثني عشر: ٢ / ٤١.

ص: ١٠٣

^{١٦٦} (١) سيرة الأئمّة الاثني عشر: ٢ / 41.

ولادة يزيد و نشأته و صفاته:

ولد يزيد سنة (٢٥ أو ٢٦ هـ) ^{١٦٧} و أمّه ميسون بنت بجدل الكلبية، و قد ذكر المؤرخون : أن ميسون بنت بجدل الكلبية أمكنت عبد أبيها من نفسها، فحملت بيزيد - لعنه الله - و الى هذا أشار النسابة الكلبى بقوله:

بقتل الترك و الموت الوحى

فإن يكن الزمان أتى علينا

بأرض الطف أولاد النبى

فقد قتل الدعى و عبد كلب

أراد بالدعى عبيد الله بن زياد لعنه الله ... و مراده بعبد كلب يزيد بن معاوية، لأنّه من عبد بجدل الكلبى ^{١٦٨}.

و فيما يتصل بصفاته الجسميّة فقد وصفه ابن كثير - فى بدايته - بأنّه كان كثير اللحم عظيم الجسم و كثير الشعر مجدورا ^{١٦٩}.

أمّا صفاته النفسية فقد ورث صفات الغدر و النفاق و الطيش و الاستهتار من سلفه، حتّى قال المؤرخون : و كان يزيد قاسيا غدارا كأبيه، (إن كان من معاوية طبعاً) و لكنّه ليس داهية مثله، كانت تنقصه القدرة على تغليف تصرفاته القاسية بستر من اللباقة الدبلو ماسية الناعمة، و كانت ط بيعته المنحلّة و خلقه المنحطّ لا تتسرّب اليها شفقة و لا عدل . كان يقتل و يعذب نشوانا للمتعة و اللذة التى يشعر بها، و هو ينظر الى آلام الآخرين، و كان بؤرة لأبشع الرذائل، و ها هم ندماءه من الجنسين خير شاهد على ذلك، لقد كانوا من حثالة المجتمع ^{١٧٠}.

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ١٧٩ / ٢.

(٢) بحار الأنوار: ٣٠٩ / ٤٤.

(٣) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٤٢ / ٢.

(٤) حياة الإمام الحسين: ١٨١ - ١٨٢ / ٢.

ص: ١٠٤

و قد نشأ يزيد عند أخواله فى البادية من بنى كلاب الذين كانوا يعتنقون المسيحية قبل الاسلام، و كان مرسل العنان مع شبابهم الماجنين فتأثر بسلوكهم الى حد بعيد، فكان يشرب معهم الخمر و يلعب معهم بالكلاب.

^{١٦٧} (١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): 179 / 2.

^{١٦٨} (٢) بحار الأنوار: 309 / 44.

^{١٦٩} (٣) سيرة الأئمة الاثني عشر: 42 / 2.

^{١٧٠} (٤) حياة الإمام الحسين: 182 - 181 / 2.

ولع يزيد بالصيد:

و من مظاهر صفات يزيد ولعه بالصيد، فكان يقضى أغلب أوقاته فيه، قال المؤرخون : كان يزيد بن معاوية كلفا بالصيد لاهيا به، و كان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب و الجلال المنسوجة منه، و يهب لكل كلب عبدا يخدمه^{١٧١}.

شغفه بالقرد:

و كان يزيد- فيما أجمع عليه المؤرخون- ولعا بالقرد، و كان له قرد يجعله بين يديه و يكتنيه بأبي قيس، و يسقيه فضل كأسه، و يقول: هذا شيخ من بنى اسرائيل أصابته خطيئة فمسخ، و كان يحمله على أتان وحشية و يرسله مع الخيل فى حلبه السباق، فحمله يوما فسبق الخيل فسرّ بذلك و جعل يقول:

فليس عليها إن سقطت ضمان

تمسك أبا قيس بفضل زمامها

و خيل أمير المؤمنين أتان

فقد سبقت خيل الجماعة كلها

و أرسله مرة فى حلبه السباق فطرحته الريح فمات فحزن عليه حزنا شديدا، و أمر بتكفينه و دفنه كما أمر أهل الشام أن يعزّوه بمصابه الأليم، و أنشأ راثيا له:

جاؤا لنا ليعزوا فى أبى قيس

كم من كرام و قوم ذوو محافظة

(١) راجع الفخرى لابن الطقطقى: ٤٥، و تاريخ يعقوبى: ٢/ ٢٣، و تاريخ الطبرى: ٤/ ٣٦٨، و البداية و النهاية:

^{١٧١} (١) راجع الفخرى لابن الطقطقى: ٤٥، و تاريخ يعقوبى: ٢/ ٢٣، و تاريخ الطبرى: ٤/ ٣٦٨، و البداية و النهاية: ٢٣٩ - ٢٣٦ / ٨.

على الرؤوس و فى الأعناق و الرئيس

شيخ العشيرة أمضاها و أجملها

فيه جمال و فيه لحيه التيس^{١٧٢}

لا يبعد الله قبرا أنت ساكنه

و ذاع بين الناس هيامه و شغفه بالقروود حتى لقبوه بها، و يقول رجل من تنوخ هاجيا له:

فحنّ الى أرض القروود يزيد

يزيد صديق القرد ملّ جوارنا

صحابته الأدنون منه قروود^{١٧٣}

فتبّا لمن أمسى علينا خليفة

إدمانه على الخمر:

و الظاهرة البارزة من صفات يزيد إدمانه على الخمر حتى أسرف فى ذلك الى حد كبير، فلم ير فى وقت إلّا و هو ثمل لا يعى من فرط السكر، و من شعره فى الخمر:

و داعى صبابات الهوى يترنّم

أقول لصحب ضمتّ الخمر شملهم

فكلّ و إن طال المدى يتصرّم^{١٧٤}

خذوا بنصيب من نعيم و لذّة

و ينقل المؤرّخون عن عبد الله بن حنظلة الذى خرج على يزيد بعد أن اصطحب وفدا من أهل المدينة الى الشام فى أعقاب استشهاد الإمام الحسين (عليه السّلام) وصفه ليزيد بقوله: و الله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنّه رجل ينكح الامهات و البنات و الأخوات، و يشرب الخمر و يدع الصلاة، و الله لو لم يكن معى أحد من الناس لأبليت لله بلاء حسنا^{١٧٥}.

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام): ١٨٢ / ٢، نقلا عن جواهر المطالب: ١٤٣.

(٢) أنساب الأشراف: ٢ / ٢.

^{١٧٢} (١) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام): ١٨٢ / ٢، نقلا عن جواهر المطالب: ١٤٣.

^{١٧٣} (٢) أنساب الأشراف: ٢ / ٢.

^{١٧٤} (٣) حياة الإمام الحسين: ١٨٣ / ٢، نقلا عن تأريخ المظفرى

^{١٧٥} (٤) تأريخ ابن عساكر: ٣٧٢ / ٧، و تأريخ الخلفاء للسيوطي: ٨١.

(٣) حياة الإمام الحسين: ١٨٣ / ٢، نقلا عن تأريخ المظفرى.

(٤) تأريخ ابن عساكر: ٣٧٢ / ٧، و تأريخ الخلفاء للسيوطى: ٨١.

ص: ١٠٦

و قال أعضاء الوفد: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر و يعزف بالطنابير و يلعب بالكلاب^{١٧٦}.

و نقل عن المنذر بن الزبير قوله فى وصفه: و الله إنه ليشرب الخمر، و الله إنه ليسكر حتى يدع الصلاة^{١٧٧}.

و وصفه أبو عمر بن حفص بقوله: و الله رأيت يزيد بن معاوية يترك الصلاة مسكرا...^{١٧٨}

و يتبدى الكفر فى وصفه للخمر فى الآيات الآتية:

و مشرقها الساقى و مغربها فمى

شميسة كرم برجها قعردنّها

حكّت نفرا بين الحطيم و زمزم

إذا انزلت من دنّها فى زجاجة

فخذها على دين المسيح ابن مريم^{١٧٩}

فإن حرمت يوما على دين أحمد

و عنه قال المسعودى: و كان يزيد صاحب طرب و جوارح و كلاب و قروود و فهود و منادمة على الشراب، و جلس ذات يوم على شرابه و عن يمينه ابن زياد و ذلك بعد قتل الحسين، فأقبل على ساقيه فقال:

ثم مل فاسق مثلها ابن زياد

إسقنى شربة تروى مشاشى

و لتسديد مغنمى و جهادى

صاحب السرّ و الأمانة عندى

ثم أمر المغنّين فغنّوا، و غلب على أصحاب يزيد و عمّاله ما كان يفعل من الفسوق، و فى أيامه ظهر الغناء بمكة و المدينة، و استعملت الملاهى و أظهر الناس شرب الشراب^{١٨٠}.

^{١٧٦} (١) تأريخ ابن عساكر: 372 / 7، و تأريخ الخلفاء للسيوطى: 81.

^{١٧٧} (٢) البداية و النهاية: 216 / 8، الكامل لابن الأثير: 45 / 4.

^{١٧٨} (٣) المصدر السابق.

^{١٧٩} (٤) تنمة المنتهى: 43.

^{١٨٠} (٥) مروج الذهب: 94 / 2.

(١) تأريخ ابن عساكر: ٣٧٢ / ٧، و تأريخ الخلفاء للسيوطي: ٨١.

(٢) البداية و النهاية: ٢١٦ / ٨، الكامل لابن الأثير: ٤ / ٤٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تنمة المنتهى: ٤٣.

(٥) مروج الذهب: ٩٤ / ٢.

ص: ١٠٧

و يؤكّد في مكان آخر: و كان يسمّى يزيد السكران الخمير^{١٨١}.

و كان ليزيد جماعة من الندماء الخليعين و الماجنين يقضى معهم لياليه الحمراء بين الشراب و الغناء «و في طليعة ندمائه الأخطل الشاعر المسيحي الخليع، فكانا يشربان و يسمعان الغناء، و إذا أراد السفر صحبه معه، و لما هلك يزيد و آل أمر الخلافة الى عبد الملك بن مروان قرّبه، فكان يدخل عليه بغير استئذان، و عليه جبّة خزّ، و في عنقه سلسلة ذهب، و الخمر يقطر من لحيته»^{١٨٢}.

إن مطالعة الحياة الماجنة ليزيد في حياة أبيه تكفي لفهم دليل امتناع عامة الصحابة و التابعين من الرضوخ لبيعة يزيد بالخلافة.

إنّ نوايا يزيد و نزعاته المنحرفة قد تجلّت بشكل واضح خلال فترة حكمه القصيرة، حتى أنّه لم يبال بإظهار ما كان يضره من حقد للرسول (صلى الله عليه و اله) و ما كان ينطوى عليه من إحاد برسائلته (صلى الله عليه و اله) بعد أن دنس يديه بقتل سبط الرسول و ريحانته أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) و هو متسلّط - بالقهر - على رقاب المسلمين باسم الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله).

إلحاد يزيد و حقه على رسول الله (صلى الله عليه و اله):

لقد أترعت نفس يزيد بالحقد على الرسول (صلى الله عليه و اله) و البغض له، لأنّه و تره بأسرته يوم بدر، و لما أباد العترة الطاهرة جلس على أريكة الملك جذلان مسرورا، فقد استوفى ثأره من النبيّ (صلى الله عليه و اله) و تمّنّى حضور أشياخه ليروا كيف أخذ بثأرهم، و جعل يترنّم بأبيات عبد الله بن الزبيرى:

جزع الخزرج من وقع الأسل

ليت أشياخي ببدر شهدوا

^{١٨١} (١) مروج الذهب: ٩٤ / ٢.
^{١٨٢} (٢) الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني: ١٧٠ / ٧.

(١) مروج الذهب: ٩٤ / ٢.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني: ١٧٠ / ٧.

ص: ١٠٨

١٨٣

لأهلّوا و استهلّوا فرحا
ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من أشياخهم
و عدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا
خبر جاء و لا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم
من بني أحمد ما كان فعل^{١٨٤}

بل إنّ يزيدا جاهر بإلحاده و كفره عندما تحرّك عبد الله بن الزبير ضده في مكة، فقد وجّه جيشا لإجهاض تحرّك ابن الزبير و زوّده برسالة اليه، ورد فيها البيت الآتي:

ادع إلهك في السماء فإنّني
أدعو عليك رجال عك و أشعرا^{١٨٥}

جرائم حكم يزيد:

^{١٨٣} گروه مؤلفان، أعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 هـ.ق.
^{١٨٤} (1) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): 187 / 2، نقلا عن البداية و النهاية: 8 / 192.
^{١٨٥} (2) مروج الذهب: 95 / 2.

ذكر المؤرخون أن يزيد ارتكب خلال فترة حكمه القصيرة التي لم تتجاوز ثلاث سنين ونصف، ثلاث جرائم مروعة لم يشهد لها التاريخ نظيراً، بحيث لم تسود تأريخ الامويين الى الأبد فحسب؛ وإنما شوّهت تأريخ العالم الإسلامي كذلك، ومن هذه الجرائم:

١- انتهاك حرمة أهل بيت الوحي بقتل الإمام الحسين السبط (عليه السلام) ومن معه من أسرته وأصحابه وسبي نسائه وأطفاله وعرضهم على الجماهير من بلد الى بلد سنة (٦١ هـ) وهم ذرية رسول الله (صلى الله عليه واله) وملايين المسلمين تقدّسهم وتذكر فيهم الرسول (صلى الله عليه واله) وكل ما في الإسلام من حق وخير.

٢- إقدامه بعد ملحمة عاشوراء على انتهاك حرمة مدينة الرسول (صلى الله عليه واله) وقتل أهلها وإباحة أعراضهم لجيش الشام، لأنهم استعظموا قتل الإمام

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ١٨٧/٢، نقلاً عن البداية والنهاية: ١٩٢/٨.

(٢) مروج الذهب: ٩٥/٢.

ص: ١٠٩

الحسين (عليه السلام) وأنكروه عليه.

٣- إقدامه على حصار مكة وتدمير الكعبة وقتل آلاف الأبرياء في الحرم الذي جعله الله حراماً وآمناً.

السرّ الكامن وراء نزعات يزيد الشريرة:

رجّح بعض المؤرخين أن بعض نساطرة النصارى تولّى تربيته يزيد وتعليمه، فنشأ نشأً سيئة ممزوجة بخشونة البادية و جفاء الطبع، وقالوا: إنه كان من آثار تربيته المسيحية أنه كان يقرب المسيحيين و يكثر منهم في بطانته الخاصة، و بلغ من اطمئنانه إليهم أن عهد بتربيته ولده الى مسيحي، كما اتفق على ذلك المؤرخون^{١٨٦}.

ولا يمكن أن تعلل هذه الصلة الوثيقة وتعلقه الشديد بالأخطل وغيره إلا بتربيته ذات الصبغة المسيحية. هكذا حاول بعض المؤرخين والكتاب أن يعلل استهتار يزيد بالإسلام ومقدساته و حرّماته.

و هذا التعليل يمكن أن يكون له ما يسوغه لو كانت لحياة البادية وللتربية المسيحية تلك الصبغة الشاذة التي برزت في سلوك يزيد من مطلع شبابه إلى أن أصبح ولياً لعهد أبيه و حاكماً من بعده.

في حين أن العرب في حاضرتهم و باديتهم كانت لهم عادات و أعراف كريمة قد أقرها الإسلام كالوفاء و حسن الجوار و الكرم و النجدة و صون الأعراض و غير ذلك ممّا تحدّث به التاريخ عنهم، و لم يعرف عن يزيد شيء من ذلك، كما و أنّ

^{١٨٦} (١) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٤٢/٢ و راجع أيضاً: حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ١٨٠/٢. عن المناقب: ٧١ للقاظي نعمان المصري، و سمو المعنى في سمو الذات: ٥٩ العلانلي.

التأريخ لم يحدث عنهم بأنهم استحلوا نكاح الأخوات و العمّات كما حدث التأريخ عنه . و الذين ولدوا في البادية على النصرانية طيلة

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٢ / ٤٢ و راجع أيضا: حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢ / ١٨٠. عن المناقب: ٧١ للقاضي نعمان المصري، و سمو المعنى في سمو الذات: ٥٩ العلالي.

ص: ١١٠

حياتهم قبل الفتح الإسلامي و عاشوا في ظلّ أعرافها و عاداتها حينما دخلوا في الإسلام تغلبوا على كلّ ما اعتادوه و ألفوه عن الآباء و الأجداد.

فلا بدّ إذن من القول بأنّ لذلك الانحراف الشديد و الوبيء في شخصية يزيد و سلوكه سببا وراء التربية و الحضانة المسيحية.

الى هنا نكون قد وقفنا على صورة واضحة عن واقع شخصية يزيد المنحرفة عن خطّ الاسلام انحرافا لا يسوغ لأيّ مسلم الانقياد لها و السكوت عليها ما دام الاسلام يمنع الإباحية و الفسق و يدعو الى العدل و التقوى، و يحاول تحقيق مجتمع عامر بالتقوى، و يريد للمسلمين قيادة تحرص على تحقيق أهداف الإسلام المثلى.

و من هنا كان علينا أن نطالع بدقّة كل مواقف الإمام الحسين (عليه السلام) باعتباره القائد الرسالي الحريص على مصالح الرسالة و الامة الاسلامية و ندرس تخطيطه الرسالي للوقوف أمام الانحراف الهائل الذي كان يمتدّ بسرعة في أعماق المجتمع الاسلامي آنذاك.

ص: ١١١

الفصل الثاني مواقف الإمام الحسين (عليه السلام) و إنجازاته

البحث الأول: موقفه (عليه السلام) من البيعة ليزيد

١- دعوة انتهازية و خطة شيطانية:

عند ما ارتفعت راية الحقّ مرفرفة فوق ربوع مكّة و معلنة عن انتصارها؛ دخل أبو سفيان و معاوية في الإسلام و نار الحقد تستعر في قلوبهما و نزعة الثأر من الرسول (صلى الله عليه و اله) و أهل بيته (عليهم السلام) تكمن في صديهما، فتحوّلا من كونهما كافرين الى كونهما مستسلمين طليقين من طلقاء الرسول (صلى الله عليه و اله). و لم يطل العهد حتى حكم عثمان بن عفان فتسرّب ما كان مختبئا في القلب و ظهر على لسان أبي سفيان و هو يخاطب عثمان بقوله : صارت إليك بعد تيم و عدى فأدرها كالكرة فإنما هو الملك و لا أدري ما جنّة و لا نار^{١٨٧}.

^{١٨٧} (١) الاستيعاب: 2 / 690.

و خاطب أبو سفيان بنى امية ثانية : يا بنى امية! تلقفوها تلقف الكره، فو الذى يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم، و لتصيرن إلى صبيانكم ورثة^{١٨٨}.

و حين أطل معاوية من نافذة السقيفة على كرسى الحكم بانت نتائج

(١) الاستيعاب: ٢ / ٦٩٠.

(٢) مروج الذهب: ١ / ٤٤٠، تاريخ ابن عساكر: ٦ / ٤٠٧.

ص: ١١٢

الانحراف و اتضحت خطورته؛ فإنه قد لا حظ، أن أبا بكر و عمر و عثمان قد ملكوا قبله و لم تسمح لهم الظروف بإعادة صرح الجاهلية من جديد، و لا زال صوت الحق هادرا كل يوم بالتوحيد و بالرسالة لمحمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله)^{١٨٩}.

كما أن الانحراف السياسى الذى ولدته السقيفة و تربت عليه فئات من الامة استثمره معاوية أيما استثمار، فقد احتج على الناس بأن أبا بكر ببيع بدون نص سماوى أو أمر من رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أنه خالف سيرة رسول الله (صلى الله عليه و اله) إذ جعل عمر خليفة من بعده، و صنع عمر ما لم يصنعه قبله و خالف بذلك الله و رسوله و أبا بكر . و وفق هذا المنطق فإن الامة و مصير الرسالة الإسلامية تكون العوبة بيد معاوية يسوسها كيف يشاء . من هنا قرر أن يبايع بالخلافة ليزيد^{١٩٠} من بعده.

و قد خلت الساحة السياسية للزمر الاموية بعد فتن و مصاعب أشعلها معاوية مستغلا جهالة طبقات من الامة، و موظفا كل الطاقات التى وقفت ضد الإمام على (عليه السلام) لصالحه فى مواجهة تيار الحق بقيادة الإمام الحسن (عليه السلام).

و استأثر بالحكم بعد قتله للإمام الحسن (عليه السلام) و استهتاره بقيم الإسلام و تعاليمه .

و كان حاذقا فى إحكام سيطرته و ملكه، و لكنه لم يجرؤ لإعلان خطته تثبيتا لملك بنى امية باستخلاف يزيد من بعده و فى الامة من هو صاحب الخلافة الشرعية و هو الإمام الحسن (عليه السلام) و من بعده أخوه الإمام الحسين (عليه السلام) الذى كان على الامة أن تعود لقيادته بعد افتقادها للحسن (عليه السلام).

يضاف إلى ذلك أن أحدا من الخلفاء الثلاثة لم يوص بالخلافة لولده من بعده . و نظرا لما كان ينطوى عليه يزيد من ضعف و استهتار و مجون

^{١٨٨} (2) مروج الذهب: 1 / 440، تاريخ ابن عساكر: 6 / 407.

^{١٨٩} (1) مروج الذهب: 2 / 343، و شرح النهج: 2 / 357.

^{١٩٠} (2) الإمامة و السياسة: 1 / 189.

(١) مروج الذهب: ٣٤٣ / ٢، و شرح النهج: ٣٥٧ / ٢.

(٢) الإمامة و السياسة: ١٨٩ / ١.

ص: ١١٣

فقد مضى معاوية بكلّ جدّ ليحبك الأمر و يدبّره بطريقة يخدع بها الأمة، بل يقهرها على قبول البيعة ليزيد. من هنا بادر إلى قتل الإمام الحسن السبط (عليه السلام) و خيار المؤمنين في خطوة أولى ليرفع بذلك أهمّ الموانع التي كانت تحول بينه و بين تنفيذ خطّته.

على أنّ أصحاب النفوس الرذيلة و المطامع الدنيوية على استعداد تام لبلوغ أتفه المطامع من أيّ طريق كان . فقد روى أنّ المغيرة بن شعبه - الذي كان واليا من قبل معاوية على الكوفة - علم بأنّ معاوية ينوي عزله فأسرع إلى نسج خيوط مؤامرة جلبت الولايات على الأمة الإسلامية و ليكون بذلك سمسارا يوافق على ما لا يملك؛ إذ همس في أذن يزيد يمينه بخلافة أبيه و يزيّن له الأمر و يسهّله . و وجد معاوية أنّ خطّة شيطانية يمكن أن يكون المغيرة عاملا لتنفيذها^{١٩١}، فسأله مخادعا: و من لي بهذا؟ فردّ عليه المغيرة:

أكفيك أهل الكوفة و يكفيك زياد أهل البصرة، و ليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك . و هكذا قبض المغيرة على ربح عاجل لصفقه مؤجّلة، و رجع الى الكوفة بكلّ قوّة لينفذ الخطّة و هو يقول : لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمّد^{١٩٢}.

و رفض زياد بن أبيه هذه الخطّة الخبيثة؛ و لعلّه لما كان يلتمسه من رذائل في شخصية يزيد بحيث تجعله غير صالح لزعامة الأمة. و قد أثارت هذه الخطّة مطامع أطراف أخرى من بنى امية، فمدّ كل من مروان بن الحكم و سعيد بن عثمان بن عفان عنقه لذلك^{١٩٣}.

(١) الكامل في التاريخ: ٢٤٩ / ٣، و تاريخ يعقوبي: ١٩٥ / ٢، و الإمامة و السياسة: ٢٦٢ / ٢.

(٢) الكامل في التاريخ: ٢٤٩ / ٣.

(٣) وفيات الأعيان: ٣٨٩ / ٥، و الإمامة و السياسة: ١٨٢ / ١، و تاريخ يعقوبي: ١٩٦ / ٢.

ص: ١١٤

^{١٩١} (١) الكامل في التاريخ 3/ 249، و تاريخ يعقوبي: 2/ 195، و الإمامة و السياسة: 2/ 262.

^{١٩٢} (٢) الكامل في التاريخ 3/ 249.

^{١٩٣} (٣) وفيات الأعيان: 5/ 389، و الإمامة و لسياسة: 1/ 182، و تاريخ يعقوبي: 2/ 196.

و جمد معاوية رسميا و بشكل مؤقت خطته لأخذ البيعة ليزيد؛ و ذلك ليتخذ إجراءات أخرى تمهّد للإعلان الرسمي و في الفرصة المناسبة لذلك.

٢- أساليب معاوية لإعلان بيعه يزيد:

لمس معاوية رفض العائلة الاموية المنحرفة لحكم يزيد من بعده، فكيف بصاحب الحق الشرعي - الإمام الحسن (عليه السلام) و من بعده الإمام الحسين (عليه السلام) - و عدد من أبناء الصحابة؟!

من هنا مضى جادا باتخاذ سبل أخرى تتراوح بين مخادعة الامة و بين قهرها بالقوة على بيعه الخليفة يزيد، و من تلك السبل:

أ- استخدام الشعراء لإسباغ فضائل على يزيد و لبيان مقدرته و إشاعة أمره، لكي تخضع الامة لولايته^{١٩٤}، و أوعز الى ولايته و الخطباء في الأمصار لنشر تلك الفضائل المفتعلة.

ب- بذل الأموال الطائلة و شراء ذمم المعارضين ممن كان يقف ضدّ يزيد لا بدافع العقيدة و الحرص على الإسلام و إنما بدوافع شخصية و ذاتية^{١٩٥}.

ج- استقدام وفود من وجهاء الأنصار^{١٩٦} و مناقشة قضية يزيد معهم لمعرفة الرفض و المؤيد منهم، و معرفة نقاط الضعف لكي ينفذ منها إليهم.

د- إيقاع الخلاف بين عناصر بني امية الطامعين في الحكم كي يضعف منافستهم ليزيد، فقد عزل عامله على يثرب سعيد بن العاص و استعمل مروان ابن الحكم مكانه، ثم عزل مروان و استعمل سعيدا^{١٩٧}.

هـ- اغتيال الشخصيات الإسلامية البارزة و التي كانت تحظى باحترام

(١) الأغاني: ٧١ / ٨، و شعراء النصرانية بعد الاسلام: ٢٣٤: للويس شيخو اليسوعي.

(٢) و (٣) الكامل في التاريخ: ٢٥٠ / ٣.

(٤) تاريخ الطبري: ١٨ / ٤.

^{١٩٤} (١) الأغاني: ٧١ / ٨، و شعراء النصرانية بعد الاسلام: 234: للويس شيخو اليسوعي.

^{١٩٥} (٢) و (٣) الكامل في التاريخ: 250 / 3.

^{١٩٦} (٢) و (٣) الكامل في التاريخ: 250 / 3.

^{١٩٧} (٤) تاريخ الطبري: 18 / 4.

كبير فى نفوس الجماهير، فاغتال الإمام الحسن (عليه السلام) و سعد بن أبى وقاص و عبد الرحمن بن خالد و عبد الرحمن بن أبى بكر^{١٩٨}.

و- استخدام سلاح الحرمان الاقتصادى ضدّ بنى هاشم للضغط عليهم و إضعاف دورهم، فقد حبس عنهم العطاء سنة كاملة^{١٩٩}؛ إذ وقفوا مع الإمام الحسين (عليه السلام) يرفضون البيعة ليزيد.

٣- محاولات الإمام الحسين (عليه السلام) لإيقاظ الأمة:

لم يخلد الإمام الحسين (عليه السلام) إلى السكون و الخمول حتى عند إقراره الصلح مع معاوية، فقد تحرّك انطلاقاً من مسؤوليته تجاه الشريعة و الأمة الإسلامية و بصفته و ريث النبوة - بعد أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) - مراعيًا ظروف الأمة و ساعياً إلى المحافظة عليها . و قد عمل الإمام (عليه السلام) فى فترة حكم معاوية على تحصين الأمة ضدّ الانهيار التام فأعطاهما من المقومات المعنوية القدر الكافى، كى تتمكّن من البقاء صامدة فى مواجهة المحن . و إليك جملة من هذه المواقف:

١- مواجهة معاوية و بيعة يزيد.

٢- محاولة جمع كلمة الأمة.

٣- فضح جرائم معاوية.

٤- استعادة حقّ مضيّع.

٥- تذكير الأمة بمسؤولياتها.

(١) مقاتل الطالبين: ٢٩، و تأريخ الطبرى: ٥/ ٢٥٣، و الكامل فى التأريخ: ٣/ ٣٥٢.

(٢) الكامل فى التأريخ: ٣/ ٢٥٢، و الإمامة و السياسة: ١/ ٢٠٠.

ص: ١١٦

مواجهة معاوية و بيعة يزيد:

أعلن الإمام الحسين (عليه السلام) رفضه القاطع لبيعة يزيد و كذا زعماء يثرب، فقرّر معاوية أن يسافر إلى يثرب ليتولّى بنفسه إقناع المعارضين، فاجتمع بالإمام و عبد الله بن عباس، فأشاد بالنبىّ (صلّى الله عليه و اله) و أثنى عليه، و عرض بيعة ابنه و منحه الألقاب الفخمة و دعاهما الى بيعته، فانبرى الإمام (عليه السلام) فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

^{١٩٨} (١) مقاتل الطالبين: 29، و تأريخ الطبرى: 5/ 253، و الكامل فى التأريخ: 3/ 352.
^{١٩٩} (2) الكامل فى التأريخ: 3/ 252، و الإمامة و السياسة: 1/ 200.

«أما بعد يا معاوية فلن يؤدّي المادح و إن أطنب في صفة الرسول (صلى الله عليه و اله) و قد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) من إيجاز الصفة، و التنكّب عن استبلاغ النعت، و هيهات هيهات يا معاوية !! فضح الصبح فحمة الدجى، و بهرت الشمس أنوار السرج، و لقد فضّلت حتى أفرطت، و اس تأثرت حتى أجحفت، و منعت حتى بخلت، و جرت حتى تجاوزت، ما بذلت لذي حقّ من اسم حقّه من نصيب، حتى أخذ الشيطان حظّه الأوفر و نصيبه الأكمل.

و فهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله، و سياسته لامة محمد (صلى الله عليه و اله)، تريد أن توهم الناس في يزيد كأنك تصف محجوبا أو تنعت غائبا، أو تخبر عما كان ممّا احتويته بعلم خاص، و قد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقراءه الكلاب المهارشة عند التحارش، و الحمام السبق لأترايهم، و القيان ذوات المعازف، و ضروب الملاهى، تجده ناصرا.

ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر ممّا أنت لاقية! فو الله ما برحت تقدح باطلا في جور و حقنا في ظلم حتى ملأت الأسقية، و ما بينك و بين الموت إلّا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، و لات حين مناص، و رأيته

ص: ١١٧

عرّضت بنا بعد هذا الأمر، و منعنا عن آبائنا تراثا و لعمر الله لقد أورثنا الرسول (صلى الله عليه و اله) و ولادة، و جئت لنا بما حججتم به القائم عند موت الرسول (صلى الله عليه و اله) فأذعن للحجة بذلك وردّه الإيمان الى النصف.

فركبتم الأعاليل و فعلتم الأفاعيل، و قلتم كان و يكون حتى أت اك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا اولي الأبصار.

و ذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و تأميره له، و قد كان ذلك لعمر و ابن العاص يومئذ فضيلة بصحة الرسول و بيعته له و ما صار لعمر و يومئذ حتى أنف القوم إم رته و كرهوا تقديمه و عدّوا عليه أفعاله، فقال (صلى الله عليه و اله) لا جرم يا معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيرى، فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكد الأحكام و أولاهها بالمجتمع عليه من الصواب؟ أم كيف ضاهيت بصاحب تابعا و حولك من يؤمن في صحبته ، و يعتمد في دينه و قرابته، و تتخطّاهم الى مسرف مفتون؟ تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه و تشقى بها في آخرتك، إنّ هذا لهو الخسران المبين، و أستغفر الله لى و لكم.

و ذهل معاوية من خطاب الإمام (عليه السلام)، و ضاقت عليه جميع السبل فقال لابن عباس: ما هذا يا ابن عباس؟ فقال ابن عباس: لعمر الله إنّها لذرية رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أحد أصحاب الكساء و من البيت المطهر، فاسأله عما تريد فإنّ لك في الناس مقنعا حتى يحكم الله بأمره و هو خير الحاكمين.^{٢٠٠}

و قد اتّسم موقف الإمام الحسين (عليه السلام) مع معاوية بالشدة و الصرامة، و أخذ يدعو المسلمين علنا الى مقاومة معاوية، و يحذّرهم من سياسته الهدامة التي تحمل الدمار الى الاسلام.

محاولة جمع كلمة الامّة والاستجابة لحركة الجماهير:

وأخذت الوفود تترى على الإمام من جميع الأقطار الإسلامية و هي تعجّ بالشكوى و تستغيث به نتيجة الظلم و الجور الذى حلّ بها، و تطلب منه القيام بإنقاذها من الاضطهاد، و نقلت العيون فى يثرب الى السلطة المحليّة أنباء تجمّع الناس و اختلافهم إلى الإمام (عليه السّلام) و كان والى مروان بن الحكم، ففزع من ذلك و خاف من عواقبه جدا، فرفع مذكرة الى معاوية جاء فيها: أمّا بعد فقد كثر اختلاف الناس الى الحسين، و الله إنى لأرى لكم منه يوما عصيبا^{٢٠١}.

و اضطرب معاوية من تحرّك الإمام الحسين (عليه السّلام) فكتب اليه رسالة جاء فيها : أمّا بعد، فقد انهيت إلى عنك امور، إن كانت حقّا فإننى لم أظنها بك رغبة عنها، و إن كانت باطلة فأنت أسعد الناس بمجانبتها، و بحظ نفسك تبدأ، و بعهد الله توفى فلا تحملنى على قطيعتك و الإساءة إليك، فإنّك متى تتكرنى أنكرى، و متى تكدننى أكدرى، فأتق الله يا حسين فى شقّ عصا الامّة، و أن تردّهم فى فتنة^{٢٠٢}.

فضح جرائم معاوية:

كتب الإمام (عليه السّلام) الى معاوية مذكرة خطيرة كانت ردّا على رسالته يحمله فيها مسؤوليات جميع ما وقع فى البلاد من سفك الدماء و فقدان الأمن و تعريض الامّة للأزمات . و تعدّ من أروع الوثائق الرسميّة التى حفلت بذكر الأحداث التى صدرت من معاوية، و هذا نصّها : «أمّا بعد، بلغنى كتابك تذكر فيه أنّه انتهت اليك عنى امور أنت عنها راغب و أنا بغيرها عندك جدير، و أنّ الحسنات لا يهدى لها

و لا يسدّد إليها إلّا الله تعالى . أمّا ما ذكرت أنّه رقى اليك عنى فإنّه إنّما رقاها إليك الملاقون المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الجمع، و كذب الغاوون، ما أردت لك حربا و لا عليك خلافا، و إنى لأخشى الله فى ترك ذلك منك، و من الإعذار فيه إليك و إلى أوليائك القاسطين حزب الظلمة.

^{٢٠١} (١) حياة الإمام الحسين: ٢ / 223.

^{٢٠٢} (٢) المصدر السابق: ٢ / 224.

ألست القاتل حجر بن عدى أخا كندة و أصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم، و يستعظمون البدع، و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، و لا يخافون في الله لومة لائم؟ قتلته ظلما و عدوانا من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلظة و المواثيق المؤكدة، جرأه على الله و استخفاها بعهد.

أ و لست قاتل عمرو بن الحمق الخزاعي صاحب رسول الله (صلى الله عليه و اله) العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه و اصفر لونه؟ فقتلته بعد ما أمنتته و أعطيته ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال.

أ و لست بمدعى زياد بن سمية المولود على فراش عبيد تقيف، فزعمت أنه ابن أبيك؟ و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و اله) «الولد للفراش و للعاهر الحجر» فتركت سنة رسول الله (صلى الله عليه و اله) تعمدا، و تبعت هواك بغير هدى من الله، ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم و يقطع أيديهم و أرجلهم و يسمل أعينهم و يصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة و ليسوا منك.

أ و لست قاتل الحضرمي الذي كتب فيه اليك زياد أنه على دين علي كرم الله وجهه، فكتبت إليه أن اقتل كل من كان على دين علي؟ فقتلهم و مثل بهم بأمرك، و دين علي هو دين ابن عمه (صلى الله عليه و اله) الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، و لولا ذلك لكان شرفك و شرف آبائك تجسم الرحلتين رحلة الشتاء و رحلة الصيف.

و قلت فيما قلت: انظر لنفسك و دينك و لامة محمد (صلى الله عليه و اله) و اتق شق عصا هذه الأمة

ص: ١٢٠

و أن تردهم الى فتنة، و إنني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، و لا أعظم لنفسى ولدينى و لامة محمد (صلى الله عليه و اله) أفضل من أن اجاهرك، فإن فعلت فإنه قربة الى الله، و إن تركته فإننى استغفر الله لدينى و أسأله توفيقه لإرشاد امرى.

و قلت فيما قلت: إنني إن أنكرت تنكرنى، و إن أكدك تكدننى، فكدننى ما بدا لك، فإننى أرجو أن لا يضرنى كيدك، و أن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك، لأنك قد ركبت جهلك و تحرصت على نقض عهذك، و لعمرى ما وفيت بشرط، و لقد نقضت عهذك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلته بعد الصلح و الأيمان و العهود و المواثيق، فقتلته من غير أن يكونوا قاتلوا أو قتلوا، و لم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا و تعظيمهم حقنا، مخافة أمر لعلك إن لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا.

فأبشر يا معاوية بالقصاص، و استيقن بالحساب، و اعلم أن لله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها، و ليس الله بناس لأخذك بالظنة، و قتلك أولياءه على التهم، و نفيك إياهم من دورهم الى دار الغربة، و أخذك الناس ببيعة ابنك الغلام الحدث، يشرب الشراب، و يلعب بالكلاب، ما أراك إلا قد خسرت نفسك، و بترت دينك، و غششت رعيتك، و سمعت مقالة السفية الجاهل، و أخفت الورع التقى^{٢٠٣}.

^{٢٠٣} (1) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): 235 / 2 عن الإمامة و السياسة: 284 / 1، و الدرجات الرفيعة: 334، و راجع الغدير: 161 / 10.

و لا توجد وثيقة سياسية في ذلك العهد عرضت لعبث السلطة و سجّلت الجرائم التي ارتكبتها معاوية غير هذه الوثيقة، و هي صرخة في وجه الظلم و الاستبداد.

استعادة حق مضيع:

و كان معاوية ينفق أكثر أموال الدولة لتدعيم ملكه، كما كان يهب

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢ / ٢٣٥ عن الإمامة و السياسة : ١ / ٢٨٤، و الدرجات الرفيعة : ٣٣٤، و راجع الغدير: ١٠ / ١٤١.

ص: ١٢١

الأموال الطائلة لبنى امية لتقوية مركزهم السياسى و الاجتماعى، و كان الإمام الحسين (عليه السلام) يشجب هذه السياسة، و يرى ضرورة إنقاذ الأموال من معاوية الذى يفتقد حكمه لأى أساس شرعى، و لا يقوم إلّا على القمع و التزييف و الإغراء. و قد اجتازت على يثرب أموال من اليمن مرسولة الى خزينة دمشق، فعمد الإمام (عليه السلام) الى الاستيلاء عليها و وزّعها على المحتاجين، و كتب الى معاوية : «من الحسين بن على الى معاوية بن أبى سفيان، أمّا بعد فإنّ غيرا مرّت بنا من اليمن تحمل مالا و حللا و عنبرا و طيبا اليك لتودعها خزائن دمشق و تعلّ بها بعد النهل بنى أبيك، و إننى احتجتها اليها فأخذتها، و السلام»^{٢٠٤}.

فأجاب معاوية: من عبد الله معاوية أمير المؤمنين الى الحسين بن على، سلام عليك، أمّا بعد فإنّ كتابك ورد علىّ تذكر أنّ غيرا مرّت بك من اليمن تحمل مالا و حللا و عنبرا و طيبا إلىّ لأودعها خزائن دمشق و اعلّ بها بعد النهل بنى أبى، و إنّك احتجت اليها فأخذتها، و لم تكن جديرا بأخذها إذ نسبتها إلىّ لأنّ الوالى أحقّ بالمال ثم عليه المخرج منه، و أيم الله لو تركت ذلك حتى صار إلىّ لم أبخسك حظك منه، و لكننى قد ظننت يا ابن أخى أنّ فى رأسك ن زوة و بودى أن يكون ذلك فى زمانى، فأعرف لك قدرك و أتجاوز عن ذلك، و لكننى و الله أتخوّف أن تبلى بمن لا ينظر فواق ناقة^{٢٠٥}.

إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) دلّل بعمله على أن ليس من حقّ الخليفة غير الشرعى أن يتصرّف فى أموال المسلمين، و أنّ ذلك من حقوق الحاكم الشرعى، و الحاكم الشرعى هو الإمام الحسين (عليه السلام) نفسه الذى ينفق أموال بيت

(١) نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ٣٢٧ / ٤، الطبعة الاولى، و ناسخ التواريخ: ١ / ١٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ٣٢٧ / ٤، و ناسخ التواريخ: ١ / ١٩٥.

ص: ١٢٢

^{٢٠٤} (١) نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ٣٢٧ / ٤، الطبعة الاولى، و ناسخ التواريخ: ١ / ١٩٥.
^{٢٠٥} (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ٣٢٧ / ٤، و ناسخ التواريخ: ١ / ١٩٥.

المال وفق المعايير الإسلامية. وقد أكد (عليه السلام) في رسالته على أنه لا يعترف رسمياً بخلافه معاوية؛ إذ لم يصفه بأمر المؤمنين كما كان يصفه الآخرون. ومن هنا حاول معاوية الالتفاف على موقف الإمام (عليه السلام) فوصف نفسه في رسالته الجوابية بأمر المؤمنين وإلى المسلمين ولكنه فشل في محاولته تلك، فقد بات موقف الإمام الحسين (عليه السلام) معياراً إسلامياً وملاكا فارقا وفاصلا بين الصواب والخطأ للمسلمين جميعا على مدى التاريخ، في حين لم يعر المسلمون لموقف معاوية أي اهتمام ولم يعتبروه سوى أنه تشويه للحقيقة وتضليل للرأي العام.

لقد كان موقف الإمام (عليه السلام) هذا إشارة واضحة للاعتراض على تصرفات وحكم معاوية والمطالبة بسيادة الحق والعدل الإلهي.

تذكير الأمة بمسؤوليتها:

عقد الإمام (عليه السلام) في مكة مؤتمرا سياسيا عاما دعا فيه جمهورا غفيرا ممن شهد موسم الحج من المهاجرين والأنصار والتابعين وغيرهم من سائر المسلمين، فانبرى (عليه السلام) خطيبا فيهم، وتحدث عما ألمّ بعتره النبي (صلى الله عليه واله) وشيعتهم من المحن والإحزن التي صبها عليهم معاوية، وما اتخذته من الإجحاعات المشددة في إخفاء فضائلهم، وستر ما اثر عن الرسول (صلى الله عليه واله) في حقهم، وألزم الحاضرين بإذاعة ذلك بين المسلمين، وفيما يلي ما رواه سليم بن قيس عن هذا المؤتمر ونص خطاب الإمام (عليه السلام) حيث قال: ولما كان قبل موت معاوية بسنة حج الحسين بن عليّ وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر، فجمع الحسين بنى هاشم ونساءهم ومواليهم ومن حج من الأنصار ممن

ص: ١٢٣

يعرفهم الحسين وأهل بيته، ثم أرسل رسلا وقال لهم: لا تدعوا أحدا حج العام من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله) المعروفين بالصلاح والنسك إلّا اجمعوهم لي، فاجتمع اليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سراق، عامتهم من التابعين، ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبي (صلى الله عليه واله) فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن هذا الطاغية - يعني معاوية - قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم، وإنّي أريد أن أسألكم عن شيء فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي واكموا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم فمن أمنتكم من الناس، ووثقتم به فادعوه إلى ما تعلمون، فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون».

قال الراوي: فما ترك الحسين شيئا مما أنزل الله فيهم إلّا تلاه وفسّره، ولا شيئا مما قاله رسول الله (صلى الله عليه واله) في أبيه وأخيه وأمه وفي نفسه وأهل بيته إلّا رواه، وفي كل ذلك يقول أصحابه: اللهم نعم قد سمعنا وشهدنا، ومما ناشدهم (عليه السلام) أن قال:

«انشدكم الله، أتعلمون أن عليّ بن أبي طالب كان أخا رسول الله حين آخى بين أصحابه فأخى بينه وبين نفسه، وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة؟ قالوا: اللهم نعم، قال: انشدكم هل تعلمون أن رسول الله اشتري موضع مسجده ومنازله فابتناه ثم ابنتي فيه عشرة منازل تسعة له، وجعل عاشرها في وسطها لأبي، ثم سدّ كل باب شارع إلى المسجد

غير بابه؟ فتكلّم فى ذلك من تكلّم، فقال: ما أنا سدّدت أبوابكم وفتحت بابه، و لكنّ الله أمرنى بسدّ أبوابكم وفتح بابه، ثم نهى الناس أن يناموا فى المسجد غيره، و كان بجانب فى المسجد و منزله فى منزل رسول الله، فولد لرسول الله و له فيه أولاد، قالوا: اللهمّ نعم، قال:

أفتعلمون أن عمر بن الخطاب حرص على كوة قدر عينه يدعها فى منزله الى المسجد فأبى

ص: ١٢٤

عليه، ثم خطب فقال: إنّ الله أمرنى أن أبني مسجدا طاهرا لا يسكنه غيرى و غير أخى و بنيه؟

قالوا: اللهمّ نعم، قال: انشدكم الله أتعلمون أن رسول الله قال فى غزوة تبوك : أنت منى بمنزلة هارون من موسى، و أنت ولى كلّ مؤمن بعدى؟ قالوا: اللهمّ نعم، قال: انشدكم الله أتعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) حين دعا النصارى من أهل نجران الى المباهلة لم يأت إلّا به و بصاحبته و ابنه؟ قالوا: اللهمّ نعم، قال: انشدكم الله أتعلمون أن رسول الله دفع اليه اللواء يوم خيبر، ثم قال : لأدفعه إلى رجل يحبّه الله و رسوله و يحبّ الله و رسوله كرّار غير فرار، يفتحها الله على يديه؟ قالوا: اللهمّ نعم، قال: أتعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعثه ببراءة و قال: لا يبلغ عنى إلّا أنا أو رجل منى؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال:

أتعلمون أن رسول الله لم تنزل به شدة قطّ إلّا قدّمه لها ثقة به و أنّه لم يدعه باسمه قطّ، إلّا يقول يا أخى؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال:

أتعلمون أن رسول الله قضى بينه و بين جعفر و زيد فقال: يا على أنت منى و أنا منك و أنت ولى كلّ مؤمن بعدى؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال:

أتعلمون أنّه كانت له من رسول الله (صلى الله عليه و اله) كلّ يوم خلوة، و كلّ ليلة دخلة، إذا سأله أعطاه، و إذا سكت أبداه؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال:

أتعلمون أن رسول الله فضّله على جعفر و حمزة حين قال لفاطمة (عليها السلام): زوجتك خير أهل بيتى أقدمهم سلما و أعظمهم حلما و أكثرهم علما؟ قالوا: اللهمّ نعم. قال:

أتعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: أنا سيّد ولد آدم، و أخى علىّ سيّد العرب، و فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة؟ و الحسن و الحسين ابنائ سيّدا شباب أهل الجنّة، قالوا:

الهمّ نعم. قال:

أتعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أمره بغسله، و أخبره أن جبرئيل يعينه عليه؟ قالوا:

الهمّ نعم. قال:

أ تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال فى آخر خطبة خطبها: أيها الناس! إننى تركت فيكم الثقلين كتاب الله و أهل بيته فتمسكوا بهما لن تضلوا؟ قالوا: اللهم نعم .

فلم يدع (صلى الله عليه و اله) شيئاً أنزله الله فى على بن أبى طالب خاصة و فى أهل بيته من القرآن و لا على لسان نبيه إلّا ناشدهم فيه فيقول الصحابة: اللهم نعم قد سمعناه، و يقول التابعى: اللهم قد حدثني به فلان و فلان.

ثم ناشدهم أنهم قد سمعوه يقول: من زعم أنه يحبني و يبغض علياً فقد كذب، ليس يحبني و هو يبغض علياً، فقال له قائل : يا رسول الله و كيف ذلك؟ قال : لأنه مني و أنا منه، من أحبه فقد أحبني و من أحبني فقد أحب الله، و من أبغضه فقد أبغضني، و من أبغضني فقد أبغض الله؟ فقالوا: اللهم نعم، قد سمعناه، و تفرقوا على ذلك^{٢٠٦}.

موت معاوية:

لقد كان موت معاوية بن أبى سفيان فى سنة ستين من الهجرة^{٢٠٧}.

و استقبل معاوية الموت غير مطمئن، فكان يتوجع و يظهر الجزع على ما اقترفه من الإسراف فى سفك دماء المسلمين و نهب أموالهم، و قد و افاه الأجل فى دمشق محروماً عن رؤية ولده الذى اغتصب له الخلافة و حمله على رقاب المسلمين، و كان يزيد فيما يقول المؤرخون مشغولاً عن أبيه - فى أثناء وفاته - برحلات الصيد و غارقاً فى عريدات السكر و نغمة العيdan^{٢٠٨}.

(١) كتاب سليم بن قيس: ٣٢٣، تحقيق محمد باقر الأنصارى.

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٥٤ / ٢.

(٣) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢٣٩ - ٢٤٠ / ٢.

البحث الثانى: حكومة يزيد و نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)

بدايات النهضة:

ذكرنا أن الإمام الحسين (عليه السلام) و بالرغم من معارضته الشديدة لحكم معاوية بن أبى سفيان - و التى تقلنا صوراً عديدة منها - رفض التحرك لخلع معاوية؛ التزاماً منه بالعهد الذى وقّعه أخوه الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية.

^{٢٠٦} (١) كتاب سليم بن قيس: 323، تحقيق محمد باقر الأنصارى.

^{٢٠٧} (٢) سيرة الأئمة الاثني عشر: 54 / 2.

^{٢٠٨} (٣) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): 239 / 2 - 240.

و قد سجّل المؤرّخون هذا الموقف المبدئي للإمام الحسين (عليه السّلام) فقالوا:

لَمَّا مات الحسن (عليه السّلام) تحرّكت الشيعة بالعراق، وكتبوا الى الحسين (عليه السّلام) في خلع معاوية و البيعة له فامتنع عليهم، و ذكر أنّ بينه و بين معاوية عهدا و عقدا لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدّة، فإذا مات معاوية نظر في ذلك^{٢٠٩}.

من هنا كان معلوما لشييعته و للجهاز الحاكم أيضا أنّ موت معاوية يعنى بالنسبة للإمام الحسين (عليه السّلام) أنّه في حلّ من أيّ التزام، و من ثمّ فإنّه سيطلق ثورته على نظام الحكم الغاشم الذي استلمه يزيد الفاسق، لذلك كان الإمام الحسين (عليه السّلام) يمثّل الهاجس الأكبر للطغمة الحاكمة.

رسالة يزيد الى حاكم المدينة:

قال المؤرّخون: إنّ يزيد كتب فور موت أبيه الى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - و كان واليا على المدينة من قبل معاوية - أن يأخذ على الحسين (عليه السّلام) بالبيعة له و لا يرخص له في التأخّر عن ذلك^{٢١٠}. و ذكرت مصادر

(١) الإرشاد: ٣٢ / ٢.

(٢) المصدر السابق.

ص: ١٢٧

تأريخية أخرى أنّه جاء في الرسالة: إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن عليّ و عبد الله بن الزبير فخذهما بالبيعة، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما و ابعث إليّ برأسيهما و خذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم^{٢١١}.

الوليد يستشير مروان بن الحكم:

حار الوليد في أمره، إذ يعرف أنّ الإمام الحسين (عليه السّلام) لا يبايع ليزيد مهما كانت النتائج، فرأى أنّه في حاجة لى مشورة مروان بن الحكم عميد الاسرة الاموية فبعث إليه، فأشار مروان على الوليد قائلا له : إبعث اليهم^{٢١٢} في هذه الساعة فتدعوهم الى البيعة و الدخول في طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، و إن أبوا قدّمهم و اضرب أعناقهم قبل أن يدروا بموت معاوية؛ فإنهم إن علموا ذلك و ثب كلّ رجل منهم فأظهر الخلاف و دعا الى نفسه، فعند ذلك أخاف أن يأتيك من قبلهم ما لا قبل لك به، إلّا عبد الله بن عمر فإنّه لا ينازع في هذا الأمر أحدا، مع أنّي أعلم أنّ الحسين بن علي لا يجيبك الى بيعة يزيد، و لا يرى له عليه طاعة . و والله لو كنت في موضعك لم اراجع الحسين بكلمة واحدة حتى أضرب رقبتك كائنا في ذلك ما كان^{٢١٣}.

^{٢٠٩} (١) الإرشاد: 32 / 2.

^{٢١٠} (٢) المصدر السابق.

^{٢١١} (١) تأريخ اليعقوبي: 215 / 2.

^{٢١٢} (٢) المقصود هنا الإمام الحسين (عليه السّلام) و عبد الله بن الزبير و عبد الله بن عمر، باعتبار أنّ بعض المصادر التاريخية أفادت بأنّ رسالة يزيد تضمّنت أسماءهم جميعا مثل تأريخ الطبري 84 / 6.

^{٢١٣} (٣) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام): 25 / 2.

و عظم ذلك على الوليد و هو أكثر بنى اميَّة حنكة، فقال لمروان: يا ليت الوليد لم يولد و لم يك شيئا مذكورا^{٢١٤}.

فسخر منه مروان و راح يندد به قائلا: لا تجزع ممّا قلت لك؛ فإنّ

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢١٥ / ٢.

(٢) المقصود هنا الإمام الحسين (عليه السّلام) و عبد الله بن الزبير و عبد الله بن عمر، باعتبار أنّ بعض المصادر التاريخية أفادت بأنّ رسالة يزيد تضمّنت أسماءهم جميعا مثل تاريخ الطبري: ٨٤ / ٦.

(٣) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام): ٢٥ / ٢.

(٤) المصدر السابق: ٢٥١ / ٢.

ص: ١٢٨

آل أبي تراب هم الأعداء من قديم الدهر^{٢١٥}، و نهره الوليد فقال له: و يحك يا مروان إعزب عن كلامك هذا، و أحسن القول في ابن فاطمة فإنّه بقيّة النبوة^{٢١٦}.

و اتفق رأيهما على استدعاء الإمام (عليه السّلام) و عرض الأمر عليه لمعرفة موقفه من السلطة.

الإمام (عليه السّلام) في مجلس الوليد:

أرسل الوليد إلى الحسين (عليه السّلام) يدعوه إليه ليلا، فجاءه الرسول و هو في المسجد، و لم يكن قد شاع موت معاوية بين الناس، و جال في خاطر الحسين (عليه السّلام) أنّ الوليد قد استدعاه ليخبره بذلك و يأخذ منه البيعة إلى الحاكم الجديد بناء على الأوامر التي جاءت من الشام، فاستدعى الحسين مواليه و إخوته و بني عمومته و أخبرهم بأنّ الوالي قد استدعاه اليه و أضاف: إنّني لا آمن أن يكلفني بأمر لا أجيبه عليه^{٢١٧}.

و قال الإمام (عليه السّلام) لمواليه بعد أن أمرهم بحمل السلاح : «كونوا معي فإذا دخلت اليه فاجلسوا على الباب فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه»^{٢١٨}.

و دخل الإمام (عليه السّلام) على الوليد فرأى مروان عنده و كانت بينهما قطيعة، فقال (عليه السّلام): «الصلة خير من القطيعة، و الصلح خير من الفساد، و قد آن لكما أن تجتمعا، أصلح الله ذات بينكما»^{٢١٩} ثم نعى اليه الوليد معاوية، فاسترجع الإمام الحسين (عليه السّلام)

^{٢١٤} (4) المصدر السابق: 251 / 2.

^{٢١٥} (1) حياة الإمام الحسين (عليه السّلام) 251 / 2.

^{٢١٦} (2) المصدر السابق.

^{٢١٧} (3) إعلام الوري: 1 / 434، و روضة الواعظين: 171، و مقتل أبي مخنف: 27، و تذكرة الخواص: 213.

^{٢١٨} (4) الإرشاد: 33 / 2.

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ٢ / ٢٥١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) إعلام الوري: ١ / ٤٣٤، وروضة الواعظين: ١٧١، ومقتل أبي مخنف: ٢٧، وتذكرة الخواص: ٢١٣.

(٤) الإرشاد: ٢ / ٣٣.

(٥) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢ / ٢٥٤.

ص: ١٢٩

ثم قرأ عليه كتاب يزيد و ما أمره فيه من أخذ البيعة منه له، فقال الحسين (عليه السلام):

«إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً حتى إبايعه جهراً».

فقال الوليد: أجل، فقال الحسين (عليه السلام): «فتصبح و ترى رأيك في ذلك»، فقال له الوليد: انصرف على اسم الله تعالى حتى تأتينا مع جماعة الناس، فقال له مروان: و الله لئن فارقك الحسين الساعة و لم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم و بينه، إحبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب الحسين (عليه السلام) عند ذلك و قال: «أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أم هو؟! كذبت و الله و أثمت». و خرج يمشى و معه مواله حتى أتى منزله.

فقال مروان للوليد: عصيتني. لا و الله لا يمكنك مثلها من نفسه أبداً.

فقال له الوليد: و يح غيرك يا مروان! إنك اخترت لى التى فيها هلاك دينى. و الله ما احب أن لى ما طلعت عليه الشمس و غربت عنه من مال الدنيا و ملكها و إننى قتلت حسيناً. سبحان الله! أقتل حسيناً لما أن قال: لا إبايع؟ و الله إننى لأظنّ امرءاً يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة^{٢٢٠}.

و ثمة روايات أفادت بأنّ النقاش قد احتدم بين الإمام (عليه السلام) و بين مروان، حتى أعلن (عليه السلام) رأيه لمروان بصراحة قائلاً: «إنّا أهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مختلف الملائكة و محل الرحمة، بنا فتح الله و بنا ختم، و يزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق، و مثلى لا يبايع مثله، و لكن نصبح و تصبحون و ننظر و تنتظرون أينا أحقّ بالخلافة و البيعة»^{٢٢١}.

(١) الإرشاد: ٢ / ٣٣ - ٣٤.

^{٢١٩} (٥) حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢ / 254.

^{٢٢٠} (١) الإرشاد: ٢ / 33-34.

^{٢٢١} (٢) مقتل الحسين للمقرّم: 144، و إعلام الوري: 1 / 435.

الإمام (عليه السّلام) مع مروان:

و التقى الإمام الحسين (عليه السّلام) فى أثناء الطريق بمروان بن الحكم فى صبيحة تلك الليلة التى أعلن فيها رفضه لبيعة يزيد، فبادره مروان قائلاً: إننى ناصح فأطعنى ترشد و تسدّد. فقال الإمام (عليه السّلام): «و ما ذاك يا مروان؟».

قال مروان: إننى آمرک ببيعة أمير المؤمنين يزيد فإنّه خير لك فى دينک و دنياک . فردّ عليه الإمام (عليه السّلام) ببليغ منطق قائلاً: «على الإسلام السلام إذ قد بليت الامة براع مثل يزيد ... سمعت جدّى رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يقول: الخلافة محرمة على آل أبى سفيان و على الطلقاء و أبناء الطلقاء فإذا رأيتم معاوية على منبرى فابقروا بطنه، فوالله لقد رآه أهل المدينة على منبر جدّى فلم يفعلوا ما امرؤا به»^{٢٢٢}.

حركة الإمام (عليه السّلام) فى الليلة الثانية:

ذكر المؤرّخون أنّ الإمام الحسين (عليه السّلام) أقام فى منزله تلك الليلة و هى ليلة السبت لثلاث بقين من رجب سنة ستين من الهجرة، و اشتغل الوليد بن عتبة بمراسلة ابن ال زبير فى البيعة ليزيد و امتناعه عليهم، و خرج ابن الزبير من ليلته عن المدينة متوجّها الى مكة، فلمّا أصبح الوليد سرح فى أثره الرجال فبعث راكبا من موالى بنى امية فى ثمانين راكبا، فطلبوه و لم يدركوه فرجعوا، فلمّا كان آخر نهار يوم السبت بعث الرجال الى الحسين (عليه السّلام) ليحضر فيبايع الوليد ليزيد بن معاوية، فقال لهم الحسين (عليه السّلام): أصبحوا ثم ترون و نرى.

فكفّوا تلك الليلة عنه و لم يلحّوا عليه.

فخرج (عليه السّلام) من تحت ليلته و هى ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب متوجّها نحو مكة و معه بنوه و بنو أخيه و إخوته و جلّ أهل بيته إلّا محمد بن الحنفية - رحمة الله عليه - فإنّه لمّا علم عزمه على الخروج عن المدينة لم يدر أين يتوجّه، فقال له: يا أخى أنت أحبّ الناس الىّ و أعزّهم علىّ و لست أدّخر النصيحة لأحد من الخلق إلّا لك و أنت أحقّ بها، تتجّ بيعتک عن يزيد بن معاوية و عن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلک الى الناس فادعهم الى نفسك فإن بايعک الناس و بايعوا لك حمدت الله على ذلك، و إن اجتمع الناس على غيرک لم ينقص الله بذلك دينک و لا عقلک و لا تذهب به مروّتک و لا فضلک، إننى أخاف عليك أن تدخل مصرا من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم، فمنهم طائفة

^{٢٢٢} (١) الفتوح لابن أعثم: ١٧/ ٥، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١/ 184.

معك و اخرى عليك، فيقتتلوا فتكون لأوّل الأسنة غرضا، فإذا خير هذه الامّة كلّها نفسا و أبا و أمّا، أضيعها دما و أذلّها أهلا.

فقال له الحسين (عليه السّلام): فأين أذهب يا أخى؟ قال: انزل مكة فإن اطمأنت بك الدار بها فسيبيل ذلك، وإن (نبت بك)^{٢٢٣} لحقت بالرمال و شعث الجبال و خرجت من بلد الى بلد حتى تنتظر الى ما يصير أمر الناس إليه؛ فإنّك أصوب ما تكون رأيا حين تستقبل الأمر استقبالا.

فقال الإمام (عليه السّلام): «يا أخى، قد نصحت و أشققت و أرجو أن يكون رأيك سديدا موقفاً»^{٢٢٤}. فسار الحسين (عليه السّلام) الى مكة و هو يقرأ فخرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^{٢٢٥}.

(١) أى لم تجد بها قرارا و لم تطمئن عليها. انظر لسان العرب: ٣٠٢ / ١٥ مادة نبأ.

(٢) الإرشاد: ٣٥ / ٢.

(٣) القصص (٢٨): ٢١.

ص: ١٣٢

وصايا الإمام الحسين (عليه السّلام):

لقد كتب الإمام (عليه السّلام) قبل خروجه من المدينة عدّة وصايا، منها: وصية لأخيه هذا نصّها: «هذا ما أوصى به الحسين بن علىّ إلى أخيه محمد بن الحنفية، أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، و أنّ محمدا عبده و رسوله جاء بالحق من عنده، و أنّ الجنة حق و النار حق، و الساعة آتية لا ريب فيها، و أنّ الله يبعث من فى القبور، و إنّى لم أخرج أشرا و لا بطرا و لا مفسدا و لا ظالما، و إنّما خرجت لطلب الإصلاح فى امّة جدّى، اريد أن آمر بالمعروف و أنهى عن المنكر و أسير بسيرة جدّى و أبى علىّ بن أبى طالب، فمن قبلنى بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، و من ردّ علىّ هذا أصبر حتى يقضى الله بينى و بين القوم و هو خير الحاكمين»^{٢٢٦}.

و منها: وصيته لام المؤمنين ام سلمة حيث أوصاها بما يرتبط بإمامة الإمام من بعده . روى أنّه لما عزم على الخروج من المدينة أتته ام سلمة (رضى الله عنها) فقالت: يا بنى لا تحزنّى بخروجك إلى العراق، فإنّى سمعت جدّك يقول: يقتل ولدى الحسين (عليه السّلام) بأرض العراق فى أرض يقال لها: كربلاء. فقال لها: «يا اماه و أنا و الله أعلم ذلك، و أنّى مقتول لا محالة، و ليس لى من هذا بدّ، و إنّى و الله لأعرف اليوم الذى اقتل فيه، و أعرف من يقتلنى، و أعرف البقعة التى ادفن فيها، و إنّى أعرف من يقتل من أهل بيتى و قرابتي و شيعتى، و إن أردت يا امّاه اريك حفرتى و مضجعى».

^{٢٢٣} (١) أى لم تجد بها قرارا و لم تطمئن عليها انظر لسان العرب: 302 / 15 مادة نبأ.

^{٢٢٤} (٢) الإرشاد: 35 / 2.

^{٢٢٥} (٣) القصص (28): 21.

^{٢٢٦} (١) مقتل الحسين للمقرّم: 156.

ثم أشار الى جهة كربلاء، فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه و مدفنه و موضع عسكريه و موقفه و مشهده، فعند ذلك
بكت ام سلمة بكاء شديدا

(١) مقتل الحسين للمقرم: ١٥٦.

ص: ١٣٣

و سلمت أمره إلى الله.

فقال لها: «يا أمّاه قد شاء الله عزّ و جلّ أن يراني مقتولا مذبوحا ظلما و عدوانا، و قد شاء أن يرى حرمي و رهطي و
نسائي مشردين، و أطفالا مذبحين مظلومين مأسورين مقيدّين، و هم يستغيثون فلا يجدون ناصرا و لا معينا».

و في رواية أخرى: قالت أمّ سلمة: و عندي تربة دفعتها إلى جدك في قارورة، فقال: «و الله إنني مقتول كذلك، و إن لم
أخرج إلى العراق يقتلوني أيضا» ثم أخذ تربة فجعلها في قارورة و أعطاه إياها، و قال: «اجعلها مع قارورة جدّي فإذا
فاضتا دما فاعلمي أنّي قد قتلت»^{٢٢٧}.

و روى الطوسي عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن ربعي بن عبد الله عن الفضيل بن يسار قال: قال أبو جعفر
(عليه السلام): «لما توجه الحسين (عليه السلام) الى العراق و دفع إلى أمّ سلمة زوجة النبي (صلى الله عليه و اله) الوصية
و الكتب و غير ذلك قال لها: «إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي اليه ما قد دفعت اليك»، فلما قتل الحسين (عليه السلام) أتى
على بن الحسين (عليه السلام) ام سلمة فدفعت اليه كل شيء أعطاه الحسين (عليه السلام)»^{٢٢٨}.

و روى على بن يونس العاملي في كتاب الصراط المستقيم النصّ على عليّ بن الحسين (عليه السلام) في حديث ثم قال: و
كتب الحسين (عليه السلام) وصيته و أودعها أمّ سلمة و جعل طلبها منها علامة على إمارة الطالب لها من الأنام فطلبها
الإمام زين العابدين (عليه السلام)^{٢٢٩}.

(١) بحار الأنوار: ٣٣١ / ٤٤، و العوالم: ١٧ / ١٨٠، و ينابيع المودة: ٤٠٥ ... الى قوله: بكت ام سلمة بكاء شديدا.

(٢) الغيبة للطوسي: ١١٨ حديث ١٤٨، و اثبات الهداة: ٥ / ٢١٤.

(٣) إثبات الهداة: ٥ / ٢١٦ حديث ٨.

ص: ١٣٤

توجه الإمام الى مكة:

^{٢٢٧} (١) بحار الأنوار: ٣٣١ / ٤٤، و العوالم: ١٧ / ١٨٠، و ينابيع المودة: ٤٠٥ ... الى قوله: بكت ام سلمة بكاء شديدا.

^{٢٢٨} (٢) الغيبة للطوسي: ١١٨ حديث ١٤٨، و اثبات الهداة: ٥ / ٢١٤.

^{٢٢٩} (٣) إثبات الهداة: ٥ / ٢١٦ حديث ٨.

قال المؤرخون: إن الإمام الحسين (عليه السلام) عندما توجه إلى مكة لزم الطريق الأعظم، فقال له أهل بيته: لو تنكبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير كي لا يلحقك الطلب، فقال: لا والله لا أفارقه حتى يقضى الله ما هو قاض^{٢٣٠}. ولما دخل الإمام الحسين (عليه السلام) مكة كان دخوله إليها ليلة الجمعة لثلاث مضي من شعبان دخلها وهو يقرأ **وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْوَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ**^{٢٣١}.

ثم نزلها فأقبل أهلها يختلفون إليه و من كان بها من المعتمرين و أهل الآفاق، و ابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة و هو قائم يصلي عندها و يطوف، و يأتي الحسين (عليه السلام) فيمن يأتيه، فيأتيه اليوميين المتواليين و يأتيه بين كل يومين مرة، و هو أثقل خلق الله على ابن الزبير، قد عرف أن أهل الحجاز لا يباعدونه ما دام الحسين (عليه السلام) في البلد و أن الحسين (عليه السلام) أطوع في الناس منه و أجل^{٢٣٢}.

(١) الفتوح: ٢٤ / ٥، و ينابيع المودة: ٤٠٢ الإرشاد للمفيد: ٣٥ / ٢.

(٢) القصص (٢٨): ٢٢.

(٣) الإرشاد: ٣٦ / ٢، و بحار الأنوار: ٣٣٢ / ٤٤.

ص: ١٣٥

البحث الثالث: أسباب و دوافع الثورة

إنه من الصعب أن نقف على جميع الأسباب لثورة امتدت في عمق الزمن، و لا زالت تنبض بالدفق و الحي وية مثيرة في النفوس روح الإباء و التضحية، و تأخذ بيد الثائرين على مر الزمن بالاستمرار في طريق الحق و بذل النفس و النفيس لبلوغ الأهداف السامية، إنها الثورة التي أحيت الرسالة الإسلامية بعد أن كادت تضيع وسط أهواء و رغبات الحكام الفاسدين، و أثارت في الأمة الإسلامية الوعي حتى صارت تطالب بإعادة الحق إلى أهله و موضعه.

إن أفضل ما نستخلص منه أسباب و دوافع الثورة الحسينية هي النصوص الماثورة عن الحسين الثائر (عليه السلام) و كذا آثار الثورة، إلى جانب معرفتنا بشخصيته (عليه السلام) فهي هو الحسين (عليه السلام) يخاطب جيش الحر بن يزيد الرياحي الذي تعجل لمحاصرته و لم يسمح له بتغيير مساره قائلاً:

«أيها الناس، إن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه و اله) يعمل في عباد الله بالإثم و العدوان فلم يغير عليه بفعل و لا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله . ألا و إن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان و تركوا طاعة الرحمن و أظهروا الفساد و عطلوا الحدود و استأثروا بالفيء و أحلوا حرام الله و حرّموا حلاله و أنا أحق من غير، و قد أتتني كتبكم و قدمت على رسلكم

^{٢٣٠} (١) الفتوح: ٢٤ / ٥، و ينابيع المودة: ٤٠٢ الإرشاد للمفيد: ٣٥ / ٢.

^{٢٣١} (٢) القصص (٢٨): ٢٢.

^{٢٣٢} (٣) الإرشاد: ٣٦ / ٢، و بحار الأنوار: ٣٣٢ / ٤٤.

بيعتكم، وإنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تمتمت على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن عليّ و ابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) نفسى مع أنفسكم، و أهلى

ص: ١٣٦

مع أهليكم، فلكم فى أسوء»^{٢٣٣}.

و فى خطاب آخر بعد أن توضّحت نوايا الغدر و الخذلان و الإصرار على محاربة الإمام (عليه السّلام) و طاعة يزيد الفاسق قال (عليه السّلام): «فسحقا لكم يا عبيد الامة و شذاذ الأحزاب و نبذة الكتاب و نفثة الشيطان و عصبه الآثام و محرّفى الكتاب و مطفئى السنن و قتلة أو لاد الأنبياء و مبيدى عتره الأوصياء و ملحقى العهار بالنسب و مؤذى المؤمنين و صراخ أئمة المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين، و لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم و فى العذاب هم خالدون ...».

ثم قال (عليه السّلام): «ألا و إنّ الدعىّ ابن الدعىّ قد ركز بين اثنتين بين السلّة و الذلّة، و هيهات منّا الذلّة ! ياأبى الله لنا ذلك و رسوله و المؤمنون، و جدود طابت و حجور طهرت و انوف حميّة و نفوس أبيّة لا تؤثر طاعة اللثام على مصارع الكرام ...»^{٢٣٤}.

من هنا يمكن أن نخلص الى أسباب ثورة الإمام الحسين (عليه السّلام) كما يلي:

١- فساد الحاكم و انحراف جهاز الحكومة:

لم يعد فى مقدور الإمام الحسين (عليه السّلام) أن يتوقّف عن الحركة و هو يرى الانحراف الشامل فى زعامة الامة الامة الإسلامية، فإذا كانت السقيفة قد زحزحت الخلافة عن صاحبها الشرعى و هو الإمام علىّ (عليه السّلام) و تذرّع أتباعها بدعوى حرمة نقض البيعة و لزوم الجماعة و حرمة تفريق كلمة الامة و وجوب إطاعة الإمام المنتخب بزعمهم، فقد كان الإمام علىّ (عليه السّلام) يسعى بنحو أو بآخر لإصلاح ما فسد من جرّاء فعل الخليفة غير المعصوم، و قد شهد الإمام الحسين (عليه السّلام) جانباً من ذلك بوضوح خلال فترة حكم عثمان .

و لقد كانت بنود الصلح تضع قيوداً على تصرفات معاوية الذى اتّخذ

(١) تاريخ الطبري: ٣٠٤ / ٤، و الكامل فى التاريخ: ٢٨٠ / ٣.

(٢) أعيان الشيعة: ٦٠٣ / ١.

ص: ١٣٧

^{٢٣٣} (١) تاريخ الطبري: 304 / 4، و الكامل فى التاريخ: 280 / 3.
^{٢٣٤} (٢) أعيان الشيعة: 603 / 1.

اسلوب الخداع و التستر بالدين سبيلا لتمرير مخططاته، أمّا الآن فإنّ الأمر يختلف؛ إذ بعد موت معاوية لم يبق أىّ علاج إلّا الصدام المباشر فى نظر الإمام المعصوم و صاحب الحقّ الشرعى - الحسين (عليه السّلام) - فلم يعد فى الإمكان و لو نظريا القبول بصلاحيّة يزيد و بنى اميّة للحكم.

على أنّ نتائج انحراف السقيفة كانت تنذر بالخطر الماحق للدين، فقد قال الإمام (عليه السّلام): «أيّها الناس! إنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: من رأى منكم سلطانا جائرا مستحلاّ لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله (صلى الله عليه و اله) يعمل فى عباد الله بالإثم و العدوان فلم يغيّر عليه بقول و لا بفعل كان حقّا على الله أن يدخله مدخله».

و قد كان يزيد يتصف بكل ما حذرّ منه الرسول (صلى الله عليه و اله) و كان الحسين (عليه السّلام) و هو الوريث للنبيّ و حامل مشعل الرسالة - أحقّ من غيره بالمواجهة و التغيير.

٢- مسؤوليّة الإمام تجاه الامّة:

كان الإمام الحسين (عليه السّلام) يمثّل القائد الرسالى الشرعى الذى يجسّد كلّ القيم الخيرة و الأخلاق السامية.

و بحكم مركزه الاجتماعى - حيث إنّهُ هو سبط الرسول (صلى الله عليه و اله) و وريثه - فإنّه مسؤول عن هذه الامّة، و قد وقف (عليه السّلام) فى عهد معاوية محاولا إصلاح الامور بطريقة سلمية، فحاجج معاوية و فضح مخططاته^{٢٣٥} و نبّه الامّة الى مسؤولياتها و دورها^{٢٣٦}، بل خطا خطوة كبيرة لتحفيز الامّة على رفض الظلم^{٢٣٧}،

(١) الإمامة و السياسة: ١ / ٢٨٤.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ١٦٦.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٤ / ٣٢٧.

ص: ١٣٨

٢٣٨

و حاول جمع كلمة الامّة فى وجه الظالمين^{٢٣٩}.

^{٢٣٥} (١) الإمامة و السياسة: 1 / 284.

^{٢٣٦} (٢) كتاب سليم بن قيس: 166.

^{٢٣٧} (٣) شرح نهج البلاغة: 4 / 327.

^{٢٣٨} گروه مؤلفان، اعلام الهداية - قم، چاپ: دوم، 1425 هـ.ق.

ولما استنفد كل الإجراءات الممكنة لتغيير الأوضاع الاجتماعية في الأمة تحرّك بتقله و أهل بيته للقيام بعمل قوى فى مضمونه و دلالتة و أثره و عطائه لينهض بالأمة لتغيير واقعها الفاسد.

٣- الاستجابة لرأى الجماهير الثائرة:

لم يكن بوسع الإمام الحسين (عليه السلام) أن يقف دون أن يقوم بحركة قوية، و قد تكاثرت عليه كتب الرافضين لبيعة يزيد بن معاوية تطلب منه قيادة زمام امورها و النهوض بها، و قد حملته المسؤولية أمام الله إذا لم يستجب لدعواتهم، و كانت دعوة أهل الكوفة للإمام الحسين (عليه السلام) بمثابة الغطاء السياسى الذى يعطى الصفة الشرعية لحركته، فلم تكن حركته بوازع ذاتى و لا مطمع شخصى، لا سيّما بعد إتمام الحجّة عليه من قبل هؤلاء المسلمين.

٤- محاولة إرغامه (عليه السلام) على الذلّ و المساومة:

لقد كان الإمام الحسين (عليه السلام) يحمل روحا صاغها الله بالمثل العليا و القيم الرفيعة، ففاضت إباء و عزّة و كرامة، و فى المقابل تدنّت نفسيّة يزيد الشريرة و نفسيات أذلّامه، فأرادوا من الإمام الحسين (عليه السلام) أن يعيش ذليلا فى ظلّ حكم فاسد: و قد صرّح (عليه السلام) قائلا: «ألا و إنّ الدعوى ابن الدعوى قد ركز بين اثنتين بين السلّة و الذلّة، و هيهات منّا الذلّة! يأبى الله لنا ذلك و رسوله و نفوس أبيّة و انوف حميّة من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام».

و فى موقف آخر قال (عليه السلام): «لا أرى الموت إلّا سعادة و الحياة مع الظالمين إلّا برما».

(١) أنساب الأشراف: ق ١ / ج ١، و تاريخ ابن كثير: ١٦٢ / ٨.

ص: ١٣٩

بهذه الصورة الرائعة سنّ الإمام الحسين (عليه السلام) سنّة الإباء لكلّ من يدين بقيم السماء و ينتمى إليها و يدافع عنها، و انطلق من هذه القاعدة ليغيّر الواقع الفاسد.

٥- نوايا الغدر الاموى و التخطيط لقتل الحسين (عليه السلام):

استشفّ الإمام الحسين (عليه السلام) - و هو الخبير الضليع بكلّ ما كان يمرّ فى معترك الساحة السياسية و المتغيّرات الاجتماعية التى كانت تتفاعل فى الأمة - نوايا الغدر و الحقد الاموى على الإسلام و أهل البيت (عليهم السلام) و تجارب السنين الاولى من الدعوة الاسلامية، ثم ما كان لمعاوية من مواقف مع الإمام على (عليه السلام) و من بعده مع الإمام الحسن (عليه السلام).

و أيقن الحسين (عليه السلام) أنّهم لا يكفّون عنه و عن الفتك به حتى لو سالمهم، فقد كان يمثل بقية النبوة و الشخصية الرسالية التى تدفع الحركة الإسلامية فى نهجها الحقيقى و طريقها الصحيح.

و لم يستطع يزيد أن يخفى نزعة الشرّ في نفسه، فقد روى أنه صرّح قائلاً في وقاحة:

من بنى أحمد ما كان فعل

لست من خندف إن لم انتقم

و قد أعلن الإمام الحسين (عليه السّلام) أنّ بنى أميّة لا يتركونه بحال من الأحوال فقد صرّح لأخيه محمد بن الحنفية قائلاً :
«لو دخلت في جحر هامة من هذه الهوامّ لاستخرجوني حتى يقتلوني».

و قال (عليه السّلام) لجعفر بن سليمان الضبعي : «و الله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقه - يعنى قلبه الشريف - من جوفى».

ص: ١٤٠

فتحرّك الإمام (عليه السّلام) من مكة مبكراً ليقوم بالثورة قبل أن تتمكّن يد الغدر من قتله و تصفيته، و هو بعد لم يتمكن من أداء دوره المفروض له فى الامة آنذاك، و سعى لتفويت أىّ ة فرصة يمكن أن يستغلّها الامويون للغدر به، و الظهور بمظهر المدافع عن أهل بيت النبوة.

٦- انتشار الظلم و فقدان الأمن:

قام الحكم الاموى على أساس الظلم و القهر و العدوان، فمنذ أن برز معاوية و زمّرتة كقوة فى العالم الإسلامى برز و هو باغ على خليفة المسلمين و إمام الامة بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و أسرف فى ممارساته الظالمة التى جلبت الويل للامة، فقد سفك الدماء الكثيرة، و استعمل شرار الخلق لإدارة الامور يوم تفرّد بالحكم، بل و قبل أن يتسلّط على الامة كانت كلّ العناصر الموالية له تشيع الخوف و القتل ح تى قال الناس فى ولاية زياد بن أبيه : «انج سعد، فقد هلك سعيد» للتدليل على ضياع الأمن فى جميع أنحاء البلاد^{٢٤٠}.

و من جانب آخر أمعنت السلطة الاموية فى احتقار فئات و قطاعات كبيرة من الامة بنظرة استعلائية قبيلة^{٢٤١}، كما مارس معاوية فى سياسته التى ورثها يزيد أنواع الفتك و التعذيب و التهجير للمسلمين و بالأخص من عرف منه ولاء أهل البيت (عليهم السّلام)^{٢٤٢}.

و بكلّ جرأة على الحقّ و استهتار بالقيم يقول معاوية للإمام الحسين (عليه السّلام): يا أبا عبد الله، علمت أنا قتلنا شيعة أبيك فحنّطناهم و كفنّاهم

^{٢٤٠} (1) تأريخ الطبري: 6/ 77، و تأريخ ابن عساكر: 3/ 222، و الاستيعاب: 1/ 60، و تأريخ ابن كثير:

319 /7.

^{٢٤١} (2) العقد الفريد: 2/ 258، و طبقات ابن سعد: 6/ 175، و نهاية الإرب: 6/ 86.

^{٢٤٢} (3) شرح النهج: 11/ 44، و تأريخ الطبري: 4/ 198.

(١) تاريخ الطبري: ٧٧/٦، و تاريخ ابن عساكر: ٢٢٢/٣، و الاستيعاب: ٦٠/١، و تاريخ ابن كثير:

٣١٩/٧.

(٢) العقد الفريد: ٢٥٨/٢، و طبقات ابن سعد: ١٧٥/٦، و نهاية الإرب: ٨٦/٦.

(٣) شرح النهج: ٤٤/١١، و تاريخ الطبري: ١٩٨/٤.

ص: ١٤١

و صلينا عليهم و دفناهم^{٢٤٣}. أمام هذه المظالم لم يقف الإمام الحسين (عليه السلام) مكتوف اليدين، فقد احتجّ على معاوية ثم ثار على ولده يزيد، إذ لم ينفع النصيح و الاحتجاج لينقذ الأمة من الجور الهائل.

٧- تشويه القيم الإسلامية و محو ذكر أهل البيت (عليهم السلام):

اجتهد الحكم الاموي أن يغيّر الصورة الصحيحة للرسالة الإسلامية و التركيب الاجتماعي للمجتمع المسلم، فقد عمد الامويون إلى إشاعة الفرقة بين المسلمين و التمييز بين العرب و غيرهم و بثّ روح التناحر القبلي، و العمل على تقريب قبيلة دون أخرى من البلاط وفق المصالح الاموية في الحكم.

و كان للمال دور مهمّ في إشاعة الروح الانتهازية و الازدواج في الشخصية و الإقبال على اللهو^{٢٤٤}.

و لما كان لأهل البيت (عليهم السلام) الأثر الكبير في تجذير العقيدة الإسلامية و رعاية هموم الرسالة الإسلامية؛ فقد عمد الامويون و منذ تفرّد معاوية بالحكم بأسلوب مبرمج إلى محو ذكر أهل البيت (عليهم السلام) و قد تكاملت هذه الخطوة في أواخر حكم معاوية و محاولة استخلافه ليزيد^{٢٤٥}.

٨- الاستجابة لأمر الله و رسوله (صلى الله عليه و اله):

إنّ عقيدة سامية و رسالة خاتمة لكل الرسالات كرسالة الإسلام لا يمكن أن يتركها قائدها الكبير و مبلّغها العظيم (صلى الله عليه و اله) و هو النبيّ المعصوم و المسدّد من السماء دون تخطيط و عناية و دون قيّم يرفع شؤونها و أحوالها، يخلص لها في قوله و عمله، و يوجّهها نحو هدفها المنشود مستعينا بدرايته و بعلمه الشامل

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢٠٦/٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٢٨٨/٨، و الأغاني: ١٢٠/٤.

^{٢٤٣} (١) تاريخ اليعقوبي: 206/2.

^{٢٤٤} (٢) تاريخ الطبري: 288/8، و الأغاني: 120/4.

^{٢٤٥} (٣) نهج البلاغة: 595/3 و 61/4 و 44/11.

بأحكامها، و يفتديها بكلّ غال و نفيس من أجل أن تحيي و تبقى كلمة الله هي العليا . و المتتبع لسيرة الرسول و أهل بيته - صلوات الله عليهم - يلمس بوضوح ترابط الأدوار التي قام بها المعصومون من آل النبيّ و تكاملها، و هم مستسلمون لأمر الله و رسوله غاية التسليم.

و قد أدلى الإمام الحسين (عليه السلام) بذلك حينما أشار المشفقون عليه بعدم الخروج إلى العراق، فقال (عليه السلام): «أمرني رسول الله بأمر و أنا ماض له»^{٢٤٦}.

كما أن النبيّ (صلّى الله عليه و اله) كان قد أخبر بمقتل الإمام الحسين (عليه السلام) بأيدي الظلمة الفاسقين حين ولادته حتى بات ذلك من الامور المتيقّنة لدى المسلمين^{٢٤٧}.

أهداف منظورة في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام):

إنّ أهداف الرجال العظام هي عظيمة في التاريخ، و تزداد رفعة و سموّاً حين تنبعث من عمق رسالة سامية . و نحن حين نقف أمام الحسين (عليه السلام) الذي يمثّل أعظم رجل في عصره و هو يحمل ميراث النبوة و ثقل الرسالة الخاتمة الخالدة مسدّداً بالتسديد الإلهي في القول و الفعل، و أمام سيرته لنبحث عن أهداف نهضته المقدسة - التي فداها بنفسه و بأهل بيته و خيرة أصحابه - لا نجد من السهل لنا أن نحيط علماً بكلّ ذلك، لكننا نبحث بمقدار إدراكنا و وعينا للحدث وفق ما تتحمّله عقولنا طبعاً.

لقد تفانى الحسين (عليه السلام) في الله و من أجل دينه، فكانت أهدافه - التي

(١) البداية و النهاية: ٨ / ١٧٦، و تأريخ ابن عساكر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام)، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١ / ٢١٨، و الفتوح: ٥ / ٧٤.

(٢) مستدرک الحاكم: ٤ / ٣٩٨ و ٣ / ١٧٦، و كنز العمال: ٧ / ١٠٦، و مجمع الزوائد: ٩ / ١٨٧، و ذخائر العقبى: ١٤٨، و سير أعلام النبلاء: ٣ / ١٥.

تمثّل رضى الله و طاعته - سامية جليّة، كما أنّها كانت واسعة و عديدة . و يمكننا أن نذكر بعض أهداف الإمام الحسين (عليه السلام) من ثورته كما يلي^{٢٤٨}:

^{٢٤٦} (١) البداية و النهاية: ٨ / ١٧٦، و تأريخ ابن عساكر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام)، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١ / ٢١٨، و الفتوح: ٥ / ٧٤.

^{٢٤٧} (٢) مستدرک الحاكم: ٤ / ٣٩٨ و ٣ / ١٧٦، و كنز العمال: ٧ / ١٠٦، و مجمع الزوائد: ٩ / ١٨٧، و ذخائر العقبى: ١٤٨، و سير أعلام النبلاء: ٣ / ١٥.

١- تجسيد الموقف الشرعى تجاه الحاكم الظالم:

لقد أصابت الأمة حالة من الركود حتى أنّها لم تعد تتحرّك لاتّخاذ موقف عملى واقعى تجاه الحاكم الظالم، فالجميع يعرف من هو يزيد و بماذا يتّصف من رذائل الأخلاق ممّا تجعله غير لائق أبداً بأن يتزعّم الأمة الإسلامية.

فى مثل هذا الظرف وقف الكثيرون ح يارى يتردّدون فى قرارهم، فتحرّك الإمام الحسين (عليه السّلام) ليجسّد الموقف الرسالى الرافض للظلم و الفساد، فى حركة قوية واضحة مقرونة بالتضحية و الفداء، من أجل العقيدة الإسلامية، لتتخذ الأمة الموقف ذاته تجاه الظلم و العدوان.

٢- فضح بنى امية و كشف حقيقتهم:

إنّ الحكّام الذين تولّوا امور المسلمين و لم يكونوا معصومين و لا شرعيين كانوا يغطّون تصرفاتهم بغطاء ذى مسحة شرعية عند الجماهير. و كان بنو امية من أكثر الحكام المستفيدين من هذا الاسلوب الماكر؛ إذ لم يتردّد معاوية فى وضع الأحاديث المفتعلة لتدعيم حكمه، بل سعى بكلّ وسيلة لتضليل الأمة، و تمكّن من فعل ذلك مع عامة الناس.

و أصبح الأمر أكثر خطورة حين تولّى يزيد ولاية الحكم بطريقة لم يقرّها الإسلام، و لهذا كان لا بدّ من فضح التيار الاموى و تصويره على حقيقته، لتتضح الصورة للعالم الإسلامى فيعى دوره و رسالته و يقوم بواجبه و وظيفته،

(١) للمزيد من التفصيل راجع: أضواء على ثورة الحسين (عليه السّلام) للسيد محمد الصدر: ٥٧.

ص: ١٤٤

فتحرّك الحسين (عليه السّلام) بصفته الإمام المعصوم ليواجه زيف الحكم و ضلالته.

و فعلا أسفر التيار الاموى عن مكنون حقه بارتكابه الجريمة البشعة فى كربلاء بقتل خير الناس و أصحابه و أهل بيته من الرجال و النساء و الأطفال، ثم أعقب ذلك بقصف الكعبة بالمنجنيق فى واقعة الحرة و إباحة المدينة ثلاثة أيام قتلا و نهباً و سلباً و اعتداء على الأموال و النساء و الأطفال بشكل بشع لم يسبق له مثيل^{٢٤٩}.

و انتبه المسلمون الى انحراف الفئة الحاكمة الضالّة و الى فساد أعمالها، و سعوا من خلال محاولات عديدة الى تطهير الجهاز الحاكم المتوغّل فى الظلم و الطغيان، حتى غدت ثورة الإمام الحسين (عليه السّلام) انموذجاً يحتذى به لمقارعة و مقاومة كلّ نظام يستشرى فيه الفساد، و قد أفصح الإمام (عليه السّلام) عن الصفات التى يجب أن يتحلّى بها الحاكم بقوله:

«فلعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، و الآخذ بالقسط، و الدائن بالحقّ، و الحابس نفسه على ذات الله»^{٢٥٠}.

٣- إحياء السّنة و إماتة البدعة:

^{٢٤٨} (١) للمزيد من التفصيل راجع أضواء على ثورة الحسين (عليه السّلام) للسيد محمد الصدر: 57.
^{٢٤٩} (١) راجع: الفتوح لابن أعثم: 301 / 5، و الإمامة و السياسة للدينوري: 19 / 2، مروج الذهب: 84 / 2.
^{٢٥٠} (2) تاريخ الطبري: 197 / 6.

انحدرت الامة الإسلامية فى منحدر صعب يوم انحرفت الخلافة عن مسارها الشرعى فى يوم السقيفة، فإنها قبلت بعد وفاء الرسول (صلى الله عليه و اله) أن يتولى أمرها من يحتاج الى المشورة و النصيحة و يخطئ فى حقها و يعتذر، فكانت النتيجة بعد خمسين عاما من غياب النبى (صلى الله عليه و اله) أن يتولى أمرها رجل لا يتورع عن محارم الله، بل و يظهر الحقد على الإسلام و المسلمين، فتعرض الإسلام

(١) راجع: الفتوح لابن أعمش: ٣٠١ / ٥، و الإمامة و السياسة للدينورى: ١٩ / ٢، مروج الذهب: ٨٤ / ٢.

(٢) تاريخ الطبرى: ١٩٧ / ٦.

ص: ١٤٥

– عقيدة و كيانا و امة – للخطر الحقيقى و التشويه المقيت المغير لكل شىء، على غرار ما حدث لبعض الرسالات السماوية السابقة.

فى مثل هذا المنعطف الخطير وقف الإمام الحسين (عليه السلام) و معه أهل بيته و أصحابه، و أطلق صرخة قوية و مدوية محذرا الامة، مفتديا العقيدة و الامة بدمه الطاهر الزكى، و من قبل قال فيه جدّه رسول الله (صلى الله عليه و اله): «إنّ الحسين مصباح الهدى و سفينة النجاة». كما قال غير مرة: «حسين منى و أنا من حسين». فكان الحسين (عليه السلام) و نهضته التجسيد الحقيقى للإسلام الحق، فقد كان الخط الحقيقى للإسلام المحمدى متمثلا فى الحسين (عليه السلام) و أهل بيته و أصحابه رضوان الله تعالى عليهم.

و قد صرح الإمام الحسين (عليه السلام) فى رسالته التى بعثها الى أهل البصرة بكل وضوح الى أن السنة قد ماتت حين وصل الانحراف الى حدّ ظهور البدع و إيجابائها.

٤- الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر:

لقد كان غياب فريضة الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر نتيجة طبيعية لتولى الزعامة المنحرفة، و قد حدث هذا تحت عناوين متعدّدة منها:

لزوم إطاعة الوالى و حرمة نقض بيعه تمت حتى لو كانت منحرفة، و كذلك حرمة شقّ وحدة ال كلمة، و قد وصف الإمام (عليه السلام) هذه الحالة بقوله: «ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به و أنّ الباطل لا يتناهى عنه؟ ! ليرغب المؤمن فى لقاء الله»^{٢٥١}. لذا تطلّب الأمر أن يبرز ابن النبى (صلى الله عليه و اله) للجهاد و هو يحمل السيف فى محاولة لإعادة الحقّ الى نصابه من خلال الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و قد أدلى (عليه السلام)

(١) تاريخ الطبرى: ٤٠٣ / ٥.

^{٢٥١} (١) تاريخ الطبرى: 403 / 5.

بذلك فى وصيته لأخيه محمد بن الحنفية حين كتب له : «إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا ظالما ولا مفسدا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح فى أمة جدى أريد أن آمر بالمعروف و أنهي عن المنكر».

إنّ الإصلاح المقصود هو الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فى كلّ جوانب الدين و الحياة، و قد تحقّق ذلك من خلال النهضة العظيمة التى قام (عليه السّلام) بها فكانت الهداية و الرعاية للبشر دينيا و معنويا و إنسانيا و اخرويا بمقتله و شهادته، و تلك النهضة التى تربّت أجيال من الامة، و تخرّجت من مدرستها الأبطال و الصناديد، و لا زالت و ستبقى المشعل الوضاء ينير درب الحقّ و العدل و الحرية و طاعة الله إلى يوم القيامة.

٥- إيقاظ الضمائر و تحريك العواطف:

فى أحيان كثيرة لا يستطيع أصحاب العقائد و دعاء الرسالات أن يحاوروا العقل و الذهن مجردا معزولا عن عنصر العاطفة لأجل تعميق المعتقد و الفكر لدى الجماهير، و قد ابتليت الامة الإسلامية فى عهد الإمام الحسين (عليه السّلام) و بعد تسلّط يزيد بحالة من الجمود و القسوة و عدم التحسّس للأخطار التى تحيط بها و بفقدان الإرادة فى مواجهة التحديات ضدّ العقيدة الإسلامية، لهذا لم يكتف الإمام الحسين (عليه السّلام) بتثبيت الموقف الشرعى و توضيحه عمليا من خلال موقفه الجهادى بل سعى إلى إيقاظ ضمائر الناس و تحريك وجدانهم و أحاسيسهم لى قوموا بالمسؤولية، فسلّك سبيل البذل و العطاء و التضحية من أجل العقيدة و الدين، و اتخذ أسلوب الاستشهاد الذى يدخل بعمق و حرارة فى قلوب الجماهير، و قد ضرب لنا مثلا رائعا حينما برّزت ثورته أنّ التضحية لم تكن مقصورة على فئة أو مستوى معيّن من

الامة، فللطفل كما للمرأة و الشيخ دور فاعل فضلا عن الشباب.

و ما أسرع ما بان الأثر على أهل الكوفة إذ أظهروا الندم و الإحساس بالتقصير تجاه الإمام و الإسلام، فكانت ثورة التوابين التى أعقبت ثورة أهل المدينة التى وقعت فى السنة الثانية من بعد واقعة الطفّ.

لقد كانت واقعة الطفّ تأكيدا حقيقيا على أنّ المصاعب و المتاعب لا تمنع من قول الحقّ و العمل على صيانة الرسالة الإسلامية، كما أنّها زرعت روح التضحية فى سبيل الله فى نفوس أبناء الامة الإسلامية، و حرّرت إرادتها و دفعتها إلى التصدّى للظلم و الظالمين، و لم تبق عذرا للتمرّب من مسؤولية الجهاد و الدفاع عن العقيدة و المقاومة لإعلاء كلمة الله.

لماذا لم ينهض الإمام الحسين بالثورة فى حكم معاوية؟

إنّ الأحداث السياسية التى عصفت بالامة الإسلامية بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه و اله) كانت ثقيلا الوطأة عليها، و بلغت غاية الشدّة أيام تسلّط معاوية على الشام و محاربة الإمام على (عليه السّلام) و بالتالى اضطراب الإمام الحسن (عليه السّلام) لإبرام صلح معه لأسباب موضوعية كانت تكتنف الامة، و لكننا نلاحظ أنّ الإمام الحسين (عليه السّلام) لم يغيّر من

موقفه المتطابق مع موقف الإمام الحسن (عليه السلام) تجاه معاوية حتى بعد استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام)، فلم يعلن ثورته، و ما كان ذلك إلّا لبقاء نفس الأسباب التي دفعت بالإمام الحسن (عليه السلام) الى قبول الصلح فمن ذلك:

١- حالة الأمة الإسلامية:

كان الوضع النفسي و الاجتماعي للأمة الإسلامية متأزماً، إذ كانت تتطلع الى حالة السلم بعد أن أرهقها معاوية و المنافقون بحروب دامت طوال حكم

ص: ١٤٨

الإمام عليّ (عليه السلام)، فكان رأى الإمام الحسن (عليه السلام) هو أن يرّبي جيلاً جديداً و ينهض بعد حين، فقد قال (عليه السلام):

«إنّى رأيت هوى عظم الناس فى الصلح و كرهوا الحرب، فلم احبّ أن أحملهم على ما يكرهون، فصالحت بقيا على شيعتنا خاصة من القتل، و رأيت دفع هذه الحرب إلى يوم ما، فإنّ الله كلّ يوم هو فى شأن»^{٢٥٢}.

و هو نفسه موقف الإمام الحسين (عليه السلام) بسبب ما كان يعيه و يدركه من واقع الأمة، فكان قوله لمن فاضه فى الثورة إذ قعد الإمام الحسن (عليه السلام) عنها:

«صدق أبو محمد، فليكن كلّ رجل منكم حلّسا من أحلاس بيته ما دام هذا الإنسان حيّاً».

و بقى هذا موقفه نفسه بعد استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام) لبقاء نفس الأسباب، فقد كتب (عليه السلام) يردّ على أهل العراق حين دعوته للثورة:

«أما أخى فأرجو أن يكون الله قد وفّقه و سدّده فيما يأتى، و أمّا أنا فليس رأى اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض، و اكنموا فى البيوت، و احترسوا من الظنّة ما دام معاوية حيّاً»^{٢٥٣}.

٢- شخصيّة معاوية و سلوكه المتلون:

لقد كانت زعامة الأمة الإسلامية بعد وفاة الرسول (صلّى الله عليه و اله) بأيدي مسؤولين غير كفؤين لفترة طويلة . و مراجعة بسيطة لأحداث و وقائع تلك الفترة توضّح ذلك . و لكنّ معاوية كان أشدّ مكرّاً و مراوغةً و دهاءً، إذ كان يتلاعب ببراعة سياسية، و يتوسّل بكلّ وسيلة من أجل أن يبقى زمام السلطة

(١) الأخبار الطوال: ٢٢١.

^{٢٥٢} (١) الأخبار الطوال: ٢٢١.

^{٢٥٣} (٢) المصدر السابق: ٢٢٢.

بيده متّخذاً من التظاهر بالدين ستراً يغطّي جرائمه الأخلاقية واللاإنسانية و التي منها فتكه بخيار المسلمين، و مخادعة عوام الناس في مجاراته لعواطفهم و معتقداتهم، و هو يحمل حقدا لا ينقطع على الإسلام و الرسول (صلى الله عليه و اله) ^{٢٥٤}.

و قد تمكّن معاوية من القضاء على المعارضين له من دون اللجوء إلى القتال و الحرب، فهو الذي اغتال الإمام الحسن (عليه السلام) و سعد بن أبي وقاص ^{٢٥٥} و قضى على عبد الرحمن بن خالد ^{٢٥٦} و من قبله على مالك الأشتر، و قد أوجز أسلوبه هذا في كلمته المشهورة: «إنّ لله جنوداً منها العسل» ^{٢٥٧}.

كما أنّ معاوية كان يضع كلّ من يلمس منه أيّة معارضة أو تحرّك تحت مجهر المراقبة و الإرصاء، فترفع إليه التقارير عن كلّ ما يحدث فيستعجل في القضاء عليه.

في مثل هذا الأسلوب - أي التصرف تحت ستار الإسلام - لو قام الإمام الحسين (عليه السلام) بحركة واسعة و نشاط سياسي بعد وفاة الإمام الحسن (عليه السلام) مباشرة؛ لما كان قادراً على فضح معاوية و إقناع كلّ الجماهير بشرعيّة ثورته، و لكان معاوية متمكّناً من القضاء عليه من دون ضجيج، و عندها كانت الثورة تموت في مهدها و تضع جهود كبيرة، كان من شأنها أن تبنى في الأمّة تياراً و اعياء، و يختنق الصوت الذي كان في مقدوره أن يبقى مدوّياً في تأريخ الإنسانية كما حصل في واقعة الطفّ . و ما كان الإمام الحسين (عليه السلام) ليتمكّن من توضيح كلّ أهدافه و غاياته من الثورة ^{٢٥٨} المتمثلة في إنقاذ الأمّة من الظلم و صيانة الرسالة

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٣٥٧ / ٢.

(٢) مقاتل الطالبين: ٢٩، و مختصر تأريخ العرب: ٦٢.

(٣) التمدن الإسلامي، لجرّجي زيدان: ٧١ / ٤.

(٤) عيون الأخبار: ٢٠١ / ١.

(٥) للتفصيل راجع: ثورة الحسين، ظروفها الاجتماعية و آثارها النفسية: ١٢٢.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: 357 / 2. ^{٢٥٤}

(٢) مقاتل الطالبين: 29، و مختصر تأريخ العرب: 62. ^{٢٥٥}

(٣) التمدن الإسلامي، لجرّجي زيدان: 71 / 4. ^{٢٥٦}

(٤) عيون الأخبار: 201 / 1. ^{٢٥٧}

(٥) للتفصيل راجع: ثورة الحسين، ظروفها الاجتماعية و آثارها النفسية: 122. ^{٢٥٨}

الإسلامية من التحريف لو كان يسرع بثورته في أيام معاوية.

و أمّا حينما اعتلى يزيد عرش الخلافة و هو من قد عرفه الناس باللهو و الفسق و الشغف بالقرود و شرب الخمر، و عدم صلاحيته للخلافة لتجاوزه و عدوانه على كل المقاييس الشرعية و العرفية لدى المسلمين . فالثورة عليه تعدّ ثورة مشروعة عند عامّة المسلمين، كما أثبت التاريخ ذلك بكلّ وضوح.

٣- احترام صلح الإمام الحسن (عليه السلام):

لقد كان العهد و الميثاق الذي تم بين معاوية و بين الإمام الحسن (عليه السلام) ورقة رابحة يلوّحها معاوية لكلّ تحرّك فعال مضاد تجاه ترّبعه على مسند السلطة، صحيح أنّه عهد غير حقيقي و ما كان برضا الإمامين (عليهما السلام) و تم في ظروف كان لا بد من تغييرها، لكنّ المجتمع لم يكن يتقبّل نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) مع وجود هذا العهد، و حتى لو كان هذا العهد صحيحاً فإنّ معاوية نقضه بممارسته العدائية بملاحقة رجال الشيعة، و لم يرع أيّ حقّ في سياسته الاقتصادية.

و قد سارع معاوية لاستغلال هذا العهد في التشهير بالإمام الحسين (عليه السلام) و إظهاره بموقف الناقض للعهد، فقد كتب إلى الإمام (عليه السلام):

أمّا بعد، فقد انتهت إلىّ امور عنك، إن كانت حقاً فإنّي أرغب بك عنها.

و لعمر الله إنّ من أعطى عهد الله و ميثاقه لجدير بالوفاء، و إنّ أحقّ الناس بالوفاء من كان مثلك في خطر و شرفك و منزلتك التي أنزلك الله بها، و نفسك فاذكر، و بعهد الله أوف، فإنّك متى تنكرني أنكرك، و متى تكذبنني أكذك، فاتّق شقّ عصا هذه الامة^{٢٥٩}.

(١) الإمامة و السياسة: ١ / ١٨٨، و الأخبار الطوال: ٢٢٤، و أعيان الشيعة: ١ / ٥٨٢.

ص: ١٥١

من هنا لجأ الإمام الحسن (عليه السلام) و من بعده الحسين (عليه السلام) إلى اسلوب آخر لنشر الدعوة و التهيؤ للثورة التي غذّاها معاوية بظلمه و جوره و بعده عن تمثيل الحكم الإسلامي الصحيح، حتى إذا مات معاوية كان كثير من الناس و عامّة أهل العراق - بشكل خاص - يرون بغض بنى امية و حبّ أهل البيت لأنفسهم ديل^{٢٦٠}.

المواقف من ثورة الحسين (عليه السلام) قبل انطلاقتها:

^{٢٥٩} (١) الإمامة و السياسة: 1 / 188، و الأخبار الطوال: 224، و أعيان الشيعة: 1 / 582.
^{٢٦٠} (١) الفتنة الكبرى- علي و بنوه، طه حسين: 290، و للمزيد من التفصيل راجع: ثورة الحسين (عليه السلام)، ظروفها الاجتماعية و آثارها النفسية: 127.

لم تكن نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) وثورته حركةً آنيةً أو ردّة فعل مفاجئة؛ بل كان الحسين (عليه السلام) في الامة يمثل بقية النبوة وكان وريث الرسالة و حامل راية القيم السامية التي أوجدها الإسلام في الامة و أرسى قواعدها، كما أنّ العهد قريب برحيل النبي (صلى الله عليه و اله) الذي كان يكثر الثناء و التوضيح لمقام الإمام الحسين (عليه السلام). و في الوقت نفسه كانت قد ظهرت مقاصد الامويين الفاسدة تجاه رسالة النبي (صلى الله عليه و اله) الإسلامية و امته المؤمنة برسالته.

و قد وقف أهل البيت (عليهم السلام) بصلابة يدافعون عن الحقّ و العدل و إحياء الرسالة الإسلامية، و المحافظة عليها بكلّ وسيلة ممكنة و مشروعة.

و في عصر الإمام الحسين (عليه السلام) كان لتراخي و فتور الامة عن نصره الحقّ الى جانب تسلط المنافقين و نفوذهم في أجهزة الدولة دور كبير لإيجاد حالة مرضية يمكن تسميتها بفقدان الإرادة و موت الضمير، و من ثمّ تباينت المواقف تجاه اسلوب الدفاع عن العقيدة الإسلامية و صيانتها و سيادة الحقّ و العدل.

(١) الفتنة الكبرى - علي و بنوه، طه حسين : ٢٩٠، و للمزيد من التفصيل راجع : ثورة الحسين (عليه السلام)، ظروفها الاجتماعية و آثارها النفسية: ١٢٧.

ص: ١٥٢

و لكن لم يشكّ أحد في مشروعية و عدالة موقف الإمام الحسين (عليه السلام) تجاه الانحراف المستشري في كلّ مفاصل الدولة، و تجاه التغيير الحاصل في بنية الامة الإسلامية، إلّا أنّ موقف الاستعداد الكامل للنصرة باتّخاذ قرار ثوريّ يزيح عن الامة الظلم و الفساد لم يكن يتكامل بعد لدى الجميع.

و قد كانت هذه المواقف تتراوح بين التأييد مع إعلان الاستعداد للثورة مهما كانت النتائج، و بين الحذر من الفشل و عدم نجاح الثورة، و بين التثبيط و فتّ العزائم.

و تبنّى شيعة أهل البيت (عليهم السلام) الذين اکتبوا بجحيم البيت الأموي المتحكّم في رقاب المسلمين موقف التأييد و إعلان الاستعداد، و إن غلب الخوف على بعضهم فيما بعد، و اودع البعض الآخر السجن أو حوَصر من قبل قوَّات السلطة الاموية.

كما تبنّى آخرون من أقرباء الإمام (عليه السلام) - مثل عبد الله بن عباس و محمّد ابن الحنفية - موقف الحذر، و رجّحوا للإمام الحسين (عليه السلام) الهجرة إلى اليمن؛ نظراً لبعدها عن العاصمة، و لتوفّر جمع من شيعته و شيعة أبيه فيها^{٢٦١}.

و تبنّى آخرون موقف التثبيط و فتّ العزائم و التخويف من مغبّة الثورة على الحاكم، فنصحوا الإمام (عليه السلام) بالدخول فيما دخل فيه الناس، و الصبر على الظلم، كما تمثّل ذلك في نصيحة عبد الله بن عمر للإمام الحسين (عليه السلام)^{٢٦٢}.

^{٢٦١} (١) مقتل الحسين (الخوارزمي): 1/ 187 و 216، و مروج الذهب: 3/ 64.

^{٢٦٢} (2) مقتل الحسين (الخوارزمي): 1/ 191.

(١) مقتل الحسين (الخوارزمي): ١٨٧ / ١ و ٢١٦، و مروج الذهب: ٦٤ / ٣.

(٢) مقتل الحسين (الخوارزمي): ١٩١ / ١.

ص: ١٥٣

البحث الرابع: توجّه الإمام (عليه السّلام) الى مكّة

خرج الإمام الحسين (عليه السّلام) من المدينة متوجّهاً الى مكّة بأهله وإخوته وبنى عمومته وبعض الخواص من شيعته، ولم يبق إلّا أخوه محمد بن الحنفية، وأفادت بعض المصادر التاريخية بأنّ الإمام (عليه السّلام) أقام في بيت العباس بن عبد المطلب^{٢٦٣}، فيما تحدّثت مصادر أخرى عن إقامته (عليه السّلام) في شعب على^{٢٦٤}، وأقام الإمام (عليه السّلام) في مكّة أربعة أشهر وأياماً من ذى الحجة، كان فيها مهوى القلوب، فالتفّ حوله المسلمون يأخذون عنه الأحكام ويتعلّمون منه الحلال والحرام، ولم يتعرّض له أمير مكّة يحيى بن حكيم بسوء، وحيث ترك الإمام (عليه السّلام) شأنه فقد عزله يزيد بن معاوية عنها، واستعمل عليها عمرو بن سعيد بن العاص. وفي شهر رمضان من تلك السنة (٦٠ هـ) ضمّ إليه المدينة، وعزل عنها الوليد بن عتبة، لأنّه كان معتدلاً في موقفه من الإمام (عليه السّلام) ولم يستجب لطلب مروان^{٢٦٥}.

رسائل أهل الكوفة إلى الإمام (عليه السّلام):

وقد عرف الناس في مختلف الأقطار امتناع الإمام الحسين (عليه السّلام) عن البيعة، فاتّجهت إليه الأنظار وبخاصّة أهل الكوفة، فقد كانوا يومذاك من أشدّ الناس نقمة على يزيد وأكثرهم ميلاً إلى الإمام (عليه السّلام) فاجتمعوا في دار سليمان ابن صرد الخزاعي فقام فيهم خطيباً فقال: «إنّ معاوية قد هلك، وإنّ حسيّنا قد تقبّض على القوم ببيعتهم، وقد خرج إلى مكّة، وأنتم شيعته وشيعه أبيه، فإن كنتم

(١) تاريخ ابن عساكر: ٦٨ / ١٣.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٠٩.

(٣) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٥٨ / ٢.

ص: ١٥٤

تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهد وعدوّه، فكتبوا إليه وأعلموه، وإنّ خفتم الفشل والوهن فلا تغرّوا الرجل في نفسه، قالوا: لا، بل نقاتل عدوّه ونقتل أنفسنا دونه. قال: فكتبوا إليه، فكتبوا إليه:

^{٢٦٣} (١) تاريخ ابن عساكر: 68 / 13.

^{٢٦٤} (٢) الأخبار الطوال: 209.

^{٢٦٥} (٣) سيرة الأئمة الاثني عشر: 58 / 2.

بسم الله الرحمن الرحيم

«للحسين بن عليّ (عليهما السلام) من سليمان بن صرد و المسيّب بن نجبة و رفاعه بن شدّاد البجلي و حبيب بن مظاهر و شيعة من المؤمنين و المسلمين من أهل الكوفة.

سلام عليك، فإنّا نحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو.

أمّا بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الامّة فابتزّها أمرها، و غصبتها فيئها، و تأمر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها و استبقى شرارها، و جعل مال الله دولة بين جبابرتها و أغنيائها، فبعدا له كما بعدت ثمود، إنه ليس علينا إمام غيرك، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، و انّ النعمان بن بشير فى قصر الإمارة، و أنّا لم نجتمع معه فى جمعة و لا نخرج معه الى عيد، و لو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى».

ثم سرّحوا بالكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمداني و عبد الله بن وال و أمروهما بالنجاء^{٢٦٦}، فخرجوا مسرعين حتى قدما على الحسين (عليه السلام) بمكة لعشر مضيّن من شهر رم ضان، و لبث أهل الكوفة يومين بعد تسريحهم بالكتاب، و أنفذوا قيس بن مسهر الصيداوى و عبد الله و عبد الرحمن ابني

(١) النجاء: السرعة.

ص: ١٥٥

شداد الأرحبى و عمارة بن عبد السلولى إلى الحسين (عليه السلام) و معهم نحو من مائة و خمسين صحيفة من الرجل و الاثنين و الأربعة، ثم لبثوا يومين آخرين و سرّحوا إليه هانى بن هانى السبيعى و سعيد بن عبد الله الحنفى، و كتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«للحسين بن عليّ (عليهما السلام) من شيعة من المؤمنين و المسلمين.

أمّا بعد، فإنّ الناس يتنظرونك، لا رأى لهم غيرك، فالعجل العجل، ثم العجل العجل، و السلام».

ثم كتب شبت بن ربيع و حجار بن أبجر و يزيد بن الحارث بن رويم و عروة بن قيس و عمرو بن الحجّاج الزبيدى و محمد بن عمير التميمى:

«أمّا بعد، فقد اخضرّ الجناح و أينت الثمار، فإذا شئت فاقدم على جرح لك مجنّدة، و السلام»^{٢٦٧}.

^{٢٦٦} (١) النجاء: السرعة.

^{٢٦٧} (١) الإرشاد: 38/2، و روضة الواعظين: 171، و تذكرة الخواص: 213، و تأريخ الطبري: 4/262، و الفتوح لابن أعثم: 5/33، و مقتل الحسين للخوارزمي: 1/195.

جواب الإمام (عليه السلام) على رسائل الكوفيين:

تتابعت كتب الكوفيين كالسيل إلى الإمام الحسين (عليه السلام) و هي تدعوه الى المسير و القدوم إليهم لإنقاذهم من ظلم الامويين و بطشهم، و كانت بعض تلك الرسائل تحمله المسؤولية أمام الله و الامة إن تأخر عن إجابتهم، و رأى الإمام - قبل كل شيء - أن يختار للقياهم سفيرا له يعرفه باتجاهاتهم و صدق نيّاتهم، و قد اختار ثقتَه و كبير أهل بيته مسلم بن عقيل، و هو من أمهر الساسة

(١) الإرشاد: ٣٨ / ٢، و روضة الواعظين: ١٧١، و تذكرة الخواص: ٢١٣، و تأريخ الطبري: ٢٦٢ / ٤، و الفتوح لابن أعمش: ٣٣ / ٥، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١٩٥ / ١.

ص: ١٥٦

و أكثرهم قدرة على مواجهة الظروف الصعبة و الصمود أمام الأحداث الجسام، و زوّده برسالة رويت بصور متعدّدة، من بينها النصّ الذي رواه صاحب الإرشاد، و هي كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من الحسين بن عليّ إلى الملاء من المؤمنين و المسلمين:

أما بعد، فإنّ هائنا و سعيدا قدما عليّ بكتبكم، و كانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، و قد فهمت كلّ الذي اقتصصتم و ذكرتم، و مقالة جلّكم: أنّه ليس علينا إمام، فلّقيل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ و الهدى، و إنّني باعث إليكم أخي و ابن عمّي و ثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فإنّ كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملثكم و ذوى الحجي و الفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، و قرأت في كتبكم فإنّي أقدم إليكم و شيكا إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحقّ الحابس نفسه على ذات الله، و السلام»^{٢٦٨}.

تحرك مسلم بن عقيل نحو الكوفة:

لقد أكّد المؤرّخون أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) أرسل مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوى و عمارة بن عبد الله السلولى و عبد الله و عبد الرحمن ابني شدّاد الأرحبي إلى الكوفة، بعد أن أمره «بالتقوى و كتمان أمره و اللطف بالناس، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجّل إليه بذلك»^{٢٦٩}.

و فى النصف من شهر رمضان انطلق مسلم من مكة نحو الكوفة، فعرّج

^{٢٦٨} (١) الإرشاد: 39 / 2، و إعلام الورى: 436 / 1، و الفتوح لابن أعمش: 35 / 5، و مقتل الحسين للخوارزمي:

195 / 1.

^{٢٦٩} (2) الفتوح: 36 / 5، و مقتل الحسين للخوارزمي: 196 / 1.

(١) الإرشاد: ٣٩ / ٢، و إعلام الوری: ٤٣٦ / ١، و الفتوح لابن أعثم: ٣٥ / ٥، و مقتل الحسين للخوارزمي:

١٩٥ / ١.

(٢) الفتوح: ٣٦ / ٥، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١٩٦ / ١.

ص: ١٥٧

على المدينة فصلّى في مسجد رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و ودّع من أحبّ من أهله و واصل مسيره الى الكوفة.

و تعدّدت أقوال المؤرّخين بشأن المكان الذي نزل فيه مسلم بن عقيل بعد أن وصل إلى الكوفة، فتمّة من قال : إنّ نزل في دار المختار بن أبي عبيدة^{٢٧٠}، و قيل: نزل في بيت مسلم بن عوسجة^{٢٧١}، و قيل: في بيت هانيء بن عروة^{٢٧٢}.

و عندما علم الكوفيون بوصول مبعوث الحسين (عليه السّلام) إلى مدينتهم؛ ازدحموا للقائه و بيعته، و حسب قول بعض المؤرّخين فقد أقبلت الشيعة تختلف إليه، فلمّا اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين (عليه السّلام) و هم يبكون و بايعه الناس، حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً^{٢٧٣}.

رسالة مسلم بن عقيل إلى الإمام الحسين (عليه السّلام):

ظلّ مسلم بن عقيل يجمع القواعد الشعبية و يأخذ البيعة للإمام (عليه السّلام) و تواتت الوفود تقدم ولاءها، و الجماهير تعلن عن استبشارها. و قد لا حظنا كيف أنّ الناس كانوا يبكون و هم يسمعون مسلماً يقرأ عليهم رسالة الإمام الحسين (عليه السّلام) التي فيها يحييهم، و يعلن استعدادهم للقدوم اليهم و قيادة الثورة على الحكم الطاغى.

و بعد أن لاحظ مسلم كثرة الأنصار؛ بادر بالكتابة إلى الإمام (عليه السّلام) ناقلاً اليه صورة حيّة للأحداث و الوقائع التي تجري أمام عينيه في الكوفة، و قيّم له

(١) الإرشاد: ٤١ / ٢، و إعلام الوری: ٤٣٧ / ١.

(٢) الإصابة: ٣٣٢ / ١.

(٣) تهذيب التهذيب: ٣٤٩ / ٢.

(٤) الإرشاد: ٤١ / ٢، و مناقب آل أبي طالب: ٩٠ / ٤، و تذكرة الخواص: ٢٢٠.

^{٢٧٠} (١) الإرشاد: 41 / 2، و إعلام الوری: 437 / 1.

^{٢٧١} (٢) الإصابة: 332 / 1.

^{٢٧٢} (٣) تهذيب التهذيب: 349 / 2.

^{٢٧٣} (٤) الإرشاد: 41 / 2، و مناقب آل أبي طالب: 90 / 4، و تذكرة الخواص: 220.

الموقف و أعرب عن تفاؤله و سأله القدوم.

و قد جاء في رسالة مسلم للإمام (عليه السلام): «أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، و قد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفا، فعجل حين يأتيك كتابي، فإن الناس كلهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأى و لا هوى»^{٢٧٤}.

رسالة الإمام (عليه السلام) إلى زعماء البصرة:

و ذكر المؤرخون أن الإمام الحسين (عليه السلام) - بعد أن قرّر التوجّه إلى العراق - بعث رسالة إلى زعماء البصرة جاء فيها: «أما بعد، فإن الله اصطفى محمداً (صلى الله عليه و اله) من خلقه، و أكرمه بنبوته، و اختاره لرسالته، ثم قبضه إليه، و قد نصح لعباده، و بلغ ما أرسل به، و كنّا أهله و أوليائه و أوصيائه و ورثته و أحقّ الناس بمقامه، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا و كرهنا الفرقة و أحببنا العافية، و نحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممّن تولّاه، و قد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، و أنا أدعوكم إلى كتاب الله و سنّة نبيّه ، فإنّ السنّة قد أميتت و البدعة قد أحييت، فإنّ تسمعوا قولي أهدكم إلى سبيل الرشاد»^{٢٧٥}.

و قد بعث (عليه السلام) عدّة نسخ من هذه الرسالة الى كلّ من: مالك بن مسمع البكري، و الأحنف بن قيس، و المنذر بن الجارود، و مسعود بن عمرو، و قيس ابن الهيثم، و عمرو بن عبيد بن م عمر، و يزيد بن مسعود النهشلي، و أرسل الإمام (عليه السلام) النسخ مع مولى له يقال له: سليمان أبو رزين.

و لم يجب على رسالة الإمام (عليه السلام) غير الأحنف بن قيس و يزيد بن مسعود، أمّا المنذر بن الجارود فقد سلّم رسول الحسين الى ابن زياد - و كان

(١) حياة الإمام الحسين: ٣٤٨ / ٢، عن تاريخ الطبري: ٢٢٤ / ٦.

(٢) مقتل الحسين للمقرّم: ١٥٩ - ١٦٠، و تاريخ الطبري: ٢٦٦ / ٤، و أعيان الشيعة: ٥٩٠ / ١.

حينها واليا على البصرة - فصلبه عشية الليلة التي خرج في صبيحتها إلى الكوفة^{٢٧٦}. و كانت ابنة المنذر زوجة ابن زياد فزعم المنذر أنّه كان يخشى أن يكون الرسول مدسوسا من ابن زياد لكشف نواياه.

جواب الأحنف بن قيس:

^{٢٧٤} (١) حياة الإمام الحسين: 348 / 2، عن تاريخ الطبري: 224 / 6.
^{٢٧٥} (٢) مقتل الحسين للمقرّم: 159 - 160، و تاريخ الطبري: 266 / 4، و أعيان الشيعة: 590 / 1.
^{٢٧٦} (١) بحار الأنوار: 339 / 44، و أعيان الشيعة: 590 / 1.

و أمّا الأحنف بن قيس - وهو أحد زعماء البصرة - فقد أجاب على رسالة الإمام (عليه السلام) برسالة كتب فيها هذه الآية الكريمة و لم يزد عليها: **فَلْيَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**^{٢٧٧}.

و هذا الجواب يعكس مدى تناذله و تقاعسه فى مواجهة الظلم و المنكر.

جواب يزيد بن مسعود النهشلى:

و استجاب الزعيم الكبير يزيد بن مسعود النهشلى إلى تلبية نداء الحق، فاندفع بوحى من إيمانه و عقيدته الى نصره الإمام، فعقد مؤتمرا عامّا دعا فيه القبائل الموالية له و هى: ١- بنو تميم. ٢- بنو حنظلة. ٣- بنو سعد.

و انبرى فيهم خطيبا فكان ممّا قال: **إنّ معاوية مات، فأهون به و الله هالكا و مفقودا، ألا إنّ قد انكسر باب الجور و الإثم، و تضعضعت أركان الظلم، و كان قد أحدث بيعه عقد بها أمرا ظنّ أنّه قد أحكمه، و هيهات الذى أراد، اجتهد و الله ففشل، و شاور فخذل، و قد قام يزيد شارب الخمر و رأس الفجور يدعى الخلافة للمسلمين، و يتأمرّ عليهم بغير رضى منهم مع قصر حلم و قلّة علم، لا يعرف من الحقّ موطأ قدميه، فأقسم بالله قسما مبرورا لجهاده على**

(١) بحار الأنوار: ٣٣٩ / ٤٤، و أعيان الشيعة: ٥٩٠ / ١.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣ / ٣٠٠، و الآية (٦٠) من سورة الروم.

ص: ١٦٠

الدين أفضل من جهاد المشركين.

و هذا الحسين بن علىّ و ابن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) ذو الشرف الأصيل، و الرأى الأثيل. له فضل لا يوصف، و علم لا ينزف. و هو أولى بهذا الأمر لسابقته و سنّه، و قدمه و قرابته من رسول الله (صلّى الله عليه و اله). يعطف على الصغير، و يحسن إلى الكبير، فأكرم به راعى رعية، و إمام قوم و جبت لله به الحجّة، و بلغت به الموعظة. فلا تعشوا عن نور الحقّ، و لا تسكعوا فى وهد الباطل ... و الله لا يقصّر أحدكم عن نصرته إلّا أورثه الله الذلّ فى ولده، و القلّة فى عشيرته، و ها أنا قد لبست للحرب لامتها و ادّرت لها بدرعها. من لم يقتل يمت، و من يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله رد الجواب».

و لما أنهى النهشلى خطابه؛ انبرى و جهاء القبائل فأظهروا الدعم الكامل له، فرفع النهشلى رسالة للإمام (عليه السلام) دلّت على شرفه و نبهه و هذا نصّها:

«أمّا بعد، فقد وصل إلى كتابك و فهمت ما ندبتنى إليه و دعوتنى له من الأخذ بحظّى من طاعتك و الفوز بنصيبى من نصرتك، و إنّ الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير و دليل على سبيل نجا، و أنتم حجّة الله على خلقه و وديعته

^{٢٧٧} (٢) سير أعلام النبلاء: 3 / 300، و الآية (60) من سورة الروم.

فى أرضه، تفرّعت من زيتونة أحمديّة، هو أصلها و أنتم فرعها، فأقدم سعدت بأسعد طائر، فقد دّلت لك أعناق بنى تميم، و تركتهم أشدّ تتابعا فى طاعتك من الإبل الضمأى لورود الماء يوم خمسها، و قد دّلت لك رقاب بنى سعد، و غسلت درن قلوبها بماء سحابة مزّن حين استهلّ برقها فلمع»^{٢٧٨}.

و يقول بعض المؤرّخين: إنّ الرسالة انتهت إلى الإمام (عليه السّلام) فى اليوم العاشر من المحرم بعد مقتل أ صحابه و أهل بيته، و هو وحيد فريد قد أحاطت

(١) اللّهُوف: ٣٨، و أعيان الشيعة: ١ / ٥٩٠، و بحار الأنوار: ٣٣٩ / ٤٤.

ص: ١٤١

به القوى الغادرة، فلمّا قرأ الرسالة قال (عليه السّلام): «آمنك الله من الخوف، و أرواك يوم العطش الأكبر».

و لمّا تجهّز ابن مسعود لنصرة الإمام بلغه قتله فجزع لذلك، و ذابت نفسه أسى و حسرات^{٢٧٩}.

موقف والى الكوفة:

كان النعمان بن بشير واليا على الكوفة و قنّذاك، و مع أنّه كان عثمانى الهوى و اموىّ الرغبة لكنّه لم يكن راضيا عن خلافة يزيد، و بعد موت معاوية انضمّ الى عبد الله بن الزبير و قاتل و قتل معه.

و عليه فإنّه لم يتخذ موقفا متشدّدا من نشاطات مسلم بن عقيل فى الكوفة، و لم ينقل عنه فى تلك المرحلة الحسّاسة سوى خطاب ألقاه فى جمع الكوفيين كان - كما يتصور - لرفع العتب و التظاهر بأنّه يقوم بواجبه كوال تابع لحكومة الشام، و قد ذكر فى خطابه:

«أما بعد، فاتّقوا الله عباد الله و لا تسارعوا إلى الفتنة و الفرقة، فإنّ فيها تهلك الرجال و تسفك الدماء و تغصب الأموال، إنّى لا اقاتل من لا يقاثلنى، و لا آتى على من لم يأت علىّ، و لا اتّبه نائمكم و لا أتحرّش بكم و لا آخذ بالقرف و لا الظنّة و لا التهمة، و لكنكم إن أبديتهم صفحتكم لى و نكتهم بيعتكم و خالفتهم إمامكم، فوالله الذى لا إله غيره لأضربنكم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى و لو لم يكن لى منكم ناصر، أما أنّى أرجو أن يكون من يعرف الحقّ منكم أكثر ممّن يرديه الباطل»^{٢٨٠}.

(١) اللّهُوف: ٣٨، و أعيان الشيعة: ١ / ٥٩٠، و بحار الأنوار: ٣٣٩ / ٤٤.

(٢) الكامل فى التاريخ: ٢٦٧ / ٣.

^{٢٧٨} (١) اللّهُوف: 38، و أعيان الشيعة: 1 / 590، و بحار الأنوار: 339 / 44.

^{٢٧٩} (١) اللّهُوف: 38، و أعيان الشيعة: 1 / 590، و بحار الأنوار: 339 / 44.

^{٢٨٠} (٢) الكامل فى التاريخ: 267 / 3.

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي حليف بني أمية فقال : إنه لا يصلح ما ترى أيها الأمير إلّا الغشم، وأن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأى المستضعفين، فقال له النعمان : لئن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبّ إليّ من أن أكون من الأعزّين في معصية الله^{٢٨١}.

أنصار الامويين يتداركون أمورهم:

كانت الكوفة تضمّ آنذاك فئة من أنصار الامويين و المعارضين لأهل البيت (عليهم السّلام) و بين هذه الفئة كان بعض المنافقين الذين يتظاهرون بالتشيع لأمير المؤمنين (عليه السّلام) فيما كانوا يبطنون محبة الامويين، الأمر الذي ساعدهم في اختراق صفوف شيعة أهل البيت (عليهم السّلام) و التجسس لصالح الحكم الاموي، و كان من بين هؤلاء عبد الله الحضرمي، الذي عاب على النعمان رأيه كما لا حظنا قبل قليل، فقد كتب رسالة إلى يزيد جاء فيها : «أمّا بعد، فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة و بايعته الشيعة للحسين بن عليّ بن أبي طالب، فإن يكن لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك، و يعمل مثل عملك في عدوك، فإنّ الرعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعّف»^{٢٨٢}.

و يضيف المؤرّخون أنّه كتب إليه - يعني إلى يزيد - عمارة بن عقبة بنحو كتابه - يعني كتاب الحضرمي - ثم كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص مثل ذلك^{٢٨٣}.

(١) الإرشاد: ٢/ ٤٢، و أنساب الأشراف: ٧٧، و الفتوح: ٥/ ٧٥، و العوالم للبحراني: ١٣/ ١٨٢.

(٢) الإرشاد: ٢/ ٤٢، و إعلام الوري: ١/ ٢٣٧.

(٣) المصدر السابق.

قلق يزيد و استشارة السيرجون^{٢٨٤}:

^{٢٨١} (١) الإرشاد: ٢/ ٤٢، و أنساب الأشراف: ٧٧، و الفتوح: ٥/ ٧٥، و العوالم للبحراني: ١٣/ ١٨٢.
^{٢٨٢} (٢) الإرشاد: ٢/ ٤٢، و إعلام الوري: ١/ ٢٣٧.
^{٢٨٣} (٣) المصدر السابق.
^{٢٨٤} (١) السيرجون غلام نصراني كان معاوية قد اتخذته كاتباً و مستشاراً له . و استمر في منصبه الخطير في عهد يزيد الذي كان قد نشأ على التربية النصرانية و كان أقرب منها الى غيرها
و ليس هذا أول مورد نلاحظ فيه بصمات أصابع أهل الكتاب في صنع مواقف هؤلاء الحكّام تجاه الرسالة و العقيدة و الامة الاسلامية و قادتتها الامناء عليها.
لقد كان لكل من تميم الداري (الراهب النصراني) و كعب الأحبار (اليهودي) موقع متميّز عند عمر حيث كان يحترهما و يستشيرهما و يسمح لهما بالتحدث كل اسبوع قبل صلاة الجمعة فضلاً عن تدريس التوراة و تفسير القرآن الكريم، في وقت كان لا يسمح للصحابة بكتابة حديث الرسول (صلى الله عليه و اله) و لا التحديث به، بل كان يحبسهم في المدينة لئلا ينشروا حديث الرسول (صلى الله عليه و اله). (راجع كنز العمال الحديث رقم 4865 و تذكرة الحفاظ بترجمة عمر و تاريخ ابن كثير: 8/ 107).
و قد عظم نفوذ هؤلاء القصاصين بعد عمر و تعاظم في عهد الامويين و استمر في عهد العباسيين بالرغم من أن الإمام عليّاً (عليه السّلام) كان قد طردهم من مساجد المسلمين

قلق يزيد كثيرا من الأخبار التي وصلته من الكوفة، و هي تتحدث عن موقف الكوفيّين من الحكم الاموى و مبايعتهم للإمام الحسين (عليه السّلام) فدعا يزيد السيرجون الذى كان يعدّ غلاما لمعاوية فقال له : ما رأيك؟- إنّ حسيناً قد أنفذ إلى الكوفة مسلم بن عقيل يبايع له، و قد بلغنى عن النعمان ضعف و قول سيّء، فمن ترى أن أستعمل على الكوفة؟، و كان يزيد عاتبا على عبيد الله ابن زياد^{٢٨٥}، فقال له السيرجون : أ رأيت لو يشير إليك معاوية حيّا هل كنت آخذا برأيه؟ قال : بلى. فأخرج السيرجون عهد عبيد الله بن زياد على الكوفة،

(١) السيرجون غلام نصراني كان معاوية قد اتخذه كاتباً و مستشاراً له . و استمر في منصبه الخطير في عهد يزيد الذى كان قد نشأ على التربيّة النصرانيّة و كان أقرب منها الى غيرها.

و ليس هذا أوّل مورد نلاحظ فيه بصمات أصابع أهل الكتاب في صنع مواقف هؤلاء الحكّام تجاه الرسالة و العقيدة و الامّة الاسلاميّة و قادتها الامناء عليها.

لقد كان لكل من تميم الدارى (الراهب النصراني) و كعب الأخبار (اليهودى) موقع متميّز عند عمر حيث كان يحترهما و يستشيرهما و يسمح لهما بالتحدث كل اسبوع قبل صلاة الجمعة فضلا عن تدريس التوراة و تفسير القرآن الكريم، في وقت كان لا يسمح للصحابة بكتابة حديث الرسول (صلى الله عليه و اله) و لا التحديث به، بل كان يحبسهم في المدينة لئلا ينشروا حديث الرسول (صلى الله عليه و اله). (راجع كنز العمال الحديث رقم ٤٨٦٥ و تذكرة الحفاظ بترجمة عمر و تاريخ ابن كثير: ١٠٧ / ٨).

و قد عظم نفوذ هؤلاء القصاصين بعد عمر و تعاظم في عهد الامويين و استمر في عهد العباسيين بالرغم من أن الإمام عليّا (عليه السّلام) كان قد طردهم من مساجد المسلمين.

و لا يبعد أن يكون دخول عقائد منحرفة كالتجسيم و عدم عصمة الأنبياء و غيرها من المفاهيم المنحرفة إلى مصادر المسلمين نتيجة هذا الحضور الفاعل منهم في الساحة الاسلاميّة و تحت شعار الاسلام و نصيح الحكّام.

و قد تميّز معاوية باتخاذ بطانة واسعة من أهل الكتاب حيث تلاحظ أن كاتبه و مستشاره نصراني، و هو (السيرجون) كما أن طبيبه كان نصرانيا و هو (أثال) و شاعره أيضا كان نصرانيا و هو (الأخطل)، و الشام هي عاصمة نصارى الروم البيزنطيين قبل دخول الاسلام اليها. (راجع معالم المدرستين ٢ / ٥١-٥٣).

(٢) لأنّ عبيد الله بن زياد كان معارضا لمعاوية في تولية العهد ليزيد، انظر البداية و النهاية: ٨ / ١٥٢.

ص: ١٦٤

و لا يبعد أن يكون دخول عقائد منحرفة كالتجسيم و عدم عصمة الأنبياء و غيرها من المفاهيم المنحرفة إلى مصادر المسلمين نتيجة هذا الحضور الفاعل منهم في الساحة الاسلاميّة و تحت شعار الاسلام و نصيح الحكّام و قد تميّز معاوية باتخاذ بطانة واسعة من أهل الكتاب حيث تلاحظ أن كاتبه و مستشاره نصراني، و هو (السيرجون) كما أنّ طبيبه كان نصرانيا و هو (أثال) و شاعره أيضا كان نصرانيا و هو (الأخطل)، و الشام هي عاصمة نصارى الروم البيزنطيين قبل دخول الاسلام اليها. (راجع معالم المدرستين ٢ / 51-53).

^{٢٨٥} (٢) لأنّ عبيد الله بن زياد كان معارضا لمعاوية في تولية العهد ليزيد، انظر البداية و لنهاية: ٨ / 152.

و قال: هذا رأى معاوية، مات وقد أمر بهذا الكتاب، فضمّ المصريين (يعنى الكوفة و البصرة و التي كان واليا عليها أى ام معاوية) إلى عبيد الله، فقال له يزيد:

أفعل. إبعث بعهد عبيد الله ابن زياد إليه ... ثم دعا مسلم بن عمرو الباهلي و كتب إلى عبيد الله معه كتابا جاء فيه:

«أما بعد، فإنه كتب إلى شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أنّ ابن عقيل فيها، يجمع الجموع ليشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتى تنقذه فتوثقه أو تقتله أو تتفيه، و السلام»^{٢٨٦}.

توجه عبيد الله بن زياد إلى الكوفة:

استلم عبيد الله بن زياد كتاب يزيد بن معاوية، فانطلق في اليوم الثاني نحو الكوفة و معه مسلم بن عمرو الباهلي و شريك بن الأعور الحارثي و حشمه و أهل بيته^{٢٨٧}، حيث ينتظر أهلها قدوم الإمام الحسين (عليه السلام) و معظمهم لا يعرف شخصية الإمام و لم تكن قد التقت من قبل، و قد تعجلّ ابن زياد الانتقال إلى الكوفة ليصلها قبل الإمام الحسين (عليه السلام).

باغت ابن زياد جماه ير الكوفة و هو يخفي معالم شخصيته و يتستّر على ملامحه، فقد تلثم و لبس عمامة سوداء، و راح يخترق الكوفة و الناس ترحّب به و تسلّم عليه و تردّد: مرحبا بك يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم^{٢٨٨}.

فساءه ما سمع و راح يواصل السير نحو قصر الإمارة، فاضطرب النعمان

(١) الإرشاد: ٢/ ٤٢-٤٣، و إعلام الوري: ١/ ٤٣٧، و سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٠١.

(٢) إعلام الوري: ١/ ٤٣٧.

(٣) الإرشاد: ٢/ ٤٣، و إعلام الوري: ١/ ٤٣٨.

ص: ١٤٥

و أطلّ من شرفات القصر يخاطب عبيد الله بن زياد، و كان هو أيضا قد ظنّ أنّه الإمام، فخاطبه: انشك الله إلّا ما تنحيت، و الله ما أنا بمسلّم إليك أمانتي، و ما لي في قتالك من إرب...^{٢٨٩}.

صمت ابن زياد و راح يقترب من باب القصر، حتى شخّص النعمان أنّ القادم هو ابن زياد، ففتح الباب و دخل ابن زياد القصر و أغلق بابه و بات ليلته، و باتت الكوفة على وجل و ترقّب و في منعطف سياسى خطير.

^{٢٨٦} (١) الإرشاد: ٢/ ٤٢-٤٣، و إعلام الوري: ١/ ٤٣٧، و سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٠١.

^{٢٨٧} (٢) إعلام الوري: ١/ ٤٣٧.

^{٢٨٨} (٣) الإرشاد: ٢/ ٤٣، و إعلام الوري: ١/ ٤٣٨.

^{٢٨٩} (١) الإرشاد: ٢/ ٤٣، و روضة الواعظين: ١٧٣، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١٩٨، و تهذيب التهذيب: ٣٠٢/ ٢.

محاولات ابن زياد للسيطرة على الكوفة:

فوجئ أهل الكوفة بأبن زياد عند الصباح و هو يحتلّ القصر بالنداء:

الصلاة جامعة، فقام خطيباً في الجموع المحتشدة و راح يمني المطيع و السائر في ركب السياسة القائمة بالأمانى العريضة، و يهدّد و يتوعّد المعارضة و المعارضين و الرافضين لحكومة يزيد، حتى قال : ... سوطي و سيفي على من ترك أمري و خالف عهدي^{٢٩٠}.

ثم فرض على الحاضرين مسؤولية التجسّس على المعارضين، و هدّد من لم يساهم في هذه العملية و ينفّذ هذا القرار بالعقوبة و قطع المخصّصات المالية، فقال: «... فمن يجيء لنا بهم فهو يرى، و من لم يكتب لنا أحد فليضمن لنا في عرافته أن لا يخالفنا منهم مخالف، و لا يبغى علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمّة و حلال لنا دمه و ماله، و أيّما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره و الغيت

(١) الإرشاد: ٤٣ / ٢، و روضة الواعظين: ١٧٣، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١٩٨، و تهذيب التهذيب:

٣٠٢ / ٢.

(٢) مقاتل الطالبين: ٩٧، و إعلام الوري: ٤٣٨ / ١.

ص: ١٤٤

تلك العرافة من العطاء»^{٢٩١}.

و قد كان ابن زياد معروفا في أوساط الكوفيّين بالقسوة و الشدّة، فكان من الطبيعي أن يحدث قدومه و خطابه الشديد للهجة هزة عند المعارضين لسياسته، فلاحت بواد النكوص و التخاذل و الإرجاف تظهر على الكوفيّين و قياداتهم، من هنا اعتمد مسلم بن عقيل وسيلة جديدة للسير في حركته نحو الهدف المطلوب. فانتقل الى دار هانيء بن عروة و جعل يتستّر في دعوته و تحركاته إلّا عن خلّص أصحابه، و هانيء يومذاك سيّد بني مراد و صاحب الكلمة المسموعة في الكوفة و الرأي المطاع^{٢٩٢}.

موقف مسلم من اغتيال ابن زياد:

لقد كان مسلم بن عقيل - رضوان الله تعالى عليه - يحمل رسالة سامية و أخلاقاً فاضلة اكتسبها من بيت النبوة، كما كان يملك دراية بكلّ تقاليد و أعراف المجتمع الذي كان يتحرّك فيه، ففي موقف كان يمكن فيه لمسلم ابن عقيل أن يغتال ابن زياد رفض ذلك لاعتبارات شتى.

^{٢٩٠} (٢) مقاتل الطالبين: ٩٧، و إعلام الوري: ٤٣٨ / ١.

^{٢٩١} (١) الإرشاد: ٤٥ / ٢، و الفصول المهمة: ١٩٧، و الفتوح لابن أعتم: ٦٧ / ٥.

^{٢٩٢} (٢) مروج الذهب: ٨٩ / ٢، و الأخبار الطوال: ٢١٣، و إعلام الوري: ٤٣٨ / ١.

فقد روى أن شريك بن الأعور حين نزل في دار هانيء بن عروة مرض مرضاً شديداً، وحين علم عبيد الله بن زياد بذلك قدم لعيادته، و هنا اقترح شريك على مسلم أن يغتال ابن زياد، فقال: إنما غايتك و غاية شيعتك هلاك هذا الطاغية، و قد أمكنك الله منه و هو صائر إلى ليعودني، فقم و أدخل الخزانة حتى إذا اطمأن عندى فاخرج إليه فاقتله ، ثم صر إلى قصر الإمارة فاجلس فيه،

(١) الإرشاد: ٢ / ٤٥، و الفصول المهمة: ١٩٧، و الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٧.

(٢) مروج الذهب: ٢ / ٨٩، و الأخبار الطوال: ٢١٣، و إعلام الوري: ١ / ٤٣٨.

ص: ١٦٧

فإنه لا ينازعنك فيه أحد من الناس.

و لمس مسلم كراهية هانيء أن يقتل عبيد الله في داره، و لم يأخذ مسلم باقتراح شريك، و حين خرج عبيد الله قال شريك بحسرة و ألم لمسلم: ما منعك من قتله؟ قال مسلم: معنى منه خلتان: أحدهما كراهية هانيء لقتله في منزله، و الاخرى قول رسول الله (صلى الله عليه و اله): «إن الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن»^{٢٩٣}.

الغدر بمسلم بن عقيل:

اتخذ ابن زياد كل وسيلة مهما كانت دنيئة للقضاء على الوجود السياسى و التحرك الذى برز منذراً بالخطر بوجود مسلم بن عقيل على النظام الاموى، و سارع للقضاء على مسلم بن عقيل و كل الموالين له قبل وصول الإمام الحسين (عليه السلام) و ليتمكن بذلك من إفشال الثورة، فدبر خطة للتجسس على تحركات مسلم و مكانه و الموالين له، و استطاع أن يكتشف مخبأه و أن يعلم بمقره^{٢٩٤} فكانت بداية تخاذل الناس عن الصمود في مواجهة الظلم.

لقد استطاع والى الجديد عبيد الله بن زياد أن يحكم الحيلة و الخداع ليقبض على هانيء بن عروة الذى آوى رسول الحسين (عليه السلام) و أحسن ضيافته و اشترك معه فى رأى و التدبير، فقبض عليه و قتله بعد حوار طويل جرى بينهما، و ألقى بجثمانه من أعلى القصر إلى الجماهير المحتشدة حوله، فاستولى الخوف و التخاذل على الناس، و ذهب كل إنسان إلى بيته

(١) الأخبار الطوال: ١٨٧، و مقاتل الطالبين: ٩٨، و إعلام الوري: ١ / ٤٢٨.

(٢) إعلام الوري: ١ / ٤٤٠، و الأخبار الطوال: ١٧٨، و مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٩١، و الفتوح لابن أعثم:

^{٢٩٣} (١) الأخبار الطوال: 187، و مقاتل الطالبين: 98، و إعلام الوري: 1 / 428.

^{٢٩٤} (٢) إعلام الوري: 1 / 440، و الأخبار الطوال: 178، و مناقب آل أبي طالب: 4 / 91، و الفتوح لابن أعثم: 5 / 69، و تاريخ الطبري: 4 / 271، و أنساب الأشراف: 79.

و كأن الأمر لا يعنيه^{٢٩٥}.

و لما علم مسلم بما جرى لهانيء و رأى تخاذل عشيرته مذبح الغنيئة بعددها و عدتها خرج في أصحابه و نادى مناديه في الناس و سار بهم لمحاصرة القصر، و اشتد الحصار على ابن زياد و ضاق به أمره، و لكنه استطاع بدهائه و مكره أن يتغلب على المحنة و يخذل الناس عن مسلم^{٢٩٦}.

لقد دسّ ابن زياد في أوساط الناس أشخاصا يخذلونهم و يتظاهرون بالدعوة إلى حفظ الأمن و الاستقرار و عدم إراقة الدماء، و يحدّثون من قدوم جيش جرّار من الشام بهدف كسب الوقت و تفتيت قوى الثوار. و استمرّ الموقف كذلك و الناس تنصرف و تتفرّق عن مسلم. و بدخول الليل صلى بمن بقي معه و خرج من المسجد الجامع وحيدا لا ناصر له و لا مؤازر و لا من يدله على الطريق، و أقفل الناس أبوابهم في وجهه، فمضى يبحث عن دار يأوي إليها في ليلته تلك، و فيما هو يسير في ظلمة الليل وجد امرأة على باب دارها و كأنها تنتظر شيئا، فعرفها بنفسه و سألها المبيت عندها إلى الصباح، فرحبت به و أدخلته بيتها، و عرضت عليه العشاء فأبى أن يأكل شيئا، و عرف ولدها بمكانه و كان ابن زياد قد أعدّ جائزة لمن يخبره عنه، و ما كاد الصبح يتنفس حتى أسرع ولدها إلى القصر و أخبر محمد بن الأشعث بمكان مسلم بن عقيل، و فور وصول النبأ إلى ابن زياد أرسل قوة كبيرة من جنده^{٢٩٧} بقيادة ابن الأشعث إلى المكان الذي فيه مسلم، و ما أن سمع بالضجة حتى أدرك أن القوم

(١) الكامل في التاريخ: ٢٧١ / ٣، و الفتوح لابن اعثم: ٨٣ / ٥، و إعلام الوري: ١ / ٤٤١.

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر، القسم الثاني: ٦٣، و إعلام الوري: ١ / ٤٤١، و مناقب آل أبي طالب: ٩٢ / ٤، و الكامل في التاريخ: ٢٧١ / ٣.

(٣) جاء في «الإرشاد» أنهم كانوا سبعين رجلا.

يطلبونه فخرج إليهم بسيفه.

و قد اقتحموا عليه الدار فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه فشدّ عليهم كذلك، مع أنهم تكاثروا عليه بعد أن اتخن بالجراح قطعنه رجل من خلفه فخرّ إلى الأرض فاخذ أسيرا و حمل على بلغة و انتزع الأشعث سيفه و سلاحه و أخذوه إلى القصر فادخل على ابن زياد و لم يسلم عليه، و جرى بينهما حوار طويل كان فيه ابن عقيل -

^{٢٩٥} (١) الكامل في التاريخ: 271 / 3، و الفتوح لابن اعثم: 83 / 5، و إعلام الوري: 441 / 1.
^{٢٩٦} (٢) سيرة الأئمة الاثني عشر، القسم الثاني: 63، و إعلام الوري: 441 / 1، و مناقب آل أبي طالب: 92 / 4، و الكامل في التاريخ: 271 / 3.
^{٢٩٧} (٣) جاء في «الإرشاد» أنهم كانوا سبعين رجلا.

رضوان الله عليه - رابط الجأش منطلقاً في بيانه قوى الحجة، حتى أعياه أمره و انتفخت أوداجه و جعل يشتم علياً و الحسن و الحسين، ثم أمر أجهزته أن يصعدوا به الى أعلى القصر و يقتلوه و يرموا جسده إلى الناس و يسحبوه في شوارع الكوفة ثم يصلبوه إلى جانب هانيء بن عروة، هذا و أهل الكوفة وقوف في الشوارع لا يحركون ساكناً و كأنهم لا يعرفون من أمره شيئاً.

و كان مسلم قد طلب من ابن الأشعث أن يكتب إلى الحسين (عليه السلام) يخبره بما جرى في الكوفة و ينصحه بعدم الشخوص إليهم، فوعده ابن الأشعث بذلك، و لكنه لم يف بوعده^{٢٩٨}.

(١) يراجع في تفصيلاته الى: اعيان الشيعة: ١/ ٥٩٢، إعلام الوري: ١/ ٤٤٢، و الكامل في التاريخ: ٤/ ٣٢، و الفتوح: ٥/ ٨٨، و تاريخ الطبري: ٤/ ٢٨٠، و مقاتل الطالبين: ٩٢.

ص: ١٧٠

البحث الخامس: حركة الإمام الحسين (عليه السلام) الى العراق

و نترك الكوفة يبعث بها ابن زياد و يتتبع شيعة الإمام الحسين (عليه السلام) و يطاردتهم، و نعود إلى مكة لتتابع السير مع ركب الحسين (عليه السلام) حتى الطفّ حيث المأساة الكبرى. قال المؤرخون: كان خروج مسلم بن عقيل رحمه الله عليه بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضيّن من ذى الحجة سنة ستين، و قتله يوم الأربعاء لتسع خلون منه يوم عرفة، و كان توجه الحسين صلوات الله عليه من مكة الى العراق في يوم خروج مسلم بالكوفة - و هو يوم التروية - بعد مقامه بمكة ببقية شعبان و شهر رمضان و شوالاً و ذا القعدة و ثمانى ليال خلون من ذى الحجة سنة ستين، و كان (عليه السلام) قد اجتمع إليه مدة مقامه بمكة نفر من أهل الحجاز و نفر من أهل البصرة انضموا إلى أهل بيته و مواليه.

و لما أراد الحسين (عليه السلام) التوجه إلى العراق طاف بالبيت و سعى بين الصفا و المروة و أحلّ من إحرامه و جعلها عمرة، لأنّه لم يتمكّن من تمام الحجّ مخافة أن يقبض عليه بمكة فينفذ به إلى يزيد بن معاوية، فخرج (عليه السلام) مبادراً بأهله و ولده و من انضم إليه من شيعته، و لم يكن خبر مسلم قد بلغه^{٢٩٩}.

لما ذا اختار الإمام الحسين (عليه السلام) الهجرة إلى العراق؟

رغم كلّ ما قيل من تحليل و دراسة لوضع المجتمع الكوفي و ما ينطوى عليه من إثارة سلبيات يتكهّن بأغلبها المحلّلون من دون جزم فإنّنا نرى أنّ اختيار الإمام الحسين (عليه السلام) الهجرة الى العراق كان لأسباب منها:

١- إنّ التكليف الإلهي برفع الظلم و الفساد و الأمر بالمعروف و النهي عن

^{٢٩٨} (١) يراجع في تفصيلاته الى: اعيان الشيعة: ١/ 592، إعلام الوري: ١/ 442، و الكامل في التاريخ: ٤/ 32، و الفتوح: ٥/ 88، و تاريخ الطبري: ٤/ 280، و مقاتل الطالبين: 92.

^{٢٩٩} (١) الإرشاد: 2/ 67.

ص: ١٧١

المنكر يشمل جميع المسلمين بلا استثناء، إذ أننا لا نجد في النصوص التاريخية ما يدل على قيام فطر من الأقطار الإسلامية بمحاولة لمواجهة الحكم الاموى سوى العراق الذى وقف ضدهم منذ أن ظهر الامويون فى الساحة السياسية و حتى سقوطهم.

٢- إن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يعلن دعوته لمواجهة ظلم الامويين و فسادهم و النهوض لإحياء الرسالة يوم طلب منه مبايعة يزيد، بل كانت تمتدّ دعوته فى العمق الزمنى إلى أبعد من ذلك، و لكن لم نر نصوصاً تاريخية تدلّ على استجابة شعب من شعوب العالم الإسلامى لنداء الإمام الحسين (عليه السلام) و نهضته غير العراق، فكانت الدعوات الكثيرة و الملحة موجّهة إليه تعلن الولاء و الاستعداد لتأييد النهضة و مواجهة الحكم الاموى الفاسد .

٣- لم يكن أمام الحسين (عليه السلام) من خيار لاختيار بلد آخر غير العراق، لأنّ بقية الأقطار إمّا أنها كانت مؤيّدة للامويين فى توجّهاتهم و سياساتهم، أو خاضعة مقهورة، أو أنّها كانت غير متحضّرة و غير مستعدة للاستجابة للنهضة الحسينية. على أنّ كثيراً من شعوب العالم الإسلامى كانت فى ذلك الحين إمّا كافرة أو حديثة عهد بالإسلام، أو غير عربية بحيث يصعب التعايش و التعامل معها؛ ممّا كان سبباً لتضييع ثورة الإمام و جهوده.

٤- كانت الكوفة تضمّ الجماعة الصالحة التى بناها الإمام علىّ (عليه السلام) و القاعدة الجماهيرية التى تتعاطف مع أهل البيت (عليهم السلام)، فأراد الإمام الحسين (عليه السلام) أن لا يضيع دمه و هو مقتول لا محالة، كما أراد أن يعمّق الإيمان فى النفوس و يجذّر الولاء لأهل البيت (عليهم السلام)، و كان العراق أخصب أرض تستجيب لذلك، و سرعان ما بدأت الثورات فى العراق بعد استشهاد

ص: ١٧٢

الإمام الحسين (عليه السلام)، و أصبح العراق القاعدة العريضة لنشر مبادئ و فضائل أهل البيت (عليهم السلام) إلى العالم الإسلامى فى السنين اللاحقة.

٥- إن اختيار أى بلد غير العراق سيكون له أثره السلبى، إذ يتخذ أعداء الاسلام و أهل البيت (عليهم السلام) أداة عار و شناعة للنيل من مقام الإمام و أهدافه السامية، و يفسّر خروجه إليه على أنّه هروب من المواجهة الحتمية، فى الوقت الذى كان يهدف الإمام (عليه السلام) الى إحياء حركة الرسالة و المثل الأخلاقية و تأجيج روح المواجهة و التصدى للظلم و الظالمين. و حتى على فرض اختياره (عليه السلام) بلداً آخر فإنّ سلطة الامويين ستنتال منه و تقضى عليه دون أن يحقق أهداف رسالته التى جاء من أجلها.

٦- لمّا كان العراق يصارع الامويّين كانت أجواؤه مهيبّة لنشر الإعلام الثورى لنهضة الحسين (عليه السّلام) و أفكاره، و من ثمّ فضح بنى اميّة و تسترّهم بالشرعية و غطاء الدين، و حتى النزعة العاطفية المزعومة في العراقيّين فقد كانت سببا في ديمومة و هج الثورة و أفكارها كما نرى ذلك حتّى عصرنا هذا.

و لعلّ هناك أسبابا لا ندركها، لا سيما و نحن نرى أنّ الإمام الحسين (عليه السّلام) كان على بينة و اطلاع من نتيجة الصراع، و كان على معرفة بالظروف الموضوعية المحيطة بمسيرته و على علم بطبيعة التكوين الاجتماعى و السياسى للمجتمع الذى كان يتوجّه إليه من خلال وعيه السياسى الحاذق، و النصائح التى قدّمها إليه عدد من الشخصيات فضلا عن عصمته عن الزل و الأهواء، كما نعتقد؛ فلم يكن اختياره العراق منطلقا لثورته العظيمة، إلّا عن دراية و تخطيط رغم الجريمة النكراء التى نتجت عن تخاذل الناس و تركهم نصره إمامهم و لحوق العار بهم فى الدنيا و الآخرة.

ص: ١٧٣

تصريحات الإمام (عليه السّلام) عند وداعه مكة:

صدرت عن الإمام الحسين (عليه السّلام) عدّة تصريحات عند ما كان يعتزم مغادرة مكة و التوجّه إلى العراق، و كانت بعض هذه التصريحات تمثّل أجوبته (عليه السّلام) على من أشفق عليه أو من ندّد بخروجه، و قد تمثّل خطابه للناس بصورة عامة، فنذكر منها هنا:

١- روى عبد الله بن عباس عن الإمام الحسين بشأن حركته نحو العراق قوله (عليه السّلام): «و الله لا يدعونى حتى يستخرجوا هذه العلقّة من جوفى، فإذا فعلوا سلّط عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذلّ من فرم المرأة»^{٣٠٠}.

٢- كان محمد بن الحنفية فى يثرب فلما علم بعزم الإمام (عليه السّلام) على الخروج إلى العراق توجّه إلى مكة، و قد وصل إليها فى الليلة التى أراد (عليه السّلام) الخروج فى صبيحتها إلى العراق، و قصده فور وصوله فبادره قائلا : «يا أخى إنّ أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك و أخيك، و يساورنى خوف أن يكون حال ك حال من مضى، فإن أردت أن تقيم فى الحرم فإنّك أعز من بالحرم و أمنهم».

فأجابه الإمام (عليه السّلام): «خفت أن يغتالنى يزيد بن معاوية، فأكون الذى تستباح به حرمة هذا البيت « فقال محمد: «فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنّك أمنع الناس به، و لا يقدّر عليك أحد»، قال الحسين (عليه السّلام): «أنظر فيما قلت».

و لمّا كان وقت السحر بلغه شخوصه إلى العراق و كان يتوضّأ فبكى،

(١) الكامل فى التاريخ: ٣٩ / ٤.

و أسرع محمد إلى أخيه فأخذ بزمام ناقته و قال له : «يا أخى، ألم تعدنى فيما سألتك؟» قال الإمام (عليه السلام): «بلى و لكننى أتانى رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعد ما فارقتك و قال لى:

يا حسين، اخرج فإن الله شاء أن يراك قتيلًا»، فقال محمد: فما معنى حمل هؤلاء النساء و الأطفال، و أنت خارج على مثل هذا الحال؟ فأجابه الإمام (عليه السلام): «قد شاء الله أن يراهن سبايا»^{٣٠١}.

و لم يكن اصطحاب الحسين (عليه السلام) لعيالاته حالة غريبة على المجتمع العربى و الإسلامى، فقد كان العرب يصطحبون نساءهم فى الحروب و كذا فعل النبى (صلى الله عليه و اله) فى غزواته فقد كان يقرع بين نسائه، أما بالنسبة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) فإن اصطحابه لعائلته فى حركته إنما كان لأجل أن يكون وجودها معه بمثابة حجة قوية على المسلمين لنصرته، فمن تولى الحسين (عليه السلام) و يسعى لنصرته و الدفاع عنه فأولى له أن يدافع عنه و هو بين أهله. و إن اختلف مع الحسين (عليه السلام) فما ذنب عيالاته و هن بنات النبى (صلى الله عليه و اله) خاصة أن الخلاف بزعم الامويين إنما هو لأجل الخلافة.

٣- ذكر المؤرخون أن الإمام الحسين (عليه السلام) لما أراد الخروج من مكة ألقى خطابا فيها، جاء فيه: «خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، و ما أولهنى إلى أسلافى اشتياق يعقوب إلى يوسف، و خير لى مصرع أنا لاقيه، كأتى بأوصالى تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس و كربلاء، فيملأن منى أكراشا جوفاً و أجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، صبر على بلائه و يوقينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله (عليهم السلام) لحمته، و هى مجموعة له فى حظيرة القدس، تقرّبهم عينه، و ينجزهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته و موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا،

(١) اللهوف على قتلى الطفوف: ٢٧، و أعيان الشيعة: ١ / ٥٩٢، و بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٦٤.

ص: ١٧٥

فإنى راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى»^{٣٠٢}.

يبين الإمام الحسين (عليه السلام) فى هذه التصريحات أنه مصمم على عدم مبايعة يزيد؛ قياماً بتكليفه الإلهى، موضحاً سبب خروجه من مكة، مخبراً عن المصير الذى ينتظره و أهل بيته جميعاً، داعياً إلى الالتحاق به من كان موطناً على لقاء الله نفسه، معلناً أن الله تعالى قرن رضاه برضا أهل البيت (عليهم السلام).

خلاصة الثورة فى رسالة:

بوعى القائد الرسالى و الفدائى العظيم و الثائر من أجل العقيدة صمّ الإمام الحسين (عليه السلام) بحنكة و دراية المسير من مكة إلى العراق، بعد أن أوضح جانباً كبيراً من أهدافه و أسباب نهضته، و قد تطايرت أخباره إلى أرجاء العالم الإسلامى.

^{٣٠١} (١) اللهوف على قتلى الطفوف: ٢٧، و أعيان الشيعة: ١ / ٥٩٢، و بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٦٤.

^{٣٠٢} (١) إحقاق الحق: ١١ / ٥٩٨، و كشف الغمة: ٢ / ٢٠٤.

و كتب الإمام (عليه السلام) الى بنى هاشم في يثرب رسالة يدعوهم فيها إلى الفرصة الأخيرة لنصرة الإسلام و المبادئ و القيم الإلهية و التألق في سماء التضحية في الدنيا، و خلود الذكر الطيب و البقاء عنوانا للحقّ و العدل و الإباء و الفوز في أعلى درجات الجنة في الآخرة، فقد جاء فيها بعد البسملة:

«من الحسين بن عليّ إلى أخيه محمد و من قبله من بنى هاشم : أمّا بعد، فإِنَّه من لحق بي منكم استشهد، و من لم يلحق بي لم يدرك الفتح، و السلام»^{٣٠٣}.

ولمّا وردت رسالة الإمام (عليه السلام) الى بنى هاشم في يثرب، بادرت طائفة منهم إلى الالتحاق به ليفوزوا بالفتح و الشهادة بين يدي ريحانة رسول الله (صلى الله عليه و اله)^{٣٠٤}.

(١) إحقاق الحق: ٥٩٨ / ١١، و كشف الغمة: ٢ / ٢٠٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٧٦ / ٤، و بصائر الدرجات: ٤٨١، و دلائل الإمامة: ٧٧.

(٣) راجع تأريخ ابن عساكر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام).

ص: ١٧٦

ملاحقة السلطة للإمام (عليه السلام):

و لم يبعد الإمام (عليه السلام) كثيرا عن مكة حتى لاحقته مفرزة من الشرطة بقيادة يحيى بن سعيد، فقد بعثها و الى مكة عمرو بن سعيد لصدّ الإمام (عليه السلام) عن السفر، و جرت بينهما مناوشات حتى تدافع الفريقان و اضطربوا بالسيّاط و امتنع الحسين و أصحابه منهم امتناعا قويا^{٣٠٥}.

في التنعيم:

و مضى ركب الإمام الحسين (عليه السلام) لا يلوى على شيء، و في طريقهم بمنطقة التنعيم^{٣٠٦} صادفوا إبلا قد يمّمت وجهها شطر الشام و هي تحمل الهدايا ليزيد بن معاوية قادمة من اليمن، فاستأجر من أهلها جمالا لرحله و أصحابه و قال لأصحابها: من أحبّ أن ينطلق معنا إلى العراق و فيناه كراءه و أحسنّا صحبتته، و من أحبّ أن يفارقنا في بعض الطريق أعطيناه كراءه على ما قطع من الطريق، فمضى معه قوم و امتنع آخرون^{٣٠٧}.

في الصفاح:

^{٣٠٣} (٢) مناقب آل أبي طالب: ٧٦ / ٤، و بصائر الدرجات: ٤٨١، و دلائل الإمامة: ٧٧.

^{٣٠٤} (٣) راجع تأريخ ابن عساكر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام).

^{٣٠٥} (١) الإرشاد: ٦٨ / ٢.

^{٣٠٦} (٢) التنعيم: موضع بمكة في الحلّ يقع بين مكة و سرف على فرسخين من مكة، جاء ذلك في معجم البلدان:

٤٩ / ٢.

^{٣٠٧} (٣) الإرشاد: ٦٨ / ٢.

و واصل الإمام مسيره حتى وصل الصفاح^{٣٠٨} فالتقى الفرزدق الشاعر فسأله عن خبر الناس خلفه فقال الفرزدق : قلوبهم معك و السيوف مع بني امية،

(١) الإرشاد: ٢ / ٤٨.

(٢) التنعيم: موضع بمكة في الحلّ يقع بين مكة و سرف على فرسخين من مكة، جاء ذلك في معجم البلدان:

٢ / ٤٩.

(٣) الإرشاد: ٢ / ٤٨.

(٤) الصفاح: موضع بين حنين و أنصاب الحرم على يسرة الداخل الى مكة من مشاش ... جاء ذلك في معجم البلدان: ٣ / ٤١٢.

ص: ١٧٧

و القضاء ينزل من السماء . فقال أبو عبد الله (عليه السلام): صدقت، لله الأمر، و الله يفعل ما يشاء، و كلّ يوم ربنا هو في شلن، إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمد الله على نعمائه و هو المستعان على أداء الشكر، و إن حال القضاء دون الرجاء فلم يتعدّ من كان الحقّ نيته و التقوى سريره^{٣٠٩}.

ثمّ واصل الإمام (عليه السلام) مسيرته بعزم و ثبات، و لم يشته عن عزيمته قول الفرزدق في تخاذل الناس عنه و تجاوبهم مع الامويين.

كتاب الإمام (عليه السلام) لأهل الكوفة:

و لما وافى الإمام الحسين (عليه السلام) الحاجر من بطن ذى الرمة - و هو أحد منازل الحجّ من طريق البادية - كتب كتابا لشيعته من أهل الكوفة يعلمهم بالقدوم إليهم، و لم يكن (عليه السلام) قد وصله خبر ابن عقيل، هذا نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن على إلى إخوانه من المؤمنين و المسلمين:

سلام عليكم، فإننى أحمد اليكم الله الذى لا إله إلّا هو.

^{٣٠٨} (٤) الصفاح: موضع بين حنين و أنصاب الحرم على يسرة الداخل الى مكة من مشاش.. جاء ذلك في معجم البلدان: ٣ / 412.
^{٣٠٩} (١) مقتل الحسين للمقرّم: 203، البداية و النهاية، ابن كثير: 8 / 180، صفة مخرج الحسين (عليه السلام) الى العراق.

أمّا بعد، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا و الطلب بحقّنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت اليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضيّن من ذى الحجة يوم التروية،

(١) مقتل الحسين للمقرّم: ٢٠٣، البداية و النهاية، ابن كثير: ٨ / ١٨٠، صفة مخرج الحسين (عليه السلام) الى العراق.

ص: ١٧٨

فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا^{٣١٠} في أمركم و جدّوا، فإنّي قادم عليكم في أيّامى هذه، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته^{٣١١}.

و قد بعث (عليه السلام) الكتاب بيد قيس بن مسهر الصيداوى.

إجراءات الامويين:

سرى نبأ مسير الإمام (عليه السلام) نحو الكوفة بين الناس فاضطرب الموقف الاموى، و شعرت السلطات بالخوف و الحرج، و تحدّثت الركبان بأنباء النائر العظيم، فتناهى الخبر إلى عبيد الله بن زياد، فأعدّ رجاله و جنده، و وضع خطة لقطع الطريق أمام الحسين (عليه السلام) و الحيلولة دون وصوله إلى الكوفة، فبعث مدير شرطته الحصين بن نمير التميمي، مكلفاً إيّاه بتنفيذ المهمة، فاختر الحصين موقعا استراتيجيا يسيطر من خلاله على طريق مرور الإمام (عليه السلام)، فنزل بالقادسية و اتخذها مقراً لقيادته.

اعتقال الصيداوى و قتله:

انطلق قيس بن مسهر الصيداوى برسالة الإمام نحو الكوفة، و حينما وصل القادسية اعتقله الحصين بن نمير، فبعث به إلى عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله: إصعد فسبّ الكذاب الحسين بن علىّ، فصعد قيس فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: أيّها الناس، إنّ هذا الحسين بن علىّ خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و أنا رسوله اليكم، و قد فارقت في الحاجر فأجيبوه، ثم لعن عبيد الله بن زياد و أباه، و استغفر لعلىّ بن أبى طالب و صلّى عليه، فأمر عبيد الله

(١) انكمشوا: بمعنى أسرعوا.

(٢) الإرشاد: ٧٠ / ٢، و البداية و النهاية: ٨ / ١٨١، و بحار الأنوار: ٣٦٩ / ٤٤.

ص: ١٧٩

^{٣١٠} (١) انكمشوا: بمعنى أسرعوا.

^{٣١١} (٢) الإرشاد: ٧٠ / ٢، و البداية و النهاية: ٨ / ١٨١، و بحار الأنوار: ٣٦٩ / ٤٤.

أن يرمى به من فوق القصر، فرموا به فتقطع^{٣١٢}.

و روى: أنه وقع على الأرض مكتوفا فتكسرت عظامه و بقي به رمق، فجاء رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه، فقيل له في ذلك و عيب عليه، فقال: أردت أن اريحه.

مع زهير بن القين:

و انتهت قافلة الإمام الى «زرود» فأقام (عليه السلام) فيها بعض الوقت، و قد نزل بالقرب منه زهير بن القين البجلي و كان عثمانى الهوى، و قد حج بيت الله في تلك السنة، و كان يساير الإمام في طريقه و لا يحب أن ينزل معه مخافة اجتماع به إلا أنه اضطر إلى النزول قريبا منه، فبعث الإمام (عليه السلام) إليه رسولا يدعوه إليه، و كان زهير مع جماعته يتناولون الطعام، فأبلغه الرسول مقالة الحسين فذعر القوم و طرحوا ما في أيديهم من طعام، و كأن على رؤوسهم الطير، فقالت له امرأته: سبحان الله! أبيعك إليك ابن بنت رسول الله ثم لا تأتيه؟

لو أتيته فسمعت من كلامه ثم انصرفت . فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشرا قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه و ثقله و راحلته و متاعه، فقوض و حمل إلى الحسين (عليه السلام) ثم قال لامرأته: أنت طالق، إلحقى بأهلك، فلني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خير . و قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني و إلا فهو آخر العهد، إنني سأحدثكم حديثا : إننا غزونا البحر ففتح الله علينا و أصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسي رحمه الله عليه : أفرحتم بما فتح الله عليكم و أصبتم من الغنائم؟ قلنا: نعم، فقال: إذا أدركتم سيد شباب آل محمد فكونوا أشد فرحا بقتالكم معه مما أصبتم اليوم من الغنائم. فأما

(١) الإرشاد: ٧١ / ٢، و مثير الأحزان: ٤٢، و البداية و النهاية: ٨ / ١٨١.

ص: ١٨٠

أنا فاستودعكم الله. قالوا: ثم - و الله - مازال في القوم مع الحسين (عليه السلام) حتى قتل رحمه الله عليه^{٣١٣}.

أنباء الانتكاسة تتوارد على الإمام (عليه السلام):

ها هي الكوفة تضطرب و تموج، و الانتكاسة الخطيرة قد لاحت ملامحها، و بدأ ميزان القوى يميل لصالح السلطة الاموية، و الوهن بدأ يدبّ و الانحلال يسرى في أوساط المعارضة، و بدأ الإرهاب و التجسس و الرشوة تفعل فعلتها، فتلاشت المعارضة و نكص المبايعون، و قتل مسلم بن عقيل و هانيء بن عروة و قيس بن مسهر الصيداوى، و سجن المختار بن عبيدة الثقفي، و انقلبت أوضاع الكوفة على أعقابها.

و واصل الإمام الحسين (عليه السلام) المسير، و ليس لديه معلومات جديدة عن تطور الأحداث، فأرسل عبد الله بن يقطر إلى مسلم بن عقيل ليستجلى الموقف، إلا أن الحسين اخبر في الطريق في موضع يدعى «التعليبة» بانتكاسة الثورة و

^{٣١٢} (١) الإرشاد: 71 / 2، و مثير الأحزان: 42، و البداية و النهاية: 8 / 181.
^{٣١٣} (١) الإرشاد: 72 - 73، و الكامل في التاريخ: 3 / 177، و الأخبار الطوال: 246.

استشهاد مسلم بن عقيل، أمّا رسوله الثاني هذا إلى مسلم فقد وق ع أسيرا أيضا بيد جنود الحصين فنقل إلى ابن زياد في الكوفة، و كان كرسول الحسين (عليه السلام) السابق مثالا للصلابة والجرأة والإخلاص.

و وصل خبر أسر الرسول واستشهاده إلى الإمام (عليه السلام) في موضع يدعى «زباله» وهكذا راحت تتوارد على الإمام أنباء الانتكاسة، و لاحت له بوادر النكوص الخطير، و شعر بالخذلان و نقض العهد، فوقف في أصحابه و أهل بيته يبلغهم بما استجدّ من الحوادث، و يضع أمامهم الحقائق، ليكونوا على بصيرة من الأمر، فقال لهم : «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فإنّه قد أتانا خبر فظيع

(١) الإرشاد: ٧٢-٧٣، و الكامل في التاريخ: ١٧٧/٣، و الأخبار الطوال: ٢٤٦.

ص: ١٨١

قتل مسلم بن عقيل و هانىء بن عروه و عبد الله بن يقطر، و قد خذلنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فليصرف في غير حرج ليس معه ذمام».

فتفرّق الناس عنه و أخذوا يميناً و شمالاً، حتى بقى في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة و نفر يسير ممن انضموا إليه، و إنّما فعل ذلك لأنّه (عليه السلام) علم أنّ الأعراب الذين اتّبعوه إنّما اتّبعوه و هم يظنون أنّه يأتى بلداً قد استقامت له طاعة أهلها، فكره أن يسيروا معه إلّا و هم يعملون على ما يقدمون^{٣١٤}. فلمّا كان السحر أمر أصحابه فاستقوا ماء و أكثروا، ثم ساروا.

لقاء الإمام الحسين (عليه السلام) مع الحرّ:

و بينما كان الإمام (عليه السلام) يسير بمن بقى معه من أصحابه المخلصين و أهل بيته و بنى عمومته؛ إذا بهم يرون أشباحاً مقبلة من مسافات بعيدة، و ظلّها بعضهم أشباح نخيل، و لكن لم يكن الذى شاهدوه أشجار النخيل، و لكنّها جيوش زاحفة، فبعد قليل تبين لهم أنّ تلك الأشباح المقبلة عليهم هى ألف فارس من جند ابن زياد بقيادة الحرّ بن يزيد الرياحي، أرسلها ابن زياد لتقطع الطريق على الحسين (عليه السلام) و تسيرّه كما يريد، و لمّا اقتربوا من ركب الحسين (عليه السلام) سألهم عن المهمّة التى جاءوا من أجلها، فقال لهم الحرّ: لقد امرنا أن نلازمكم و نجعجع بكم حتى ننزلكم على غير ماء و لا حصن، أو تدخلوا فى حكم يزيد و عبيد الله بن زياد^{٣١٥}.

(١) الإرشاد: ٧٥-٧٦، و البداية و النهاية: ١٨٢/٨، و أعيان الشيعة: ٥٩٥/١.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/٣٠٥، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١/٢٢٩، و البداية و النهاية: ١٨٦/٨، و بحار الأنوار: ٤٤/٣٧٥.

^{٣١٤} (١) الإرشاد: ٧٥-٧٦، و البداية و النهاية: ١٨٢/٨، و أعيان الشيعة: ٥٩٥/١.

^{٣١٥} (٢) تاريخ الطبري: ٣/٣٠٥، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١/٢٢٩، و البداية و النهاية: ١٨٦/٨، و بحار الأنوار: ٤٤/٣٧٥.

و جرى حوار طويل بين الطرفين و جدال لم يتوصلا فيه الى نتيجة حاسمة ترضى الطرفين، فلقد أبى الحرّ أن يمكّن الحسين من الرجوع إلى الحجاز أو سلوك الطريق المؤدية إلى الكوفة، و أبى الحسين (عليه السلام) أن يستسلم ليزيد و ابن زياد^{٣١٦}، و كان ممّا قاله الحسين و هو واقف بينهم خطيبا : «أيّها الناس! إنّي لم آتكم حتى أتنزى كتبكم و قدمت علىّ رسلكم، أن أقدم علينا، فإنه ليس لنا إمام، لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى و الحقّ، فإن كنتم على ذلك فقد جئتمكم فأعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم و موثيقكم، و إن لم تفعلوا و كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم». فسكتوا عنه و لم يتكلّم أحد منهم بكلمة، فقال للحرّ : «أتريد أن تصلّي بأصحابك؟» قال: لا، بل تصلّي أنت و نصليّ بصلاتك، فصلّى بهم الحسين (عليه السلام)^{٣١٧}.

و بعد أن صلى الإمام (عليه السلام) بهم العصر خاطبهم بقوله : «أمّا بعد، فإنكم إن تتقوا الله و تعرفوا الحقّ لأهله تكونوا أرضى لله عنكم، و نحن أهل بيت محمد و أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم و السائرين فيكم بالجور و العدوان، و إن أبيتم إلّا الكراهية لنا و الجهل بحقنا، و كان رأيكم الآن غير ما أتنزى به كتبكم و قدمت به علىّ رسلكم انصرفت عنكم»^{٣١٨}، فقال له الحرّ: أنا و الله ما أدري ما هذه الكتب و الرسل التي تذكر، فقال الحسين (عليه السلام) لبعض أصحابه: «يا عقبة بن سميان، أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إلى» فأخرج خرجين مملوءين صحفا فنثرت بين يديه. فقال له الحرّ: إنّنا لسنا من هؤلاء الذين كتبنا إليك و قد أمرنا إذا نحن لقيناك إلّا

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٣٠٥، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ١/ ٢٢٩، البداية و النهاية: ٨/ ١٨٦، بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٧٥.

(٢) الإرشاد: ٢/ ٧٩، و الفتوح لابن أعثم: ٥/ ٨٥، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١/ ٥٩٦.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ٥/ ٨٧، و تاريخ الطبري: ٣/ ٢٠٦، و مقتل الحسين للخوارزمي: ١/ ٣٣٢.

نفارقتك حتى تقدمك الكوفة على عبيد الله.

فقال له الحسين (عليه السلام): «الموت أدنى إليك من ذلك» ثم قال لأصحابه:

«قوموا فاركبوا»، فركبوا و انظروا حتى ركبت نساؤهم، فقال لأصحابه:

^{٣١٦} (١) تاريخ الطبري: ٣/ 305، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ١/ 229، البداية و النهاية: ٨/ 186، بحار الأنوار: 44/ 375.

^{٣١٧} (٢) الإرشاد: 2/ 79، و الفتوح لابن أعثم: 5/ 85، و مقتل الحسين للخوارزمي: 1/ 596.

^{٣١٨} (٣) الفتوح لابن أعثم: 5/ 87، و تاريخ الطبري: 3/ 206، و مقتل الحسين للخوارزمي: 1/ 332.

«انصرفوا»، فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف، فقال الحسين (عليه السلام) للحرّ: «ثكلتك أمك ما تريد؟»، قال له الحرّ: أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمّه بالثكل كائنا من كان، ولكن والله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلّا بأحسن ما تقدر عليه^{٣١٩}.

النزول في أرض الميعاد:

أقلقت الأخبار عن تقدّم الإمام الحسين (عليه السلام) نحو الكوفة ابن زياد وأعوان السلطة الأموية، فأسرع بكتابه إلى الحرّ بن يزيد الرياحي يطلب فيه أن لا يسمح بتقدّم الإمام حتى تلتحق به جيوش بني أمية و تلتقى به بعيدا عن الكوفة خشية أن يستنهض أهلها ثانية، و ليستغل ابن زياد ظروف المنطقة الصعبة للضغط على الإمام (عليه السلام) و استسلامه.

و بغياء المنحرف الساذج و جهالته ردّ حامل كتاب ابن زياد على أحد أصحاب الحسين (عليه السلام) - يزيد بن مهاجر - مدافعا عمّا جاء به قائلا : أطعت إمامي و وفيت ببيعتي، فقال له ابن مهاجر : بل عصيت ربك و أطعت إمامك في هلاك نفسك و كسبت العار و النار، و بسّ الإمام إمامك، قال الله تعالى:

(١) الإرشاد: ٨٠ / ٢، تاريخ الطبري: ٣٠٦ / ٣.

ص: ١٨٤

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ^{٣٢٠}.

و حالت جنود ابن زياد قافلة الإمام الحسين (عليه السلام) دون الاستمرار في المسير، فقد منعهم جيش الحرّ بن يزيد و أصروا على أن يدفعوا الإمام (عليه السلام) نحو عراء لا خضرة فيها و لا ماء.

و كان زهير بن القين متحمّسا لقتال جيش الحرّ قبل أن يأتيهم المدد من قوات بني أمية، فقال للحسين (عليه السلام): «إنّ قتالهم الآن أيسر علينا عن قتال غيرهم»، و لكنّ الإمام (عليه السلام) رفض هذا الرأي لأنّ القوم لم يعلنوا حربا عليه بعد، و ما كان ذلك الموقف النبيل إلّا لما كان يحمله الإمام من روح تتسع للامة جمعاء، و أيضا لعظيم رسالته التي يدافع عنها و قيمه التي كان يسعى الى بنائها في الامة رغم أنّها بدت تظهر العداء سافرا ضده، فقال (عليه السلام): «ما كنت لأبدأهم بقتال».

و كان نزول الإمام في كربلاء في يوم الخميس الثاني من محرم سنة إحدى و ستين^{٣٢١}، ثم اقترح زهير على الإمام (عليه السلام) أن يلجأوا الى منطقة قريبة يبدو فيها بعض ملامح التحصين لمواجهة الجيش الاموي لو نشبت المعركة.

^{٣١٩} (١) الإرشاد: 80 / 2، تاريخ الطبري: 306 / 3.

^{٣٢٠} (١) القصص (28): 41.

^{٣٢١} (2) تاريخ الطبري: 309 / 3، و معجم البلدان: 4 / 444، و إعلام الوري: 1 / 451، و الأخبار الطوال: 252، و بحار الأنوار: 44 / 380.

و سأل الإمام (عليه السلام) عن اسم هذه المنطقة ف قيل له : كربلاء، عندها دمت عيناه و هو يقول : «اللهم أعوذ بك من الكرب و البلاء»، ثم قال: «ذات كرب و بلاء، و لقد مرّ أبى بهذا المكان عند مسيره الى صفّين و أنا معه فوقف، فسأل عنه فاخبر باسمه فقال: هاهنا محطّ ركابهم، و هاهنا مهراق دمائهم، فسرّيل عن ذلك فقال: ثقل لآل بيت محمد

(١) القصص (٢٨): ٤١.

(٢) تاريخ الطبري: ٣ / ٣٠٩، و معجم البلدان: ٤ / ٤٤٤، و إعلام الوري: ١ / ٤٥١، و الأخبار الطوال: ٢٥٢، و بحار الأنوار: ٣٨٠ / ٤٤.

ص: ١٨٥

ينزلون هاهنا»^{٣٢٢}.

و قبض الإمام الحسين (عليه السلام) قبضة من ترابها فشمّها و قال : «هذه و الله هي الأرض التي أخبر بها جبرئيل رسول الله أننى اقتل فيها، أخبرتنى ام سلمة»^{٣٢٣}.

فأمر الإمام (عليه السلام) بالنزول و نصب الخيام إلى حين يتّضح الأمر و يتّخذ القرار النهائى لمسيرته.

جيش الكوفة ينطلق بقيادة عمر بن سعد:

و فى تلك الأثناء خرج عمر بن سعد من الكوفة فى جيش قدرّته بعض المصادر بثلاثين ألفا، و بعضها بأكثر من ذلك، و فى رواية ثالثة: إنّ ابن زياد قد استنفر الكوفة و ضواحيها لحرب الحسين و توعّد كلّ من يقدر على حمل السلاح بالقتل و الحبس إن لم يخرج لحرب الحسين.

و كان من نتائج ذلك أن امتلأت السجون بالشيعة و اختفى منهم جماعة، و خرج من خرج لحرب الحسين من أنصار الامويين و أهل الأطماع و المصالح الذين كانوا يشكّلون أكبر عدد فى الكوفة، أمّا رواية الخمسة آلاف مقاتل التي تنبّأها بعض المؤرّخين فمع أنّها من المراسيل، لا تؤيّدّها الظروف و الملابس التي تحيط بحادث من هذا النوع الذي لا يمكن لأحد أن يقدم عليه إلّا بعد أن يعدّ العدة لكلّ الاحتمالات، و يتّخذ جميع الاحتياطات، و بخاصة إذا كان خبيراً بأهل الكوفة و تقلّباتهم و عدم ثباتهم

(١) مجمع الزوائد: ٩ / ١٩٢، و الأخبار الطوال: ٢٥٣، و حياة الحيوان للدميري: ١ / ٦٠.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٦٠، و نفس المهموم: ٢٠٥، و ناسخ التواريخ: ٢ / ١٦٨، و ينابيع المودة: ٤٠٦.

^{٣٢٢} (١) مجمع الزوائد: ٩ / 192، و الأخبار الطوال: 253، و حياة الحيوان للدميري: 1 / 60.
^{٣٢٣} (٢) تذكرة الخواص: 260، و نفس المهموم: 205، و ناسخ التواريخ: 2 / 168، و ينابيع المودة: 406.

على أمر من الأمور^{٣٢٤}.

و توالى قطعات الجيش الأموي بزعماء عمر بن سعد فأحاطت بالحسين (عليه السلام) وأهله وأصحابه، وحالت بينهم وبين ماء الفرات القريب منهم.

وقد جرت مفاوضات محدودة بين عمر بن سعد والإمام الحسين (عليه السلام) أوضح فيها الإمام (عليه السلام) لهم عن موقفه وموقفهم ودعوتهم له، وألقى عليهم كل الحجج في سبيل إظهار الحق، وبيّن لهم سوء فعلهم هذا وغدرهم ونقضهم للوعود التي وعدوه بها من نصرته وتأييده، وضرورة القضاء على الفساد.

ولكن عمر بن سعد كان أداة الشر المنفذة للفساد والظلم الأموي، فكانت غاية همته هي تنفيذ أوامر ابن زياد بانتزاع البيعة من الإمام (عليه السلام) ليزيد أو قتله وأهل بيته وأصحابه^{٣٢٥}، متجاهلاً حرمة البيت النبوي بل وحاقدًا عليه كما جاء في رسالته لعمر: أن حل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، فلا يذوقوا قطرة كما صنع بالتقى الزكي عثمان بن عفان^{٣٢٦}.

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر القسم الثاني: ٦٨.

(٢) الارشاد للمفيد: ٨٥ / ٢، الفتوح: ٩٧ / ٥، بحار الأنوار: ٢٨٤ / ٤٤، إعلام الوري: ١ / ٤٥١، البداية والنهاية: ٨ / ١٨٩، مقتل الحسين للخوارزمي: ١ / ٢٤٥.

(٣) إعلام الوري: ١ / ٤٥٢.

البحث السادس: ماذا جرى في كربلاء؟

ليلة عاشوراء:

نهض عمر بن سعد إلى الحسين (عليه السلام) عشية يوم الخميس لتسع مضيّن من المحرم، وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين (عليه السلام) فقال: أين بنو اختنا؟ يعنى العباس وجعفر وعبد الله وعثمان أبناء عليّ (عليه السلام). فقال الحسين (عليه السلام): أجيبوه وإن كان فاسقاً فإنه بعض أخواكم؛ وذلك أنّ أمّهم أمّ البنين كانت من بنى كلاب وشمر بن ذى الجوشن من بنى كلاب أيضاً.

^{٣٢٤} (١) سيرة الأئمة الاثني عشر القسم الثاني: 68.

^{٣٢٥} (٢) الارشاد للمفيد: 85 / 2، الفتوح: 97 / 5، بحار الأنوار: 284 / 44، إعلام الوري: 1 / 451، البداية والنهاية: 8 / 189، مقتل الحسين للخوارزمي: 1 / 245.

^{٣٢٦} (٣) إعلام الوري: 1 / 452.

فقالوا له: ما تريد؟ فقال لهم: أنتم يا بني اختي آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين و الزموا طاعة يزيد . فقالوا له: لعنك الله و لعن أمانك! أتؤمننا و ابن رسول الله لا أمان له؟

و ناداه العباس بن أمير المؤمنين تبّت يداك و لعن ما جئتنا به من أمانك يا عدو الله ! أتأمرنا أن نترك أخانا و سيّدنا الحسين بن فاطمة و ندخل في طاعة اللعناء و أولاد اللعناء؟!

ثم نادى عمر بن سعد يا خيل الله ! اركبي و بالجنة أبشري . فركب الناس ثم زحف ابن سعد نحوهم بعد العصر و الحسين (عليه السلام) جالس أمام بيته محتب بسيفه، إذ خفق برأسه على ركبتيه، فسمعت اخته زينب الصبيحة، فدنت من أخيها و قالت: يا أخي! أما تسمع هذه الأصوات قد اقتربت؟ فرفع الحسين (عليه السلام) رأسه فقال: إني رأيت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) الساعة في المنام فقال إنك تروح إلينا، فلطمت اخته وجهها، و نادت بالويل، فقال لها الحسين (عليه السلام): ليس لك الويل، يا أختي اسكتي، رحمك الله.

ص: ١٨٨

و قال له العباس : يا أخي أتاك القوم فنهض ثم قال : يا عباس اركب - بنفسى يا أخى - أنت حتى تلقاهم و تقول لهم : ما بالكم و ما بدا لكم؟ و تسألهم عما جاء بهم؟ فأتاهم فى نحو من عشرين فارسا منهم زهير بن القين و حبيب بن مظاهر فسألهم فقالوا: قد جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم، قال : فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبى عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم، فوقفوا و رجع العباس إليه بالخبر و وقف أصحابه يخاطبون القوم و يعظونهم و يكفونهم عن قتال الحسين (عليه السلام).

فلما أخبره العباس بقولهم قال له : ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة و تدفعهم عنّا العشيّة لعنّا نصلّى لرّبنا اللّيلة و ندعوه و نستغفره فهو يعلم أنى كنت أحبّ الصلاة له و تلاوة كتابه و كثرة الدعاء و الاستغفار .

فسألهم العباس ذلك، فتوقف ابن سعد، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدى: سبحان الله! و الله لو أنّهم من الترك أو الديلم و سألونا مثل ذلك لأجبناهم، فكيف و هم آل محمد؟! و قال له قيس بن الأشعث بن قيس:

أجبههم، لعمري ليصبحنك بالقتال. فأجابوهم إلى ذلك.

و جمع الحسين (عليه السلام) أصحابه عند قرب المساء . قال الإمام زين العابدين (عليه السلام): فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم و أنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبى يقول لأصحابه : اثنى على الله أحسن الثناء و أحمده على السراء و الضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة و علّمتنا القرآن و فقّهتنا فى الدين، و جعلت لنا أسماعا و أبصارا و أفئدة فاجعلنا لك من الشاكرين.

(أمّا بعد) فإنى لا أعلم أصحابا أوفى و لا خيرا من أصحابى و لا أهل بيت أبرّ و لا أوصل من أهل بيتى، فجزاكم الله عنى خيرا ألا و إني لأظنّ أنه آخر يوم لنا من هؤلاء ألا و إني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا فى حلّ ليس عليكم منى ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه

جملاً، و ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي و تفرّقوا في سواد هذا الليل و ذروني و هؤلاء القوم؛ فإنّهم لا يريدون غيري.

فقال له اخوته و أبناؤه و بنو أخيه و أبناء عبد الله بن جعفر : و لم نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبدا . بدأهم بهذا القول أخوه العباس بن أمير المؤمنين و اتبعه الجماعة عليه فتكلموا بمثله و نحوه.

ثم نظر إلى بني عقيل فقال: حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم إذهبوا قد أذنت لكم، قالوا : سبحان الله! فما يقول الناس لنا و ما نقول لهم، إنّنا تركنا شيخنا و سيّدنا و بني عمومنا خير الأعمام و لم نرم معهم بسهم و لم نطعن معهم برمح و لم نضرب معهم بسيف و لا ندرى ما صنعوا، لا و الله ما نفعل ذلك و لكنّا نفديك بأنفسنا و أموالنا و أهلينا و نقاتل معك حتى نرد موردك، ففتح الله العيش بعدك.

و قام إليه مسلم بن عوسجة الأسدى فقال : أنحن نخلى عنك و قد أحاط بك هذا العدو؟ و بم نعتذر إلى الله فى أداء حقك؟ لا و الله لا يرانى الله أبدا و أنا أفعل ذلك حتى أكسر فى صدورهم رمحي و أضرهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، و لو لم يكن معي سلاح اقاتلهم به؛ لقدفتهم بالحجارة و لم افارقك أو أموت معك.

و قام سعيد بن عبد الله الحنفى فقال : لا و الله يا ابن رسول الله لا نخليك أبدا حتّى يعلم الله أنّا قد حفظنا فيك وصيّة رسوله محمّد (صلّى الله عليه و اله) و الله لو علمت أنى اقتل فيك ثم أحيا ثم اذرى يفعل ذلك بى سبعين مرّة؛ ما فارقتك حتى ألقى حمامى دونك، و كيف لا أفعل ذلك و إنّما هى قتلة واحدة ثمّ أنال الكرامة التى لا انتضاء لها أبدا.

و قام زهير بن القين و قال: و الله يا ابن رسول الله لوددت أنى قتلت ثم

نشرت ألف مرّة و أنّ الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك و عن نفس هؤلاء الفتیان من إخوانك و ولدك و أهل بيتك.

و تكلم بقيّة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا و قالوا : أنفسنا لك الفداء نقيك بأيدينا و وجوهنا، فإذا نحن قتلنا بين يديك نكون قد وفينا لرّبنا و قضينا ما علينا^{٣٢٨}.

^{٣٢٧} گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 هـ.ق.

^{٣٢٨} (1) الإرشاد: 93/2.

و أمر الحسين (عليه السلام) أصحابه أن يقربوا بين بيوتهم، و يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، و يكونوا بين يدي البيوت كي يستقبلوا القوم من وجه واحد و البيوت من ورائهم و عن أيما نهم و عن شمائلهم قد حفت بهم إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم.

و قام الحسين (عليه السلام) و أصحابه الليل كله يصلون و يستغفرون و يدعون، و باتوا و لهم دوى كدوى النحل ما بين راع و ساجد و قائم و قاعد، فعبر إليهم في تلك الليلة من عسكر ابن سعد اثنان و ثلاثون رجلا.

قال بعض أصحاب الحسين (عليه السلام): مرّت بنا خيل لابن سعد تحرسنا و كان الحسين (عليه السلام) يقرأ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**، ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب فسمعها رجل من تلك الخيل يقال له عبد الله بن سمير فقال : نحن و ربّ الكعبة الطيبون ميزنا منكم، فقال له برير بن خضير:

يا فاسق أنت يجع لك الله من الطيبين؟ ! فقال له: من أنت و بك؟ قال : أنا برير بن خضير فتسابا، فلما كان وقت السحر خفق الحسين (عليه السلام) برأسه خفقة ثم استيقظ فقال : «رأيت كأنّ كلابا قد جهدت تنهشنى و فيها كلب أبقع رأيتَه أشدها علىّ و أظنّ أنّ الذى يتولّى قتلى رجل أبرص»^{٣٢٩}.

(١) الإرشاد: ٩٣ / ٢.

(٢) راجع أعيان الشيعة: ٦٠١ / ١.

ص: ١٩١

يوم عاشوراء:

انقضت ليلة الهدنة، و طلع ذلك اليوم الرهيب، يوم عاشوراء، يوم الدم و الجهاد و الشهادة، و طلعت معه رؤوس الأسنة و الرماح و الأحقاد و هى مشرعة لتلتهم جسد الحسين (عليه السلام) و تفتك بدعاة الحق و الثوار من أجل الرسالة و المبدأ.

نظر الحسين (عليه السلام) إلى الجيش الزاحف، و لم يزل (عليه السلام) كالطود الشامخ، قد اطمأنت نفسه، و هانت دنيا الباطل فى عينه، و تصاغر جيش الباطل أمامه، و رفع يديه متضرعا إلى الله تعالى قائلا: «اللهم أنت ثقتى فى كل كرب، و أنت رجائى فى كل شدة» و أنت لى فى كل أمر نزل بى ثقة و عدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد و تقلّ فيه الحيلة و يخذل فيه الصديق و يشمت فيه العدو، أنزلته بك و شكوته إليك، رغبة منى إليك عمّن سواك ففرّجته عنى و كشفتته فأنت ولى كلّ نعمة و صاحب كل حسنة و منتهى كل رغبة^{٣٣٠}.

خطاب الإمام (عليه السلام) فى جيش الكوفة:

^{٣٢٩} (٢) راجع أعيان الشيعة: 601 / 1.

^{٣٣٠} (١) الإرشاد: 96 / 2.

أخذ جيش عمر بن سعد يشدد الحصار على الإمام (عليه السلام) و لما رأى الحسين (عليه السلام) كثرتهم و تصميمهم على قتاله إذا لم يستسلم ليزيد بن معاوية، تعمم بعمامة رسول الله (صلى الله عليه و اله) و ركب ناقته و أخذ سلاحه ثم دنا من معسكرهم بحيث يسمعون صوته و راح يقول: «يا أهل العراق - و جلهم يسمعون -» فقال:

أيها الناس اسمعوا قولي و لا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم على و حتى أعذر إليكم فإن أعطيتهموني النصف كنتم بذلك أسعد، و إن لم تعطوني النصف من أنفسكم فاجمعوا رأيكم

(١) الإرشاد: ٩٦ / ٢.

ص: ١٩٢

ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم افضوا الي و لا تتظرون (إن ولي الله الذي أنزل الكتاب و هو يتولى الصالحين)، ثم حمد الله و أثنى عليه و ذكر الله تعالى بما هو أهله و صلى على النبي (صلى الله عليه و اله) و على ملائكته و أنبيائه فلم يسمع متكلم قط قبله و لا بعده أبلغ في منطق منه « ثم قال: «أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم و عاتبوا فانظروا هل يصلح لكم قتلى و انتهاك حرمتي؟ ألسن ابن بن ت نبيكم و ابن وصيه و ابن عمه و أول المؤمنين المصدق لرسول الله (صلى الله عليه و اله) بما جاء به من عند ربه؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عمي؟ أو ليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي؟ أو لم يبلغكم ما قال رسول الله (صلى الله عليه و اله) لى و لأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدقتموني بما أقول - و هو الحق - فو الله ما تعمدت كذبا منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، و إن كذبتهموني فإن فيكم من إذا سألتهموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري و أبا سعيد الخدرى و سهل بن سعد الساعدي و زيد بن أرقم و أنس بن مالك يخبركم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله (صلى الله عليه و اله) لى و لأخي، أما فى هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟ ... ثم قال لهم الإمام الحسين (عليه السلام): «فإن كنتم فى شك من هذا فتشككون أنى ابن بنت نبيكم فو الله ليس ما بين المشرق و المغرب ابن بنت نبي غيرى فيكم و لا فى غيركم. و يحكم! أتطلبوننى بقتيل منكم قتلته أو مال لكم استهلكته أو بقصاص جراحة؟ فأخذوا لا يكلمونه، فنادى : يا شيث بن ربعى! و يا حجار بن أبجر! و يا قيس بن الأشعث! و يا يزيد بن الحارث! ألم تكتبوا الى أن قد أينعت الثمار و اخضر ال جناب و إنما تقدم على جند لك مجندة؟» فقال له قيس بن الأشعث: ما ندرى ما تقول، و لكن انزل على حكم بنى عمك . فقال له الحسين (عليه السلام): «لا و الله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل و لا أفر فرار العبيد». ثم نادى:

«يا عباد الله! إني عذت بربى و ربكم أن ترجمون، أعوذ بربى و ربكم من كل متكبر

ص: ١٩٣

لا يؤمن بيوم الحساب»^{٣٣١}.

لقد أبى القوم إلّا الإصرار على حربته و التمدادى فى باطلهم، و أجابوه بمثل ما أجاب به أهل مدين نبيهم كما حكى الله عز و جل عنهم فى كتابه الكريم: مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ، وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا^{٣٣٢}.

^{٣٣١} (١) الإرشاد: 98 / 2، إعلام الورى: 459 / 1.

الحر يخيّر نفسه بين الجنة و النار:

و تأثر الحر بن يزيد الرياحي بكلمات الإمام الحسين (عليه السلام) و ندم على ما سبق منه معه، و راح يدنو بفرسه من معسكر الحسين تارة و يعود الى موقفه أخرى و بدا عليه القلق و الاضطراب. و عند ما سئل عن السبب في ذلك قال:

«و الله إنى أخير نفسي بين الجنة و النار و بين الدنيا و الآخرة و لا ينبغي لعاقل أن يختار على الآخرة و الجنة شيئا»، ثم ضرب فرسه و التحق بالحسين (عليه السلام) و وقف على باب فسطاطه، فخرج إليه الحسين (عليه السلام) فانكبّ عليه الحرّ يقبل يديه و يسأله العفو و الصفح، فقال له الحسين (عليه السلام): «نعم يتوب الله عليك و هو التّواب الرحيم». فقال له الحر: و الله لا أرى لنفسي توبة إلّا بالقتال بين يديك حتى أموت دونك. و خطب الحر في أهل الكوفة فوعظهم و ذكرهم موقفهم من الإمام (عليه السلام) و دعوتهم له و حثهم على عدم مقاتلة الإمام (عليه السلام) ثم مضى إلى الحرب فتحاماه الناس، ثم تكاثروا عليه حتى استشهد^{٣٣٣}.

المعركة الخالدة:

حصّن الإمام (عليه السلام) مخيمه و أحاط ظهره بخندق أو قد فيه النار

(١) الإرشاد: ٩٨ / ٢، إعلام الوري: ١ / ٤٥٩.

(٢) هود (١١): ٩١.

(٣) الإرشاد: ٩٩ / ٢، الفتوح: ١١٣ / ٥، بحار الأنوار: ١٥ / ٥.

ص: ١٩٤

ليمنع المباغتة و الالتفاف عليه من الخلف، و ليحمي النساء و الأطفال من العدوان المحقق.

نظر شمر بن ذى الجوشن إلى النار في الخندق فصاح: «يا حسين تعجّلت النار قبل يوم القيامة، فرد عليه أنت أولى بها صلياً»^{٣٣٤}، و حاول صاحب الحسين (عليه السلام) مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم، فاعترضه الإمام و منعه قائلا: «لا ترمه فإنني أكره أن أبدأهم»^{٣٣٥}.

و يقول المؤرخون: إن بعض أصحاب الإمام خطب بالقوم بعد خطبة الإمام الاولى، و أنّ الإمام (عليه السلام) أخذ مصحفا و نشره على رأسه و وقف بإزاء القوم فخاطبهم للمرة الثانية بقوله: يا قوم! إنّ بيني و بينكم كتاب الله و سنّة جدّي رسول الله (صلّى الله عليه و اله) ثم استشهدهم عن نفسه المقدسة و ما عليه من سيف النبي صلّى الله عليه و اله و درعه و عمامته فأجابوه بالتصديق فسألهم عمّا أقدمهم على قتله، قالوا: طاعة للأمير عبيد الله ابن زياد، فقال (عليه السلام): «تبا لكم أيّتها

^{٣٣٢} (٢) هود (١١): ٩١.

^{٣٣٣} (٣) الإرشاد: ٩٩ / ٢، الفتوح: ١١٣ / ٥، بحار الأنوار: ١٥ / ٥.

^{٣٣٤} (١) مقتل الحسين، للمقرم: ٢٧٧.

^{٣٣٥} (٢) مقتل الحسين، للمقرم: ٢٧٧، تاريخ الطبري: ٣ / ٣١٨.

الجماعة و ترحا أحين استصرختمونا^{٣٣٦} والهين فأصرخناكم موجفين، سلّتم علينا سيفا لنا في أيماكم، و حششتم علينا نارا اقتدحناها على عدوّنا و عدوكم فأصبحتم إلّبا^{٣٣٧} لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم و لا أمل أصبح لكم فيهم، فهلّا- لكم الويلات - تركتمونا و السيف مشيم و الجأش طامن و الرأي لمّا يستحصف ! و لكن أسرعتم إليها كطيرة الدّبا^{٣٣٨}، و تداعيتهم عليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها فسحقا لكم يا عبيد الأُمّة و شذاذ الأحزاب و نبذة الكتاب و محرّفي الكلم و عصبه الإثم و نفثة الشيطان و مطفئي السنن، ويحكم! أ هؤلاء تعضدون و عنا تتخاذلون؟ أجل! والله

(١) مقتل الحسين، للمقرم: ٢٧٧.

(٢) مقتل الحسين، للمقرم: ٢٧٧، تاريخ الطبري: ٣ / ٣١٨.

(٣) استصرختمونا: طلبتم نجدتنا.

(٤) إلّبا: مجتمعين متضامين ضدنا.

(٥) الدّبا: الجراد الصغير.

ص: ١٩٥

غدر فيكم قديم، و شجت عليه اصولكم و تأزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمر، شجى للناظر و أكلة للغا صب. ألا و إن الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين بين السّلة و الذّلة. و هيهات منا الذّلة! يأبى الله لنا ذلك و رسوله و المؤمنون، و حجور طابت و طهرت و انوف حمية و نفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللّثام على مصارع الكرام. ألا و إني زاحف بهذه الاسرة على قلة العدد و خذلان الناصر. ثم أنشد أبيات فروة بن مسيكة المرادي:

فان نهزم فهزامون قدما و إن نهزم فغير مهزّميننا

و ما إن طَبْنَا جبن و لكن منايانا و دولة آخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

إذا ما الموت رفع عن اناس كلاكله أناخ بآخرينا^{٣٣٩}

^{٣٣٦} (٣) استصرختمونا: طلبتم نجدتنا.

^{٣٣٧} (٤) إلّبا: مجتمعين متضامين ضدنا.

^{٣٣٨} (٥) الدّبا: الجراد الصغير.

^{٣٣٩} (١) تاريخ ابن عساكر: 69 / 265، اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس: 59 و 124.

أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرّحى، و تقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إلى أبي عن جدى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَ لَا تَنْظُرُونَ^{٣٤٠} إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَ رَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^{٣٤١}. ثم رفع يديه نحو السماء و قال : «اللهم احبس عنهم قطر السماء و ابعث عليهم سنين كسنى يوسف و سلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأسا مصبرة، فإنهم كذبونا و خذلونا و أنت ربنا عليك توكلنا و إليك المصير»^{٣٤٢}.

كل ذلك و عمر بن سعد مصرّ على قتال الحسين (عليه السلام)، و الإمام الحسين (عليه السلام) يحاور و ينصح و يدفع القوم بالنّتي هي أحسن. و لما لم يجد النصح مجديا قال لابن سعد : «أى عمر أترعم أنك تقتلنى و يوليک الدعى بلاد الرى و جرجان؟

(١) تاريخ ابن عساکر: ٢٦٥ / ٦٩، اللهوف فى قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٥٩ و ١٢٤.

(٢ و ٣) يونس (١٠): ٧١ و هود (١١): ٥٦.

(٤) مقتل الحسين، للمقرم: ص ٢٨٩ - ٢٨٦، مقتل الحسين للخوارزمي: ٦ / ٢، تاريخ ابن عساکر، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢١٦، راجع إعلام الوری: ١ / ٤٥٨.

ص: ١٩٦

و الله لا تنهأ بذلك، عهد معهود، فاصنع ما أنت صانع، فإنک لا تفرح بعدى بدنیا و لا آخرة، و كأنى برأسک على قصبه يتراماه الصبيان بالكوفة و يتخذونه غرضا بينهم» فصرف ابن سعد وجهه عنه مغضبا^{٣٤٣}.

و استحوذ الشيطان على ابن سعد فوضع سهمه فى كبد قوسه ثم رمى باتجاه معسكر الحسين (عليه السلام) و قال: «إشهدوا أنى أول من رمى» ثم ارتمى الناس و تبارزوا^{٣٤٤}.

فخطب الإمام (عليه السلام) أصحابه قائلا: «قوموا رحمکم الله إلى الموت الذى لا بد منه، فإن هذه السهام رسل القوم اليکم»^{٣٤٥}.

فتوجهوا إلى القتال كالأسود الضارية لا يبالون بالموت مستبشرين بلقاء الله جل جلاله، و كأنهم رأوا منازلهم مع النبيين و الصديقين و عباده الصالحين، و كان لا يقتل منهم أحد حتى يقول: السلام عليك يا أبا عبد الله و يوصى أصحابه بأن يفدوا

^{٣٤٠} (٢ و ٣) يونس (١٠): ٧١ و هود (١١): ٥٦.

^{٣٤١} (٢ و ٣) يونس (١٠): ٧١ و هود (١١): ٥٦.

^{٣٤٢} (٤) مقتل الحسين، للمقرم: ص ٢٨٩ - ٢٨٦، مقتل الحسين للخوارزمي: ٦ / ٢، تاريخ ابن عساکر، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام): ٢١٦، راجع إعلام الوری: ١ / ٤٥٨.

^{٣٤٣} (١) مقتل الحسين للمقرم: ٢٨٩.

^{٣٤٤} (٢) الإرشاد: ١٠١ / ٢، اللهوف: ١٠٠، إعلام الوری: ١ / ٤٦١.

^{٣٤٥} (٣) مقتل الحسين للمقرم: ٢٩٢.

الإمام بالمهيج والأرواح، واحتدمت المعركة بين الطرفين، (فكان لا يقتل الرجل من أنصار الحسين (عليه السلام) حتى يقتل العشرة والعشرين)^{٣٤٦}.

استمرت رحى الحرب تدور في ساحة كربلاء، واستمر معه شلال الدم المقدس يجرى ليتخذ طريقه عبر نهر الخلود، وأصحاب الحسين (عليه السلام) يتساقطون الواحد تلو الآخر، وقد أثنوا جيش العدو بالجراح وأرهقوه بالقتل، فتصايح رجال عمر بن سعد: لو استمرت الحرب برازا بيننا وبينهم لأتوا على آخرنا. لنهجم عليهم مرة واحدة، ولنرشقهم بالنبال والحجارة.

(١) مقتل الحسين للمقرم: ٢٨٩.

(٢) الإرشاد: ١٠١ / ٢، اللهوف: ١٠٠، إعلام الوري: ١ / ١٠٤٦.

(٣) مقتل الحسين للمقرم: ٢٩٢.

(٤) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٧٦ / ٢.

ص: ١٩٧

فبدأ الهجوم والزحف نحو من بقي مع الحسين (عليه السلام) وأحاطوا بهم من جهات متعددة مستخدمين كل أدوات القتل وأساليبه الدنيئة حتى قتلوا أكثر جنود المعسكر الحسيني من الصحابة.

وزالت الشمس وحضر وقت الصلاة، وها هو الحسين (عليه السلام) ينادي للصلاة وقد تحول الميدان عنده محراباً للجهاد والعبادة، ولم يكن في مقدور السيوف والأسنة أن تحول بينه وبين الحضور في ساحة المناجاة والعروج إلى حظائر القدس وعوالم الجمال والجلال.

ولم يزل يتقدم رجل رجل من أصحابه فيقتل، حتى لم يبق مع الحسين (عليه السلام) إلا أهل بيته خاصة. فتقدم ابنه علي بن الحسين (عليه السلام) - و أمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي - وكان من أصبح الناس وجهاً، فشد على الناس وهو يقول:

نحن وبيت الله أولى بالنبي

أنا علي بن الحسين بن علي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

^{٣٤٦} (٤) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٧٦ / ٢.

فَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا وَأَهْلَ الْكُوفَةِ يَتَّقُونَ قَتْلَهُ، فَبَصَرَ بِهِ مَرَّةً بَنُ مَنَقْدَ الْعَبْدِيِّ فَقَالَ: عَلَى آثَامِ الْعَرَبِ إِنْ مَرَّ بِي يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ إِنْ لَمْ أَتَّكِلْ أَبَاهُ؛ فَمَرَّ يَشُدُّ عَلَى النَّاسِ كَمَا مَرَّ فِي الْأَوَّلِ، فَاعْتَرَضَهُ مَرَّةً بَنُ مَنَقْدَ فَطَعَنَهُ فَصَرَ، وَاحْتَوْشَهُ الْقَوْمُ فَقَطَّعُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ، فَجَاءَ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ:

«قَتَلَ اللَّهُ قَوْمًا قَتَلُواكَ يَا بَنِيَّ، مَا أَجْرَاهُمْ عَلَى الرَّحْمَنِ وَ عَلَى إِنْتِهَآكِ حَرَمَةَ الرَّسُولِ !» وَ انْهَمَلَتْ عَيْنَاهُ بِالدَّمْعِ ثُمَّ قَالَ : «عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ الْعَفَا» وَ خَرَجَتْ زَيْنَبُ أُخْتُ الْحُسَيْنِ مُسْرِعَةً تَنَادَى : يَا أُخْيَاهُ وَ ابْنَ أُخْيَاهُ، وَ جَاءَتْ حَتَّى أَكْبَتَتْ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ الْحُسَيْنُ بِرَأْسِهَا فَزَادَهَا إِلَى الْفُسْطَاطِ، وَ أَمَرَ فِتْيَانَهُ فَقَالَ: «أَحْمِلُوا أَحَاكُم» فَحَمَلُوهُ حَتَّى وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيِ الْفُسْطَاطِ الَّذِي كَانُوا يَقَاتِلُونَ أَمَامَهُ.

ص: ١٩٨

ثُمَّ رَمَى رَجُلٌ مِّنْ أَصْحَابِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ يَقَالَ لَهُ : عُمَرُ بْنُ صَبِيحٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ بْنُ عَقِيلٍ (رَحِمَهُ اللَّهُ) بِسَهْمٍ، فَوَضَعَ عَبْدُ اللَّهِ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ يَتَّقِيهِ، فَأَصَابَ السَّهْمُ كَفَّهُ وَ نَفَذَ إِلَى جَبْهَتِهِ فَسَمَّرَهَا بِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ تَحْرِيكَهَا، ثُمَّ انْتَحَى عَلَيْهِ آخَرُ بِرُمَحِهِ فَطَعَنَهُ فِي قَلْبِهِ فَقَتَلَهُ.

وَ حَمَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُطَيْبَةَ الطَّائِيَّ عَلَى عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَتَلَهُ.

وَ حَمَلَ عَامِرُ بْنُ نَهْشَلٍ التَّيْمِيُّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَتَلَهُ.

وَ شَدَّ عُثْمَانُ بْنُ خَالِدٍ الْهَمْدَانِيُّ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَقِيلٍ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَتَلَهُ.

قَالَ حَمِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: فَإِنَّا لَكَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا غَلَامٌ كَانَ وَجْهُهُ شَقَّةَ قَمَرٍ، فِي يَدِهِ سَيْفٌ وَ عَلَيْهِ قَمِيصٌ وَ إِزَارٌ وَ نَعْلَانِ قَدْ انْقَطَعَ شِسْعٌ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَ لِي عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ نَفِيلٍ الْأَزْدِيُّ: وَ اللَّهُ لَأَشْدَنَّ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَ مَا تَرِيدُ بِذَلِكَ؟! دَعِهِ يَكْفِيكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ مَا يَبْقُونَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ؛ فَقَالَ:

وَ اللَّهُ لَأَشْدَنَّ عَلَيْهِ، فَشَدَّ عَلَيْهِ فَمَا وَلَّى حَتَّى ضَرَبَ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ فَفَلَقَهُ، وَ وَقَعَ الْغَلَامُ لَوَجْهِهِ فَقَالَ : يَا عَمَّاهُ! فَجَلَى^{٣٤٧} الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَمَا يَجْلَى الصَّقْرُ ثُمَّ شَدَّ شَدَّةً لَيْثَ أَغْضَبَ، فَضَرَبَ عُمَرَ بْنَ سَعِيدٍ بْنُ نَفِيلٍ بِالسَّيْفِ فَاتَّقَاهَا بِالسَّاعِدِ فَأَطْنَهَا مِنْ لَدُنِ الْمَرْفِقِ، فَصَاحَ صَيْحَةً سَمِعَهَا أَهْلُ الْعَسْكَرِ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنْهُ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ). وَ حَمَلَتْ خَيْلُ الْكُوفَةِ لَتَسْتَنْقِذَهُ فَوَطَّأَتْهُ بِأَرْجُلِهَا حَتَّى مَاتَ.

وَ انْجَلَتْ الْغُبَرَةُ فَرَأَيْتَ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَائِمًا عَلَى رَأْسِ الْغَلَامِ وَ هُوَ

(١) جَلَى بِبَصَرِهِ: إِذَا رَمَى بِهِ كَمَا يَنْظُرُ الصَّقْرُ إِلَى الصَّيْدِ. «الصحاح - جلا - ٦: ٢٣٠٥».

ص: ١٩٩

^{٣٤٧} (١) جَلَى بِبَصَرِهِ: إِذَا رَمَى بِهِ كَمَا يَنْظُرُ الصَّقْرُ إِلَى الصَّيْدِ «الصحاح - جلا - 6: 2305».

يفحص برجله و الحسين يقول : «بعدا لقوم قتلوك و من خصمهم يوم القيامة فيك جدك» ثم قال: «عزّ - و الله - على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك، صوت - و الله - كثر و اتروه و قلّ ناصروه» ثمّ حمله على صدره، فكأنّني أنظر إلى رجلى الغلام تخطّان الأرض، فجاء به حتّى ألقاه مع ابنه علىّ بن الحسين و القتلى من أهل بيته، فسألت عنه فقولي لي: هو القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السّلام).

ثمّ جلس الحسين (عليه السّلام) أمام الفسطاط فاتى بابنه عبد الله بن الحسين و هو طفل فأجلسه في حجره، فرماه رجل من بنى أسد بسهم فذبحه، فتلّقى الحسين (عليه السّلام) دمه، فلمّا ملاكفّه صبه في الأرض ثمّ قال: «ربّ إن تكن حبست عنا النّصر من السّماء فأجعل ذلك لما هو خير، و انتقم لنا من هؤلاء القوم الظّالمين» ثمّ حمله حتّى وضعه مع قتلى أهله.

و رمى عبد الله بن عقبة الغنويّ أبا بكر بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السّلام) فقتله.

فلمّا رأى العباس بن عليّ رحمته الله عليه كثرة القتلى في أهله قال لإخوته من أمّه - و هم عبد الله و جعفر و عثمان - يا بنى أمي! تقدّموا حتّى أراكم قد نصحتهم لله و لرسوله، فإنّه لا ولد لكم . فتقدّم عبد الله فقاتل قتالا شديدا، فاختلف هو و هانيء بن ثبيت الحضرميّ ضربتين فقتله هانيء لعنه الله. و تقدّم بعده جعفر بن عليّ (عليه السّلام) فقتله أيضا هانيء. و تعمّد خوليّ بن يزيد الأصبحيّ عثمان بن عليّ (عليه السّلام) و قد قام مقام إخوته فرماه بسهم فصرعه، و شدّ عليه رجل من بنى دارم فاحتزّ رأسه.

ص: ٢٠٠

و حملت الجماعة على الحسين (عليه السّلام) فغلبوه على عسكره، و اشتدّ به العطش، فركب المسنّة^{٣٤٨} يريد الفرات و بين يديه العباس أخوه، فاعترضته خيل ابن سعد و فيهم رجل من بنى دارم فقال لهم : ويلكم حولوا بينه و بين الفرات و لا تمكّنوه من الماء، فقال الحسين (عليه السّلام): «اللّهمّ أظمئه» فغضب الدّارميّ و رماه بسهم فأثبته في حنكه، فانتزع الحسين (عليه السّلام) السّهم و بسط يده تحت حنكه فامتلاّت راحته بالدّم، فرمى به ثمّ قال : «اللّهمّ إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيّك» ثمّ رجع إلى مكانه و قد اشتدّ به العطش.

استشهاد الإمام الحسين (عليه السّلام)

لم يبق مع الإمام الحسين (عليه السّلام) سوى أخيه العباس الذي تقدم إليه يطلب منه الإذن في قتال القوم فبكى الحسين و عانقه ثمّ أذن له فكان يحمل على أهل الكوفة فينهزمون بين يديه كما تنهزم المعزى من الذّئاب الضاريّة و ضجّ أهل الكوفة من كثرة من قتل منهم، و لما قتل قال الحسين (عليه السّلام): «الآن انكسر ظهري و قلّت حيلتي و شمت بي عدويّ»^{٣٤٩}.

و في رواية أخرى : ان الإمام الحسين (عليه السّلام) اتجه الى نهر الفرات و بين يديه أخوه العباس فاعترضته خيل ابن سعد - لعنه الله - و فيهم رجل من بنى دارم فقال لهم : ويلكم حولوا بينه و بين الفرات و لا تمكّنوه من الماء، فقال الحسين (عليه السّلام): اللّهمّ أظمئه، فغضب الدارميّ و رماه بسهم فأثبته في حنكه فانتزع الحسين (عليه السّلام) السهم و بسط يده

^{٣٤٨} (1) المسنّة: تراب عال يحجز بين النهر و الأرض الزراعية «تاج العروس- سني- 10: 185». ^{٣٤٩} (2) سيرة الأئمّة الاثني عشر: 77/ 2، بحار الأنوار: 440/ 45، المنتخب للطريحي: 431.

تحت حنكه فامتلات راحتاه من الدم فرمى به ثم قال : «اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك »، ثم رجع إلى مكانه

(١) المسنأه: تراب عال يحجز بين النهر و الأرض الزراعية. «تاج العروس - سني - ١٠: ١٨٥».

(٢) سيرة الائمة الاثنى عشر: ٧٧ / ٢، بحار الأنوار: ٤٥ / ٤٤٠، المنتخب للطريحي: ٤٣١.

ص: ٢٠١

و قد اشتد به العطش و أحاط القوم بالعباس (عليه السلام) فاقتطعوه عنه فجعل يقاتلهم وحده حتى قتل رحمه الله عليه^{٣٥٠}.

و نظر الحسين (عليه السلام) الى ما حوله، و مدّ بصره إلى أقصى الميدان فلم ير أحدا من أصحابه و أهل بيته إلّا و هو يسبح بدم الشهادة، مقطّع الأوصال و الأعضاء.

و هكذا بقى الإمام (عليه السلام) وحده يحمل سيف رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و بين جنبيه قلب على (عليه السلام) و بيده راية الحق البيضاء، و على لسانه كلمة التقوى.

الحسين (عليه السلام) وحيدا في الميدان:

حينما التفت أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) يمينا و شمالا و لم ير أحدا يذبّ عن حرم رسول الله أخذ ينادى هل من ذابّ يذبّ عنا؟ فخرج الإمام زين العابدين (عليه السلام) من الفسطاط و كان مريضا لا يقدر أن يحمل سيفه و ام كلثوم تنادى خلفه: يا بني ارجع. فقال: «يا عمّاه! ذريني اقاتل بين يدي ابن رسول الله (صلّى الله عليه و اله)».

و إذا بالحسين (عليه السلام) ينادى: «يا ام كلثوم! خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد (صلّى الله عليه و اله)»^{٣٥١}.

و يقول المؤرخون: إنه لما رجع الحسين (عليه السلام) من المسنأه إلى فسطاطه تقدم إليه شمر بن ذى الجوشن في جماعة من أصحابه، فأحاطوا به فأسرع منهم رجل يقال له مالك بن النسر الكندي فشتّم الحسين (عليه السلام) و ضربه على رأسه بالسيف و كان عليه قلنسوة فقطعها حتى وصل إلى رأسه فأدماه

(١) الإرشاد: ١٠٩ / ٢.

(٢) بحار الأنوار: ٤٥ / ٤٦.

^{٣٥٠} (١) الإرشاد: ١٠٩ / ٢.

^{٣٥١} (٢) بحار الأنوار: ٤٥ / ٤٦.

فامتلات القلنسوة دما، فقال له الحسين (عليه السلام): «لا أكلت بيمينك ولا شربت بها و حشرك الله مع القوم الظالمين».

ثم ألقى القلنسوة و دعا بخرقة فشدّ بها رأسه و استدعى قلنسوة أخرى فلبسها و اعتمّ عليها، و رجع عنه شمر بن ذى الجوشن و من كان معه إلى مواضعهم، فمكث هنيئاً ثم عاد و عادوا إليه و أحاطوا به^{٣٥٢}.

حمل الإمام الحسين (عليه السلام) سيفه و راح يرفع صوته على عادة الحروب و نظامها فى البراز، و راح ينازل فرسانهم، و يواجه ضرباتهم ببسالة نادرة و شجاعة فذة، فما برز إليه خصم إلا و ركع تحت سيفه ركوع الذل و الهزيمة.

قال حميد بن مسلم: فوالله ما رأيت مكنورا قط قد قتل ولده و أهل بيته و أصحابه أربط جأشاً و لا أمضى جنا ناً منه، أن كانت الرجالة لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فتتكشف عن شماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب^{٣٥٣}.

و لما عجزوا عن مقاتلته، لجأوا إلى أساليب الجبناء؛ فقد استدعى شمر الفرسان فصاروا فى ظهور الرجالة، و أمر الرماء أن يرموه فرشقوه بالسهم حتى صار جسمه ك القنفذ فأحجم عنهم، فوقفوا بإزائه و خرجت أخته زينب إلى باب الفسطاط فنادت عمر بن سعد بن أبى وقاص: و يلك يا عمر! أيقتل أبو عبد الله و أنت تنظر إليه؟! فلم يجيبها عمر بشىء، فنادت و يحكم! أما فيكم مسلم؟ فلم يجيبها أحد بشىء. و نادى شمر بن ذى الجوشن الفرسان و الرجالة فقال: و يحكم! ما تنتظرون بالرجل؟ تكلتكم أمهاتكم، فحملوا عليه من كل جانب.

فضربه زرعاً بن شريك على كتفه اليسرى فقطعها، و ضربه آخر منهم على عاتقه فكبامنها لوجهه، و طعنه سنان بن أنس النخعى بالرمح فصرعه،

(١) الإرشاد: ١١٠ / ٢، إعلام الورى: ١ / ٤٦٧.

(٢) الإرشاد: ١١١ / ٢، إعلام الورى: ١ / ٤٦٨.

و بدر إليه خولى بن يزيد الأصبحى فنزل ليحتزّ رأسه فأرعد فقال له شمر: فتّ الله فى عضدك، مالك ترعد؟

و نزل شمر إليه فذبحه ثم رفع رأسه إلى خولى بن يزيد فقال: إحمله إلى الأمير عمر بن سعد.

ثم أقبلوا على سلب الحسين (عليه السلام) فأخذ قميصه اسحاق بن حيوة الحضرمى، و أخذ سراويله أيجر بن كعب، و أخذ عمامته أخنس بن مرثد، و أخذ سيفه رجل من بنى دارم، و انتهوا رحله و إبله و أثقاله و سلبوا نساءه^{٣٥٤}.

^{٣٥٢} (١) الإرشاد: 110 / 2، إعلام الورى: 1 / 467.

^{٣٥٣} (٢) الإرشاد: 111 / 2، إعلام الورى: 1 / 468.

^{٣٥٤} (١) الإرشاد: 112 / 2، إعلام الورى: 1 / 469.

امتداد الحمرة في السماء:

و مادّت الأرض و اسودّت آفاق الكون و امتدت حمرة رهيبه في السماء كانت نذيرا من الله لأولئك السفّاكين المجرمين الذين انتهكوا جميع حرّمات الله^{٣٥٥}.

و صبغ فرس الحسين (عليه السّلام) ناصيته بدم الإمام الشهيد المظلوم و أقبل يركض مدعورا نحو خيام الحسين (عليه السّلام) ليعلم العيال بمقتله و استشهاده، و قد صوّرت زيارة الناحية المقدّسة هذا المشهد المأساوي كما يلي:

«فلما نظرت النساء الى الجواد مخزيا و السرج عليه ملوبا خرجن من الخدور ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات و للوجوه سافرات و بالعويل داعيات و بعد العز مدلّلات و إلى مصرع الحسين مبادرات».

و نادت عقيلة بنى هاشم زينب بنت عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) و هي تكلّي:

وا محمداه! وا أبتاه! وا علياه! وا جعفر اه! وا حمز تاه! هذا حسين بالعراء، صريع

(١) الإرشاد: ١١٢ / ٢، إعلام الوري: ١ / ٤٦٩.

(٢) راجع كشف الغمة: ٩ / ٢، سير أعلام النبلاء: ٣ / ٣١٢، تاريخ الاسلام للذهبي: ١٥، حوادث سنة ٦١، إعلام الوري: ١ / ٤٢٩.

ص: ٢٠٤

بكر بلاء، ليت السماء أطبقت على الأرض! و ليت الجبال تدكدكت على السهل!!^{٣٥٦}

حرق الخيام و سلب حرائر النبوة:

و عمد المجرمون اللئام إلى حرق خيام الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السّلام) غير حافلين بمن في الخيام من بنات الرسالة و عقائل النبوة. قال الإمام زين العابدين (عليه السّلام): «و الله ما نظرت إلى عمّاتي و أخواتي إلّا و خنقتني العبرة و تذكّرت فرارهن يوم الطف من خيمة إلى خيمة و من خباء الى خباء، و منادى القوم يراى: أحرّقوا بيوت الظالمين!»^{٣٥٧}.

و عمد أراذل جيش الكوفة إلى سلب حرائر النبوة و عقائل الرسالة فنهبوا ما عليهن من حلّى و حلل، كما نهبوا ما في الخيام من متاع.

الخيّل تدوس الجثمان الطاهر:

^{٣٥٥} (٢) راجع كشف الغمة: ٩ / ٢، سير أعلام النبلاء: ٣ / 312، تاريخ الاسلام للذهبي: 15، حوادث سنة 61، إعلام الوري: 1 / 429.

^{٣٥٦} (١) مقتل الحسين للمقرم: 346.

^{٣٥٧} (٢) حياة الإمام الحسين عليه السّلام، نقلا عن تاريخ المظفر: 238.

لقد بانت خسة الامويين لكل ذى عينين، و عبّرت عن مسخ في الوجدان الذى كانوا يح ملونه و ماتت الإنسانية فتحولت الأجساد المتحركة إلى وحوش دنيئة لا تملك ذرة من رحمة و لا يزعها وازع من بقية ضمير إنسانى .

فحين حاصرت جيوش الضلالة أهل بيت النبوة (عليهم السلام) فى عرصات كربلاء كتب ابن زياد إلى عمر بن سعد كتابا و هو يبين له ما يستهدفه من نتيجة للمعركة، و ما تتطوى عليه نفسه الشريرة من حقد دفين على الرسالة و الرسول (صلى الله عليه و اله)، و كل ما يمت اليهما بصلة أو قرابة، و قد جاء فيه ما يلى:

أما بعد: فإننى لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه، و لا لتطاوله، و لا لتنميه السلامة و البقاء، و لا لتعقد له عندى شافعا، انظر فإن نزل حسين و أصحابه على

(١) مقتل الحسين للمقرم: ٣٤٦.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام، نقلا عن تاريخ المظفرى: ٢٣٨.

ص: ٢٠٥

الحكم و استسلموا فابعث بهم سلما، و إن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم و تمت ل بهم فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره و ظهره، فإنه عاق مشاق قاطع ظلوم و ليس فى هذا أن يضر بعد الموت شيئا، و لكن على قول، لو قد قتلت فعلت هذا به^{٣٥٨}.

على أن ابن زياد كان من أعمدة الحكم الاموى. و لا نعلم أوامر صدرت من أحد أفراده بحيث كانت ترعى حرمة أو تقديرا لمقام ابن النبى (صلى الله عليه و اله) الذى لم يكن خافيا على أحد من الامويين.

و هكذا انبرى ابن سعد بعد مقتل ريحانة رسول الله (صلى الله عليه و اله) لينفذ أوامر سيده الحاقدا ابن زياد، فنادى فى أصحابه: من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه؟

فانتدب عشرة، فدا سوا جسد الحسين (عليه السلام) بخيولهم حتى رضوا ظهره^{٣٥٩}.

عقيلة بنى هاشم أمام الجثمان العظيم:

و وقفت حفيدة الرسول (صلى الله عليه و اله) و ابنة أمير المؤمنين (عليه السلام) العقيلة زينب (عليها السلام) على جثمان أخيها العظيم، و هى تدعو قائلة: «اللهم تقبل هذا القربان»^{٣٦٠}.

إن الإنسانية لتحنى إجلالا و خضوعا أمام هذا الإيمان الذى هو السر الوحيد فى خلود تضحية الحسين (عليه السلام) و أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

^{٣٥٨} (١) تاريخ الطبري: 4/ 314، إعلام الورى: 1/ 453.

^{٣٥٩} (٢) إعلام الورى: 1/ 470، مقتل الحسين للخوارزمي: 2/ 39.

^{٣٦٠} (٣) حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام): 3/ 304.

(١) تاريخ الطبري: ٣١٤ / ٤، إعلام الوري: ١ / ٤٥٣.

(٢) إعلام الوري: ١ / ٤٧٠، مقتل الحسين للخوارزمي: ٢ / ٣٩.

(٣) حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام): ٣ / ٣٠٤.

ص: ٢٠٧

الفصل الثالث نتائج الثورة الحسينية

انبعثت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) من ضمير الأمة الحيّ و من وحي الرسالة الإسلامية المقدسة و من البيت الذي انطلقت منه الدعوة الإسلامية للبشرية جمعاء، البيت الذي حمى الرسالة و الرسول و دافع عنهما، حتى استقام عمود الدين . و أحدثت هذه الثورة المباركة في التاريخ الإنساني عاصفة تقوض الذل و الاستسلام و تدك عروش الظالمين، و أضحت مشعلا ينير الدرب لكل المخلصين من أجل حياة حرّة كريمة في ظل طاعة الله تعالى.

و لا يمكن لأحد أن يغفل عما تركته هذه الثورة من آثار في الأيام و السنوات التي تلتها رغم كل التشويه و التشويش الذي يحاول أن يمنع من سطوع الحقيقة لناشدها. و بالإمكان أن نلاحظ بوضوح آثارا كثيرة لهذه الثورة العظيمة عبر الأجيال و في حياة الرسالة الإسلامية بالرغم من أننا لا نحيط علما بجميعها طبعاً. و أهم تلك الآثار هي:

١- فضح الامويين و تحطيم الإطار الديني المزيف:

بفعل ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) تكشفت للناس حقيقة النزعة الاموية المتسلطة على الحكم، و نسفت تضحيات النافرين كل الاطر الدينية المزيفة

ص: ٢٠٨

التي استطاع الامويون من خلالها تحشيد الجيوش للقضاء على الثورة، مستعينين بحالة غياب الوعي و شيوع الجهل الذي خلّفته السقيفة. و نلمس هذا الزيف في قول مسلم بن عمرو الباهلي يؤنّب مسلم بن عقيل ربيب بيت النبوة و العبد الصالح لخروجه على يزيد الفاسق، و يفتخر بموقفه قائلاً: أنا من عرف الحق إذ تركته، و نصح الأمة و الإمام إذ غششته، و سمع و أطاع إذ عصيته^{٣٦١}.

و هذا عمرو بن الحجاج الزبيدي - من قادة الجيش الأموي - يحفّز الناس لمواجهة الإمام الحسين (عليه السلام) حين وجد منهم تردداً و تباطؤاً عن الأوامر قائلاً:

^{٣٦١} (١) تاريخ الطبري: 4 / 281.

يا أهل الكوفة إلموا طاعتكم و جماعتكم، و لا ترتابوا فى قتل من مرق من الدين، و خالف الإمام^{٣٦٢}.

فالدين فى دعوى الامويين طاعة يزيد و مقاتلة الحسين (عليه السلام).

و لكن حركة الإمام الحسين (عليه السلام) و رفضه البيعة و تضحياته الجليلة نبّهت الامّة، و أوضحت لها ما طمس بفعل التضليل. فقد وقف الإمام الحسين (عليه السلام) يخاطبهم و يوضّح مكانته فى الرسالة و المجتمع الاسلامى : أمّا بعد فانسيوني، فانظروا من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها و انظروا هل يصلح لكم قتلى و انتهاك حرمتى؟ ألسنت ابن بنت نبيكم (صلّى الله عليه و اله) و ابن وصيه و ابن عمه و أول المؤمنين بالله و المصدّق لرسوله بما جاء من عند ربه؟!

هذا بالإضافة إلى كل الخطب و المحاورات التى جرت فى وضع متوتّر حسّاس أوضح للناس مكانة طرفى النزاع . ثم ما آلت إليه نتيجة المعركه من

(١) تاريخ الطبرى: ٢٨١ / ٤.

(٢) المصدر السابق: ٣٣١ / ٤.

ص: ٢٠٩

بشاعة فى السلوك و الفكر فاتضحت حسّة الامويين و دناءتهم و دجلهم.

و كان الأثر البالغ فى مواصلة الثورة الحسينية بدون سلاح دموىّ حين واصلت العقيلة زينب بنت أ مير المؤمنين (عليه السلام) فضح الجرائم التى ارتكبتها بنو امية و من ثم توضيح رسالة الإمام الحسين (عليه السلام).

إنّ جميع المسلمين متفقون - على اختلاف مذاهبهم و آرائهم - بأن الموقف الحسينى كان يمثّل موقفاً إسلامياً شرعياً، و أن يزيد كان مرتدّاً و متمرّداً على الإسلام و الشرع الإلهى و الموازين الدينية.

٢- إحياء الرسالة الإسلامية:

لقد كان استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) هزّة لضمير الامّة و عامل بعث لإرادتها المتخاذلة و عامل انتباه مستمر للمنحدر الذى كانت تسير فيه بتوجيه من بنى امية و من سبقهم من الحكّام الذين لم يحرصوا على وصول الإسلام نقياً الى من يليهم من الأجيال.

لقد استطاع سبط الرسول (صلّى الله عليه و اله) أن يبيّن الموقف النظرى و العملى الشرعى للامّة تجاه الانحراف الذى يصيبها حينما يستبدّ بها الطغاة، فهل انتصر الحسين (عليه السلام) فى تحقيق هذا الهدف؟ لعلنا نجد الجواب فيما قاله الإمام

^{٣٦٢} (٢) المصدر السابق: 331 / 4.

زين العابدين (عليه السلام)، حينما سأله إبراهيم بن طلحة بن عبد الله قائلًا : من الغالب؟ قال (عليه السلام): «إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم تعرف الغالب»^{٣٦٣}.

لقد كان الحسين (عليه السلام) هو الغالب إذ تحقق أحد أهم أهدافه السامية بعد محاولات الجاهلية لإماتته وإخراجه من معترك الحياة.

(١) حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام): ٣ / ٢٤٠ عن أمالي الشيخ الطوسي.

ص: ٢١٠

٣- الشعور بالإثم و شيوخ النعمة على الامويين:

اشتعلت شرارة الشعور بالإثم في نفوس الناس، وكان يزيد لها توهجا واشتعالا خطابات الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) و زينب بنت علي بن أبي طالب و بقية أفراد عائلة النبي (صلى الله عليه و اله) التي ساقها الطغاة الامويون كسبايا من كربلاء الى الكوفة فالشام.

فقد وقفت زينب (عليهما السلام) في أهل الكوفة حين احتشدوا يحدقون في موكب رؤوس الشهداء و السبايا، و يبكون ندما على ما فرطوا و ما حصل لآل النبي (صلى الله عليه و اله) فأشارت إليهم أن اسكتوا فسكتوا فقالت:

أما بعد:

يا أهل الكوفة أتبكون؟ فلا سكنت العبرة و لا هدأت الرنة، إنما مثلكم مثل ال تي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، تتخذون أيما نكم دخلا بينكم ألا ساء ما تزرون، أي و الله، فابكوا كثيرا و اضحكوا قليلا، فلقد ذهبتم بعارها و شنارها فلن ترحضوها بغسل أبدا، و كيف ترحضون قتل سبط خاتم النبوة، و معدن الرسالة و مدار حجّتكم، و منار محجّتكم، و هو سيد شباب أهل الجنة؟».

و تكلم علي بن الحسين (عليهما السلام) فقال:

أيها الناس! ناشدتكم الله، هل تعلمون أنكم كتبتم إلي أبي و خدعتموه، و أعطيتموه من أنفسكم العهد و الميثاق و البيعة و قاتلتموه؟ فتبا لكم لما قدمتم لأنفسكم و سوءاً لرأيكم، بأى عين تنظرون إلى رسول الله إذ يقول لكم قتلتم عترتي، و انتهكتكم حرمتي؟ فليست من امتي^{٣٦٤}.

(١) حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام): ٣ / ٣٤١ عن مثير الأحزان.

^{٣٦٣} (١) حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام): ٣ / ٤٤٠ عن أمالي الشيخ الطوسي
^{٣٦٤} (١) حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام): ٣ / ٣٤١ عن مثير الأحزان.

و روى أيضا أن يزيد بن معاوية فرح فرحا شديدا و أكرم عبيد الله بن زياد و لكن ما لبث أن ندم و وقع الخلاف بينه و بين ابن زياد حين علم بحال الناس و سخطهم عليه، و لعنهم و سبهم^{٣٦٥}.

و لقد كان الشعور بالإثم يمثّل موقفا عاطفيا مفعما بالحرارة و الحيوية و الرغبة الشديدة بالانتقام من الحكم الاموى، مما دفع بالكثير فى الجماعات الإسلامية إلى العمل للتكفير عن موقفهم المتخاذل عن نصره الإمام الحسين (عليه السلام) بصيغة ثورة مسلحة لمواجهة الحكم الاموى الظالم.

صحيح أنه لا يمكننا أن نعتبر موقف المسلمين هذا موقفا عقليا نابعا من إدراك فساد الحكم الاموى و بعده عن الرسالة الإسلامية إلا أنه كان موقفا صادقا يصعب على الحاكمين السيطرة عليه كالسيطرة على الموقف العقلانى، فكان الحكام الظلمة و عبر مسيرة العداء لأهل البيت النبوى (عليهم السلام) يحسبون له ألف حساب.

٤- إحياء إرادة الأمة و روح الجهاد فيها^{٣٦٦}:

كانت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) السبب فى إحياء الإرادة لدى الجماهير المسلمة و انبعاث الروح النضالية، و هزة قوية فى ضمير الإنسان المسلم الذى ركن الى الخنوع و التسليم، عاجزا عن مواجهة ذاته و مواجهة الحاكم الظالم الذى يعبت بالأمة كيف يشاء، مؤطرا تحركه بغطاء دينى يحوكه بالدجل و النفاق، و بأيدي و عاظ السلاطين أحيانا و اخرى بحذقه و مهارته فى المكر و الحيلة.

فتعلم الإنسان المسلم من ثورة الحسين (عليه السلام) أن لا يستسلم و لا يساوم،

(١) تأريخ الطبرى: ٣٨٨ / ٤، تأريخ الخلفاء: ٢٠٨.

(٢) للمزيد من التفصيل راجع ثورة الحسين (النظرية، الموقف، النتائج) للسيد محمد باقر الحكيم: ١٠٠.

و أن يصرخ معبرا عن رأيه و رغبته فى حياة أفضل فى ظل حكم يتمتع بالشرعية أو على الأقل برضا الجماهير.

و نجد انطلاقات عديدة لثورات على الحكم الأموى و إن لم يكتب لها النجاح؛ إلا أنها توالى حتى سقط النظام. و رغم أن أهدافها كانت متفاوتة إلا أنها كانت تستلهم من معين ثورة الحسين (عليه السلام)، أو تستعين بالظرف الذى خلقتة. فمن ذلك ثورة التوابين^{٣٦٧} التى كانت ردّة فعل مباشرة للثورة الحسينية، و ثورة المدينة^{٣٦٨}، و ثورة المختار الثقفى^{٣٦٩} الذى تمكن

^{٣٦٥} (١) تأريخ الطبرى: 388 / 4، تأريخ الخلفاء: 208.

^{٣٦٦} (٢) للمزيد من التفصيل راجع ثورة الحسين (النظرية، الموقف، النتائج) للسيد محمد باقر الحكيم: 100.

^{٣٦٧} (١) تأريخ الطبرى: 426 / 4، 449.

^{٣٦٨} (٢) المصدر السابق: 464 / 4.

^{٣٦٩} (٣) المصدر السابق: 487 / 4.

من محاكمة المشاركين في قتل الحسين (عليه السلام) و مجازاتهم بأفعالهم الشنيعة و جرائمهم الفضيعة، ثم ثورة مطرف بن المغيرة، و ثورة ابن الأشعث، و ثورة زيد بن عليّ ابن الحسين (عليهما السلام)^{٣٧٠} و ثورة أبي السرايا^{٣٧١}.

لقد أحييت الثورة الحسينية روح الجهاد و أججتها، و بقي النبض ا لثائر في الأمة حيّا رغم توالى الفشل اللاحق ببعض تلكم الثورات. إلّا أن الأمة الإسلامية أثبتت حيويّتها و تخلصت من المسخ الذي كاد أن يطيح بها بأيدي الامويين و أسلافهم.

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٢٢٦، ٢٢٩.

(٢) المصدر السابق: ٤/ ٢٦٤.

(٣) المصدر السابق: ٤/ ٤٨٧.

(٤) مقاتل الطالبين: ١٣٥.

(٥) المصدر السابق: ٥٢٣.

ص: ٢١٣

الفصل الرابع من تراث الإمام الحسين (عليه السلام)

نظرة عامّة في تراث الإمام الحسين (عليه السلام):

الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام) قائد مبدئي و أحد أعلام الهداية الربّانية الذين اختارهم الله لحفظ دينه و شريعته، و جعلهم امناء على تطبيقها، و طهرهم من كل رجس ليصونها من أي تحريف أو تحوير.

إن المحنة التي عاشها الأئمة الثلاثة عليّ و الحسن و الحسين (عليهم السلام) كانت أكبر محنة للعقيدة و الأمة؛ لأنّها قد بدأت بانحراف القيادة عن خط الرسالة؛ ولكنها لم تقتصر على الانحراف عن المبدأ الشرعي في ممارسة الحكم فحسب؛ و إنما كانت تمتد أبعادها إلى أعماق الأمة و الشريعة.

إن هذا الانحراف الخطير قد زاد في عزيمة هؤلاء الأئمة الهداء، ممّا جعلهم يهتمون بإحكام قواعد الشرع يعة في الأمة و تعليمها و تربيتها بما يحول دون تسرب الانحراف إليها بسرعة، و بما يحول دون تفتيتها و تمزيق قواها.

و من هنا كانت تربية الجماعة الصالحة و السهر على تنشئتها و الاهتمام بقضاياها أمرا في غاية الأهمية، و يظهر للمتتبع و المحقق عظمة ذلك فيما لو أراد أن يقارن بين مواقف المسلمين تجاه أهل بيت الرسول (صلّى الله عليه و اله) خلال

ص: ٢١٤

^{٣٧٠} (٤) مقاتل الطالبين: 135.

^{٣٧١} (٥) المصدر السابق: 523.

خمسين عاما بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه و اله).

و من هنا كان التراث الذى تركه لنا كل من الإمام المرتضى و الحسن المجتبى و الحسين الشهيد بكربلاء تراثا عظيما و مهما جدا.

حيث نلمس الغناء فى هذه الثروة الفكرية و العلمية التى وصلتنا عنهم (عليهم السلام).

و للمتتبع أن يراجع موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) و وثائق الثورة الحسينية، و بلاغة الحسين و مجموعة خطبه و رسائله؛ ليقف على عظمة هذه الثروة الكبرى وقفه م تأمل و مستفيد. و ها نحن نستعرض صورا من اهتمامات هذا الإمام العظيم فيما يلى من بحوث:

فى رحاب العقل و العلم و المعرفة:

قال (عليه السلام):

١- خمس من لم تكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع: «العقل و الدين و الأدب و الحياء و حسن الخلق»^{٣٧٢}.

٢- و سئل عن أشرف الناس، فقال: «من اتعظ قبل أن يوعظ و استيقظ قبل أن يوقظ»^{٣٧٣}.

٣- و قال (عليه السلام): «لا يكمل العقل إلّا باتّباع الحق»^{٣٧٤}.

٤- «العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه، و لا يسأل من يخاف منعه و لا يثق بمن يخاف غدره، و لا يرجو من لا يوثق برجائه»^{٣٧٥}.

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٧٤٣ عن حياة الإمام الحسين: ١ / ١٨١.

(٢) المصدر السابق: ٧٤٣ عن إحقاق الحق: ١١ / ٥٩٠.

(٣) المصدر السابق: ٧٤٢ عن اعلام الدين: ٢٩٨. و ورد هذا النص عن الإمام على (عليه السلام) أيضا.

(٤) المصدر السابق: ٧٤٢ عن حياة الإمام الحسين (عليه السلام): ١ / ١٨١.

ص: ٢١٥

^{٣٧٢} (١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: 743 عن حياة الإمام الحسين: 1 / 181.

^{٣٧٣} (٢) المصدر السابق: 743 عن إحقاق الحق: 11 / 590.

^{٣٧٤} (٣) المصدر السابق: 742 عن اعلام الدين: 298. و ورد هذا النص عن الإمام على (عليه السلام) أيضا.

^{٣٧٥} (٤) المصدر السابق: 742 عن حياة الإمام الحسين (عليه السلام): 1 / 181.

٥- «العلم لقاح المعرفة، و طول التجارب زيادة في العقل، و الشرف التقوى، و القنوع راحة الأبدان، و من أحبك نهاك و من أبغضك أغراك»^{٣٧٦}.

٦- «من دلائل العالم انتقاده لحديثه و علمه بحقائق فنون النظر»^{٣٧٧}.

٧- «لو أن العالم كل ما قال أحسن و أصاب لأوشك أن يجن من العجب، و إنما العالم من يكثر صوابه».

٨- و في دعاء عرفه للإمام الحسين (عليه السلام) مقاطع بديعة ترتبط بالمعرفة البشرية و سبل تحصيلها و قيمة كل سبيل و ما ينبغي للعاقل أن يسلكه من السبل الصحيحة و الموصلة الى المقصود، نختار منها نماذج ذات علاقة ببحثنا هذا:

قال (عليه السلام):

أ- «إلهي أنا الفقير في غنى فكيف لا أكون فقيراً في فقرى؟ إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولاً في جهلي؟
...».

ب- «إلهي علمت باختلاف الآثار و تنقّلات الأطوار أن مرادك مني أن تتعرّف إليّ في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء
...».

ج- «إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعي عليك بحزمة توصلني إليك، كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك؟ أليكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ ! متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدلّ عليك؟!». و متى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيباً، و خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً.

د- «إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليك بكسوة الأنوار و هداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السرّ عن النظر إليها و مرفوع

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): ٧٤٢ و ٧٤٣ عن بحار الأنوار: ١٢٨ / ٧٨، الحديث ١١.

(٢) المصدر السابق.

^{٣٧٦} (١) موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): 742 و 743 عن بحار الأنوار: 128 / 78، الحديث 11.
^{٣٧٧} (2) المصدر السابق.

و- «إلهي علّمني من علمك المخزون و صني بسترک المصون. إلهي حقّقني بحقائق أهل القرب ...».

ز- «إلهي أخرجني من ذلّ نفسي و طهرني من شكّي و شرکي قبل حلول رمسي».

ح- «إلهي إنّ القضاء و القدر يمنيّني، و إنّ الهوى بوثائق الشهوة اسرني، فكن أنت النصير لي حتى تنصرنی و تبصرني».

ط- «أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك و وحدوك، و أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبّوا سواك و لم يلجأوا إلى غيرك، أنت المؤمنس لهم حيث أو حشتمهم العوالم، و أنت الذي هديتهم حيث استبانت لهم المعالم. ماذا وجد من فقدك؟! و ما الذي فقد من وجدك?!».

ي- «أنت الذي لا إله غيرك، تعرفت لكلّ شيء فما جهلك شيء، و أنت الذي تعرّفت إليّ في كلّ شيء فرأيتك ظاهرا في كلّ شيء ... كيف تخفي و أنت الظاهر؟ أم كيف تغيب و أنت الرقيب الحاضر؟!»^{٣٧٨}.

في رحاب القرآن الكريم:

لقد اعتنى أهل البيت الطاهرون بالقرآن الكريم اعتناء وافرا فعكفوا على تعليمه و تفسيره و فقه آياته و تطبيقه و صيانتها عن أيدي العابثين و المحرّفين، و تجلّت عنايتهم به في سلوكهم و هديهم و كلامهم . و قد اثرت عن الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السّلام) كلمات جليّة حول التفسير و التأويل و التطبيق، و هي جديرة بالمطالعة و التأمل نختار نماذج منها:

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٨٠٣ - ٨٠٦ عن إقبال الأعمال: ٣٣٩.

ص: ٢١٧

أ- قال (عليه السّلام): «كتاب الله عزّ و جل على أربعة أشياء: على العبارة و الإشارة و اللطائف و الحقائق، فالعبارة للعوام، و الإشارة للخواص و اللطائف للأولياء، و الحقائق للأنبياء»^{٣٧٩}.

ب- «من قرأ آية من كتاب الله في صلاته قائما يكتب له بكل حرف مئة حسنة، فإن قرأها في غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشرين، فإن استمع القرآن كان له بكل حرف حسنة، و إن ختم القرآن ليلا صلّت عليه الملائكة حتى يصبح، و إن ختمه نهارا صلّت عليه الحفظة حتى يمسي. و كانت له دعوة مستجابة و كان خيرا له ممّا بين السماء و الأرض»^{٣٨٠}.

ج- و عنه (عليه السّلام) في تفسير قوله تعالى: **تُبَدِّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ** يعني بها «أرض لم تكتسب عليها الذنوب، بارزة ليست عليها جبال و لا نبات كما دحاها أوّل مرة»^{٣٨١}.

د- و سأله رجل عن معنى (كهيعص) فقال له: لو فسّرتها لك لمشيت على الماء^{٣٨٢}.

^{٣٧٨} (١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: 803- 806 عن إقبال الأعمال: 339.

^{٣٧٩} (١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: 551 عن جامع الأخبار: 48.

^{٣٨٠} (٢) المصدر السابق: 551، عن الكافي: 2/ 611، الحديث 3.

^{٣٨١} (٣) المصدر السابق: 560 عن تفسير البرهان: 2/ 323.

ه- وقال النصر بن مالک له: يا أبا عبد الله حدثني عن قول الله عزّ وجلّ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**، قال: «نحن و بنو امية اختصمنا في الله عزّ وجلّ، قلنا صدق الله، وقالوا: كذب الله، فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة»^{٣٨٣}.

و- وفي قوله تعالى: **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ** قال (عليه السلام): «هذه فيل أهل البيت»^{٣٨٤}.

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٥٥١ عن جامع الأخبار: ٤٨.

(٢) المصدر السابق: ٥٥١، عن الكافي: ٦١١ / ٢، الحديث ٣.

(٣) المصدر السابق: ٥٦٠ عن تفسير البرهان: ٣٢٣ / ٢.

(٤) المصدر السابق: ٥٦١ عن ينابيع المودة: ٤٨٤.

(٥) المصدر السابق: ٥٦٣ عن حياة الحسين: ٢٣٤ / ٢.

(٦) المصدر السابق: ٥٦٤ عن بحار الأنوار: ٢٤ / ١٦٦.

ص: ٢١٨

ز- في قوله تعالى: **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** قال (عليه السلام):

«أنّ القرابة التي أمر الله بصلتها وعظم حقّها وجعل الخير فيها قرابتنا أهل البيت الذين أوجب حقّنا على كلّ مسلم»^{٣٨٥}.

ح- وفسّر النعمة في قوله تعالى: **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** «بما أنعم الله على النبيّ (صلّى الله عليه و اله) من دينه»^{٣٨٦}.

ط- وفسّر الصمد بقوله: **إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَسَّرَهُ** بقوله: **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**^{٣٨٧}.

ي- وقال: «الصمد: الذي لا جوف له، والصمد: الذي قد انتهى سؤدده، والصمد:

الذي لا يأكل ولا يشرب. والصمد: الذي لا ينام، والصمد: الدائم الذي لم يزل ولا يزال»^{٣٨٨}.

^{٣٨٢} (٤) المصدر السابق: 561 عن ينابيع المودة: 484.

^{٣٨٣} (٥) المصدر السابق: 563 عن حياة الحسين: 234 / 2.

^{٣٨٤} (٦) المصدر السابق: 564 عن بحار الأنوار: 166 / 24.

^{٣٨٥} (١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: 565 عن بحار الأنوار: 251 / 23 الحديث 37.

^{٣٨٦} (٢) المصدر السابق: 567 عن المحاسن: 344 / 1 الحديث 11.

^{٣٨٧} (٣) المصدر السابق: 568 عن التوحيد: 90 الحديث 5 ثم نقل تفسيرها بشكل تفصيلي فراجع

^{٣٨٨} (٤) المصدر السابق: 569 عن معادن الحكمة: 51 / 2.

ك- و روى أن عبد الرحمن السلمى علم ولد الحسين (عليه السلام) سورة الحمد، فلمّا قرأها على أبيه أعطاه (عليه السلام) ألف دينار و ألف حلّة و حشا فاه درّا، فقليل له فى ذلك، فقال (عليه السلام): و أين يقع هذا من عطائه؟ يعنى بذلك تعليمه القرآن^{٣٨٩}.

فى رحاب السنّة النبويّة المباركة:

لقد عاصر الحسين جدّه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و عاش فى كنف الوحي و الرسالة و ارتضع من ثدى الإيمان، فحمل هموم الرسالة الخاتمة كامّه و أبيه و أخيه، و علم أن سنّة الرسول و سيرته هى المصدر الثانى للإشعاع الرسالى،

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٥٦٥ عن بحار الأنوار: ٢٣ / ٢٥١ الحديث ٣٧.

(٢) المصدر السابق: ٥٦٧ عن المحاسن: ١ / ٣٤٤ الحديث ١١.

(٣) المصدر السابق: ٥٦٨ عن التوحيد: ٩٠ الحديث ٥ ثم نقل تفسيرها بشكل تفصيلي فراجع.

(٤) المصدر السابق: ٥٦٩ عن معادن الحكمة: ٢ / ٥١.

(٥) المصدر السابق: ٨٢٧ عن بحار الأنوار: ٤٤ / ١٩١.

ص: ٢١٩

و أيقن بضرورة الاهتمام بهما و ضرورة الوقوف أمام مؤامرات التحريف و التضيق، و منع التدوين التى تزعمها جملة من كبار الصحابة و كيف و اجهوا جدّه بكل صلف، حذرا من انكشاف الحقائق التى تحول دون وصولهم للسلطة أو تعكّر عليهم صفوها.

و من هنا نجد الحسين (عليه السلام) يقف بكل شجاعة أمام هذا التآمر على الدين، و يضحى بأغلى ما لديه من أجل إحياء شريعة جدّه سيد المرسلين، محققا شهادة جدّه الخالدة فى حقّه: «حسين منى و أنا من حسين»، «ألا و إن الحسين مصباح الهدى و سفينة النجاة».

و هكذا نجد فى تراثه الرائع اعتناءه البليغ بنقل السيرة النبويّة الشريفة، و التحديث بسنّته و العمل بها و إحيائها، و لو بلغ مستوى الثورة على من يتسلّح بها لمسخها و تشويهها.

قال صلوات الله عليه:

١- «كان رسول الله (صلّى الله عليه و اله) أحسن ما خلق اللّٰه خلقا»^{٣٩٠}.

^{٣٨٩} (٥) المصدر السابق: 827 عن بحار الأنوار: 44 / 191.
^{٣٩٠} (1) موسوعة كلمات الإمام الحسين: 571، عن كنز العمال: 7 / 217.

٢- و روى الحسين (عليه السلام) - كأخيه الحسن و صفا دقيقا للرسول (صلى الله عليه و اله) و هديه فى سيرته مع نفسه و أهل بيته و أصحابه و مجلسه و جلسائه، أخذه من أبيهما على (عليه السلام) و هو الذى رباه الرسول (صلى الله عليه و اله) منذ نعومة أظفاره حتى التحاقه بالرفيق الأعلى . و نشير إلى مقطع من هذه السيرة . قال الحسين (عليه السلام) فسألته عن سكوت رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فقال:

«كان سكوته على أربع: على الحلم و الحذر و التقدير و التفكير . فأما التقدير ففى تسوية النظر و الاستماع بين الناس، و أما تفكره ففيما يبقى أو يفنى . و جمع له الحلم فى

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٥٧١، عن كنز العمال: ٢١٧ / ٧.

ص: ٢٢٠

الصبر، فكان لا يغضبه شيء و لا يستفزّه، و جمع له الحذر فى أربع : أخذه بالحسن ليقتدى به، و تركه القبيح لينتهى عنه، و اجتهاده الرأى فى صلاح أمته، و القيام فى ما جمع له من خير الدنيا و الآخرة»^{٣٩١}.

٣- و روى أيضا أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أصبح و هو مهموم، ف قيل له: ما لك يا رسول الله؟ فقال: «إنى رأيت فى المنام كأن بنى امية يتعاورون منبرى هذا».

فقيل: يا رسول الله! لا تهتم فإنها دنيا تنالهم، فأنزل الله: **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ ...**^{٣٩٢}.

٤- و روى أيضا أن النبى (صلى الله عليه و اله) كان إذا أكل طعاما يقول: «اللهم بارك لنا فيه، و ارزقنا خيرا منه»، و إذا أكل لبنا أو شربه يقول: «اللهم بارك لنا فيه و ارزقنا منه»^{٣٩٣}.

و كان يرفع يديه إذا ابتهل و دعا يفصل بينهما كما يستطعم المسكين^{٣٩٤}.

٥- و سئل عن الأذان و ما يقول الناس فيه، قال : «الوحى ينزل على نبيكم، و تزعمون أنه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد؟! بل سمعت أبى على بن أبى طالب (عليه السلام) يقول: أهبط الله عز و جل ملكا حين عرج برسول الله (صلى الله عليه و اله) فأذن مثنى مثنى، و أقام مثنى مثنى، ثم قال له جبرئيل: يا محمد هكذا أذان الصلاة»^{٣٩٥}.

٦- و روى أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعث مع على (عليه السلام) ثلاثين فرسا فى غزاة السلاسل فقال: «يا على أتلو عليك آية فى نفقة الخيل»: **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ**

^{٣٩١} (١) موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): 571- 575 عن مجمع الزوائد: 274 / 8 و معاني الأخبار: 79.

^{٣٩٢} (٢) المصدر السابق: 575 عن الغدير: 248 / 8.

^{٣٩٣} (٣) المصدر السابق: 578 عن عيون أخبار الرضا: 42 / 2.

^{٣٩٤} (٤) المصدر السابق: عن بحار الأنوار: 287 / 16.

^{٣٩٥} (٥) المصدر السابق: 683 عن مستدرك الوسائل: 17 / 4.

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): ٥٧١ - ٥٧٥ عن مجمع الزوائد: ٨ / ٢٧٤ و معاني الأخبار: ٧٩.

(٢) المصدر السابق: ٥٧٥ عن الغدير: ٨ / ٢٤٨.

(٣) المصدر السابق: ٥٧٨ عن عيون أخبار الرضا: ٢ / ٤٢.

(٤) المصدر السابق: عن بحار الأنوار: ١٦ / ٢٨٧.

(٥) المصدر السابق: ٦٨٣ عن مستدرک الوسائل: ٤ / ١٧.

ص: ٢٢١

وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَا عَلَى هِيَ النَفَقَةُ عَلَى الْخَيْلِ يَنْفِقُ الرَّجُلُ سِرًّا وَعَلَانِيَةً»^{٣٩٦}.

و قد نقل (عليه السلام) حوادث عصر الرسول (صلى الله عليه و اله) ممّا رآه مباشرة أو سمعه عن امّه أو أبيه و هما المعصومان من الزلل و المعتمدان فى النقل^{٣٩٧}.

فى رحاب أهل البيت (عليهم السلام):

لقد دلّ حديث الثقلين - المتواتر و المقبول لدى عامة المسلمين - على أن خلود الاسلام رهن الأخذ بركنين متلازمين و هما: القرآن الكريم و عتره النبى المختار صلوات الله عليهم أجمعين فإنهما لن يفترقا حتى يردا الحوض على النبى (صلى الله عليه و اله). فلا بد للمسلمين من التمسك بهما ليصونوا أنفسهم عن الضلال فى كل عصر و زمان .

و من هنا جهد أعداء الاسلام القدامى على التفريق بين هذين الركنين؛ تارة بدعوى تحريف القرآن لفظاً أو معنى، و اخرى بالمنع عن تفسيره أو تطبيقه، و ثالثة بانتقاص العترة، و رابعة بعزلهم عن ممارسة دورهم السياسى و الاجتماعى الثقيفى، و خامسة بطرح البديل عنهم و رفع شعار الاستغناء عنهم و عن علمهم و درايتهم.

و الأئمة المعصومون المأمونون - على سلامة الرسالة الاسلامية بنص من الوحي الإلهى - كنفوا جهودهم و ركزوا جهادهم على صيانة هذين الأساسيين من أيدي العابثين و ان كلفهم ذلك أنفسهم و أموالهم، بل كل ما يملكون تقديمه فداء للرسالة المحمّدية.

و نشير إلى جملة من النصوص الماثورة عن الحسين بن على (عليهما السلام)

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): ٧١٠ عن مستدرک الوسائل: ٨ / ٢٠٣.

^{٣٩٦} (١) موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): 710 عن مستدرک الوسائل: 8 / 203.
^{٣٩٧} (2) راجع موسوعة كلمات الإمام الحسين و تتبع ما نقله عن رسول الله صلى الله عليه و اله).

(٢) راجع موسوعة كلمات الإمام الحسين و تتبع ما نقله عن رسول الله (صلى الله عليه و اله).

ص: ٢٢٢

في هذا الصدد:

١- لما قضى رسول الله (صلى الله عليه و اله) مناسكه من حجة الوداع ركب راحلته و أنشأ يقول: «لا يدخل الجنة إلّا من كان مسلماً. فقام إليه أبو ذرّ الغفاري (رحمه الله) فقال: يا رسول الله: و ما الإسلام؟ فقال (صلى الله عليه و اله): الإسلام عريان و لباسه التقوى و زينته الحياء و ملاكه الورع، و كماله الدين، و ثمرته العمل، و لكلّ شىء أساس و أساس الإسلام حبنا أهل البيت»^{٣٩٨}.

٢- و جاء عنه (عليه السلام) أبق قال: «من أحبنا كان منا أهل البيت». و استدللّ على ذلك بقوله تعالى تقريراً لقول العبد الصالح: «فمن تبعني فإنه مني»^{٣٩٩}.

و واضح أنّ من أحبهم فسوف يتبعهم و من تبعهم كان منهم.

٣- و قال (عليه السلام): «أحبونا حبّ الإسلام فإنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: لا ترفعوني فوق حقّي؛ فإنّ الله تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني رسولا»^{٤٠٠}.

٤- و قال (عليه السلام): «ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (صلى الله عليه و اله) إلّا ببغضهم عليّاً و ولده (عليهم السلام)»^{٤٠١}.

٥- و روى أنّ المنذر بن الجارود مرّ با لحسين (عليه السلام) فقال: كيف أصبحت جعلني الله فداك - يا ابن رسول الله؟ فقال (عليه السلام): «أصبحت العرب تعتدّ على العجم بأنّ محمداً منها، و أصبحت العجم مكرّة لها بذلك، و أصبحنا و أصبحت قريش يعرفون فضلنا و لا يرون ذلك لنا، و من البلاء على هذه الامة أنّ إذا دعونا لم يجيبونا و إذا تركناهم لم يهتدوا بغيرنا»^{٤٠٢}.

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٥٨٢ عن أمالي الطوسي: ٨٢ / ١.

(٢) المصدر السابق: ٥٨٢ عن نزهة الناظر و تنبيه الخاطر: ٨٥.

(٣) المصدر السابق: عن مجمع الزوائد: ٢١ / ٩.

^{٣٩٨} (١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: 582 عن أمالي الطوسي: 82 / 1.

^{٣٩٩} (٢) المصدر السابق: 582 عن نزهة الناظر و تنبيه الخاطر: 85.

^{٤٠٠} (٣) المصدر السابق: عن مجمع الزوائد: 21 / 9.

^{٤٠١} (٤) المصدر السابق: 585 عن عيون أخبار الرضا (عليه السلام): 72 / 2.

^{٤٠٢} (٥) المصدر السابق: 586 عن نزهة الناظر: 85.

(٤) المصدر السابق: ٥٨٥ عن عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٧٢ / ٢.

(٥) المصدر السابق: ٥٨٦ عن نزهة الناظر: ٨٥.

ص: ٢٢٣

بشائر الحسين (عليه السلام) بالمهدي (عليه السلام) و دولته:

تراكمت البشائر النبوية حول غيبة الإمام المهدي المنتظر و ظهوره و خصائص دولته و أوصافه و نسبه الشريف، كما توضح الصحاح و المسانيد هذه الحقيقة في أبواب الملاحم و الفتن و أشراف الساعة و غيرها.

و اعتنى الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) بهذه القضية اعتناء لا يقل عن عناية الرسول الخاتم (صلى الله عليه و اله) و استمرارا للخط الذي اختطه و المنهج الذي سلكه في التمهيد لدولة الحق التي تتكفل تحقيق آمال الأنبياء و الأوصياء جميعا و على مدى التاريخ.

و قد كثرت النصوص الواصلة إلينا عن أبي الأئمة التسعة من ولد الحسين (عليه السلام). فروى عن جدّه رسول الله (صلى الله عليه و اله) و عن أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) مجموعة فريدة من التصريحات المهمة بشأن المهدي (عليه السلام) نختار نماذج منها:

١- قال (عليه السلام): دخلت على جدّي رسول الله (صلى الله عليه و اله) فأجلسني على فخذه و قال لي: إنّ الله اختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة تاسعهم قائمهم، و كلّهم في الفضل و المنزلة عند الله سواء^{٤٠٣}.

٢- و سأله شعيب بن أبي حمزة قائلا: أنت صاحب هذا الأمر؟ فأجابه:

لا، فقال له: فمن هو؟ فأجاب (عليه السلام): «الذي يملؤها عدلا كما ملئت جورا، على فترة من الأئمة تأتي، كما أنّ رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعث على فترة من الرسل»^{٤٠٤}.

٣- و قال (عليه السلام): لصاحب هذا الأمر غيبتان إحداهما تطول حتى يقول بعضهم:

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٦٥٩ عن ينابيع المودة: ٥٩٠.

(٢) المصدر السابق: ٦٦٠ عن عقد الدرر: ١٥٨.

ص: ٢٢٤

مات و بعضهم: قتل، و بعضهم: ذهب، و لا يطّلع على موضعه أحد من وليّ و لا غيره إلّا المولى الذي يلي أمره^{٤٠٥}.

^{٤٠٣} (١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: 659 عن ينابيع المودة: 590.

^{٤٠٤} (٢) المصدر السابق: 660 عن عقد الدرر: 158.

- ٤- وقال (عليه السلام): لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدى فيملأها عدلا و قسطا كما ملئت جورا و ظلما، كذلك سمعت رسول الله (صلى الله عليه و اله) يقول^{٤٠٦}:
- ٥- وقال (عليه السلام): للمهدي خمس علامات: السفيناني و اليماني و الصيحة من السماء و الخسف بالبيداء و قتل النفس الزكية^{٤٠٧}.
- ٦- وقال (عليه السلام) أيضا: «لو قام المهدي لأنكره الناس؛ لأنّه يرجع إليهم شابّا موفّقا، و إنّ من أعظم البليّة أن يخرج إليهم صاحبهم شابّا و هم يحسبونه شيخا كبيرا»^{٤٠٨}.
- ٧- وقال (عليه السلام): «في التاسع من ولدى سنّة من يوسف و سنّة من موسى بن عمران (عليه السلام) و هو قائمنا أهل البيت، يصلح الله تبارك و تعالى أمره في ليلة واحدة»^{٤٠٩}.
- ٨- وقال (عليه السلام): «إذا خرج المهدي (عليه السلام) لم يكن بينه و بين العرب و قريش إلّا السيف، و ما يستعجلون بخروج المهدي؟ و الله ما لباسه إلّا الغليظ و لا طعامه إلّا الشعير، و ما هو إلّا السيف، و الموت تحت ظلّ السيف»^{٤١٠}.

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: عن عقد الدرر: ١٣٤.

(٢) المصدر السابق: ٦٦١ عن كمال الدين: ٣١٧.

(٣) المصدر السابق: ٦٦٢ عن عقد الدرر: ١١١.

(٤) المصدر السابق: ٦٦٥ عن عقد الدرر: ٤١.

(٥) المصدر السابق عن كمال الدين: ٣١٧.

(٦) المصدر السابق: ٦٦٣ عن عقد الدرر: ٢٢٨.

ص: ٢٢٥

في رحاب العقيدة و الكلام:

و نختار من هذه البحوث نماذج ممّا وصلنا عن أبي الشهداء الحسين بن عليّ (عليهما السلام).

^{٤٠٥} (١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: عن عقد الدرر: 134.

^{٤٠٦} (٢) المصدر السابق: 661 عن كمال الدين: 317.

^{٤٠٧} (٣) المصدر السابق: 662 عن عقد الدرر: 111.

^{٤٠٨} (٤) المصدر السابق: 665 عن عقد الدرر: 41.

^{٤٠٩} (٥) المصدر السابق عن كمال الدين: 317.

^{٤١٠} (٦) المصدر السابق: 663 عن عقد الدرر: 228.

١- و مما قاله عن توحيد الله سبحانه : «... و لا يقدّر الواصفون كنه عظمته، و لا يخطر على القلوب مبلغ جبروته؛ لأنه ليس له فى الأشياء عدل، و لا تدركه العلماء بألبابها و لا أهل التفكير بتفكيرهم إلّا بالتحقيق إيقانا بالغيب؛ لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين و هو الواحد الصمد، ما تصوّر فى الأوهام فهو خلافه ... يوجد المفقود و يفقد الموجود، و لا تجتمع لغيره الصفتان فى وقت، يصيب الفكر منه الإيمان به موجودا، و وجود الإيمان لا وجود صفة، به توصف الصفات لا بها يوصف، و به تعرف المعارف لا بها يعرف، فذلك الله، لا سمى له، سبحانه ليس كمثله شيء، و هو السميع البصير^{٤١١}.

و مما قاله أيضا لابن الأزرق : أصف إلهى بما وصف به نفسه و أعرفه بما عرف به نفسه، «لا يدرك بالحواس و لا يقاس بالناس، فهو قريب غير ملتصق، و بعيد غير متقصّ (تقص) يوحد و لا يبعّض، معروف بالآيات موصوف بالعلامات، لا إله إلّا هو الكبير المتعال»^{٤١٢}.

٢- و خرج على أصحابه فقال : «أيّها الناس! إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا لعبادته عن عبادة ما سواه . ثم سأله رجل عن معرفة الله فقال : معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذى يجب عليهم طاعته»^{٤١٣}.

٣- و تكلم عن ملاك التكليف قائلا: «ما أخذ الله طاقة أحد إلّا وضع عنه

(١) موسوعة كلمة الإمام الحسين: ٥٣٠ عن تحف العقول: ١٧٣.

(٢) المصدر السابق: ٥٣٣ عن التوحيد: ٧٩.

(٣) المصدر السابق: ٥٤٠ عن علل الشرايع: ٩.

ص: ٢٢٤

طاعته، و لا أخذ قدرته إلّا وضع عنه كلفته»^{٤١٤}.

٤- و كتب للحسن بن أبى الحسن البصرى جوابا عن سؤاله حول القدر : «إنّه من لم يؤمن بالقدر خيره و شرّه فقد كفر، و من حمل المعاصى على الله عز و جل فقد افترى على الله افتراء عظيما، إنّ الله تبارك و تعالى لا يطاع بإكراه و لا يعصى بغلبة و لا يهمل العباد فى الهلكة، لكنّه المالك لما ملّكهم، و القادر لما عليه أقدرهم، فإن ائتمروا بالطاعة؛ لم يكن الله صادّا عنها مبطّنا، و إن ائتمروا بالمعصية فشاء أن يمن عليهم فيحول بينهم و بين ما ائتمروا به فعل، و إن لم يفعل فليس هو حملهم عليها قسرا و لا كلّفهم جبرا، بل بتمكينه إيّاهم بعد إعداره و إنذاره لهم و احتجاجه عليهم طوّقهم و مكّتهم و جعل لهم السبيل إلى أخذ ما إليه دعاهم و ترك ما عنه نهاهم ...»^{٤١٥}.

^{٤١١} (١) موسوعة كلمة الإمام الحسين: 530 عن تحف العقول: 173.

^{٤١٢} (٢) المصدر السابق: 533 عن التوحيد: 79.

^{٤١٣} (٣) المصدر السابق: 540 عن علل الشرايع: 9.

^{٤١٤} (١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: 542 عن تحف العقول: 175.

^{٤١٥} (٢) المصدر السابق: 540- 541 عن معادن الحكمة: 45/2.

٥- واشتملت أدعيته (عليه السلام) على درر باهرة في التوحيد و المعرفة و الهداية الإلهية و لا سيما دعاء العشرات المروى عنه^{٤١٦}، و دعاء عرفة الذي عرف به؛ لما يسطع به من معارف زاخرة و علوم جمّة، بل هو دورة عقائدية كاملة . و إليك مطلعه:

«الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع و لا لعطائه مانع و لا كصنعه صنع صانع، و هو الجواد الواسع، فطر أجناس البدائع و أتقن بحكمته الصنائع، لا تخفى عليه الطلائع و لا تضيع عنده الودائع، أتى بالكتاب الجامع و (بشرع الإسلام) النور الساطع و هو للخليقة صانع و هو المسحون على الفجائع...»^{٤١٧}.

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٥٤٢ عن تحف العقول: ١٧٥.

(٢) المصدر السابق: ٥٤٠-٥٤١ عن معادن الحكمة: ٢/ ٤٥.

(٣) البلد الأمين للكفعمي: ٢٤.

(٤) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٧٩٣-٨٠٦ عن إقبال الأعمال: ٣٣٩.

ص: ٢٢٧

في رحاب الأخلاق و التربية الروحية:

١- سئل عن خير الدنيا و الآخرة فكتب (عليه السلام): بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد: فإنه من طلب رضى الله بسخط الناس كفاه الله امور الناس، و من طلب رضى الناس بسخط الله و كله الله إلى الناس. و السلام^{٤١٨}.

٢- بيّن (عليه السلام) أقسام العبادة و درجات العباد قائلا: إنّ قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، و إنّ قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، و إنّ قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار، و هي أفضل العبادة^{٤١٩}.

٣- قال (عليه السلام) عن آثار العبادة الحقيقية: «من عبد الله حقّ عبادته آتاه الله فوق أمانيه و كفايته»^{٤٢٠}.

٤- سئل عن معنى الأدب فقال: «هو أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلّا رأيت له الفضل عليك»^{٤٢١}.

٥- قال الإمام الحسين (عليه السلام): «مالك إن يكن لك كنت له فلا تبغ عليه؛ فإنه لا يبقى على ك، و كله قبل أن يأكل»^{٤٢٢}.

^{٤١٦} (٣) البلد الأمين للكفعمي: 24.

^{٤١٧} (٤) موسوعة كلمات الإمام الحسين: 793-806 عن إقبال الأعمال: 339.

^{٤١٨} (١) أمالي الصدوق: 167.

^{٤١٩} (٢) تحف العقول: 175.

^{٤٢٠} (٣) بحار الأنوار: 184 / 71.

^{٤٢١} (٤) ديوان الإمام الحسين: 199.

^{٤٢٢} (٥) بحار الأنوار: 357 / 71.

١- كتب اليه رجل: عظمى بحرفين فكتب إليه: «من حاول أمرا بمعصية الله

(١) أمالي الصدوق: ١٦٧.

(٢) تحف العقول: ١٧٥.

(٣) بحار الأنوار: ١٨٤ / ٧١.

(٤) ديوان الإمام الحسين: ١٩٩.

(٥) بحار الأنوار: ٣٥٧ / ٧١.

ص: ٢٢٨

تعالى كان أفوت لما يرجو وأسرع لمجىء ما يحذر»^{٤٢٣}.

٢- و جاءه رجل فقال له: أنا رجل عاص ولا أصبر عن المعصية فعظمى بموعظة فقال (عليه السلام): «إفعل خمسة أشياء و اذنب ما شئت، فأول ذلك: لا تأكل رزق الله و اذنب ما شئت، و الثاني: اخرج من ولاية الله و اذنب ما شئت. و الثالث: اطلب موضعا لا يراك الله و اذنب ما شئت. و الرابع: إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك و اذنب ما شئت، و الخامس: إذا أدخلك مالك النار فلا تدخل في النار و اذنب ما شئت»^{٤٢٤}.

٣- و مما جاء عنه (عليه السلام) في الموعظة: يا ابن آدم! تفكر و قل: أين ملوك الدنيا و أربابها؟ الذين عمّروا و احتفروا أنهارها و غرسوا أشجارها و مدّنوا مدائنها، فارقوها و هم كارهون و ورثها قوم آخرون، و نحن بهم عمّا قليل لا حقون. يا ابن آدم! اذكر مصرعك، و في قبرك مضجعك و موقفك بين يدي الله تشهد جوارحك عليك يوم تزلّ فيه الأقدام و تبلغ القلوب الحناجر و تبيضّ وجوه و تسودّ وجوه و تبدو السرائر، و يوضع الميزان القسط.

يا ابن آدم! اذكر مصارع آبائك و أبنائك كيف كانوا و حيث حلّوا و كأنّك عن قليل قد حللت محلّهم و صرت عبرة للمعتبر»^{٤٢٥}.

٤- و خطب (عليه السلام) فقال: يا أيّها الناس! نافسوا في المكارم، و سارعوا في المغانم، و لا تحتسبوا بمعروف لم تعجلّوا، و اكسبوا الحمد بالنجح، و لا تكتسبوا بالمطل ذمّا، فمهما يكن لأحد عند أحد صنيعه له رأى أنّه لا يقوم بشكرها؛ فالله له بمكافاته فإنّه أجزل عطاء و أعظم أجر.

^{٤٢٣} (١) الكافي: 373 / 2.

^{٤٢٤} (٢) بحار الأنوار: 126 / 78.

^{٤٢٥} (٣) إرشاد القلوب: 29 / 1.

و اعلموا أن حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم، فلا تملّوا النعم فتحوّر نقماً^{٢٦}.

(١) الكافي: ٢ / ٣٧٣.

(٢) بحار الأنوار: ٧٨ / ١٢٦.

(٣) إرشاد القلوب: ١ / ٢٩.

(٤) كشف الغمة: ٢ / ٢٩.

ص: ٢٢٩

في رحاب الفقه و الأحكام الشرعية:

لقد أثبت أهل البيت المعصومون جدارتهم للمرجعية الدينية بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) في المجالين العلمي و السياسيّ معا.

و قد عمل خطّ الخلافة بشكل مدروس على حذف هذا الخطّ النبوي و عزله عن الساحة السياسية و الاجتماعية، و خطّط أهل البيت (عليهم السّلام) لمواجهة هذه المؤامرة، كما عرفت.

غير أن البعد العلمي قد برز و طغى على البعد السياسي حتى اتّهم أهل البيت (عليهم السّلام) باعتزالهم الساحة السياسية بعد الحسين (عليه السّلام) و لكن العجز العلمي للخطّ الحاكم بالرغم من كل ما اوتى من إمكانيات ماديّة و بشريّة هو الذي قد بان على مدى التاريخ، و تميّزت مرجعية الأئمة الأطهار على من سواها من المرجعيات السائدة آنذاك . و كانت حاجة الامة الاسلامية إلى تفاصيل الأحكام الشرعية نظرا للمستجدات المستمرة هي السبب الآخر في ظهور علم أهل البيت (عليهم السّلام) و فضلهم و كمالهم.

و ما سجّلته كتب التاريخ من حقائق لا تخفى على اللبيب مثل حقيقة عدم عجزهم أمام الأسئلة المثارة، و عدم اكتسابهم العلم من أحد من أهل الفضل سوى الرسول (صلى الله عليه و اله) و أهل بيته المعصومين (عليهم السّلام) لدليل واضح على تميّزهم عمّن سواهم.

و هنا نختار نماذج مما يرتبط بالفقه بمعناه المصطلح بمقدار ما يسمح به المجال.

١- ممّا يرتبط بباب الصلاة، ذكر الإمام محمد الباقر (عليه السّلام) جواز الصلاة بثوب واحد مستشهداً بأنه قد حدّثه من رأى الحسين بن عليّ (عليهما السّلام)

ص: ٣٢٠

و هو يصلي في ثوب واحد و حدثه أنه رأى رسول الله (صلى الله عليه و اله) يصلي في ثوب واحد^{٤٢٧}.

٢- و جاء أن الأئمة (عليهم السلام) كانوا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم فيما يجهر فيه بالقراءة من الصلوات في أول فاتحة الكتاب و أول السورة في كل ركعة . و جاء عن الحسين (عليه السلام) قوله: اجتمعنا ولد فاطمة (عليها السلام) على ذلك^{٤٢٨}.

٣- و كان الحسين بن عليّ (عليهما السلام) يصلي فمرّ بين يديه رجل، فنهاه بعض جلسائه، فلما انصرف من صلاته قال له: لم نهيت الرجل؟ فقال: يا ابن رسول الله! خطر فيما بينك و بين المحراب، فقال (عليه السلام): ويحك إن الله عزّ و جلّ أقرب إلّى من أن يخطر فيما بيني و بين أحد^{٤٢٩}.

٤- و كان الحسين (عليه السلام) جالسا فمرتّ عليه جنازة فقام الناس حين طلعت الجنازة، و هنا أوضح الإمام (عليه السلام) للناس ما تصوّروه خطأ من أن القيام عند مرور الجنازة من السنّة باعتبار ما سمعوه من قيام رسول الله عند مرور الجنازة. فقال الحسين بن عليّ (عليهما السلام): مرّت جنازة يهوديّ فكان رسول الله (صلى الله عليه و اله) على طريقها جالسا فكره أن تعلق رأسه جنازة يهوديّ فقام لذلك^{٤٣٠}.

و قد أحصى مؤلف موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) ما يقارب من مائتين و خمسين رواية في الأحكام الشرعية وردت عن الإمام الحسين (عليه السلام) في مختلف أبواب الفقه الاسلامي.

(١) دعائم الاسلام: ١ / ١٧٥.

(٢) مستدرک الوسائل: ٤ / ١٨٩.

(٣) وسائل الشيعة: ٣ / ٤٣٤ الحديث ٤.

(٤) الكافي: ٣ / ١٩٢.

ص: ٢٣١

على أن سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) مثل سيرة سائر الأئمة الأطهار تعتبر مصدرا من مصادر استلهام الاحكام الشرعية لتنظيم السلوك الفردي و الاجتماعي للانسان المسلم و للمجتمع الاسلامي.

في رحاب أدعية الإمام الحسين (عليه السلام):

لقد تميّز تراث أهل البيت (عليهم السلام) بظاهرة الدعاء تميّزا فريدا في جانبي الكمّ و الكيف معا.

^{٤٢٧} (١) دعائم الاسلام: 1 / 175.

^{٤٢٨} (٢) مستدرک الوسائل: 4 / 189.

^{٤٢٩} (٣) وسائل الشيعة: 3 / 434 الحديث 4.

^{٤٣٠} (٤) الكافي: 3 / 192.

فالاهتمام بالدعاء فى جميع الحالات و الظروف التى يمرّ بها الانسان فى الحياة كما قال تعالى : **قُلْ مَا يَعْْبُؤُكُمْ رَبِّى لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ**^{٤٣١} هو المظهر الذى ميّز سلوك أهل البيت عمّن سواهم، و على ذلك ساروا فى تربيتهم لشيعتهم .

و المسلمون بشكل عام يلمسون هذه الظاهرة بوضوح فى موسم الحج و غيره من مواسم العبادة عند أتباع أهل البيت (عليهم السّلام) و شيعتهم.

و تفرّدت أدعية أهل البيت (عليهم السّلام) فى المحتوى و المقاصد و المعانى التى اشتملت عليها أدعيتهم؛ فإنّها تفصح بوضوح عن البون الشاسع بينهم و بين غيرهم فأين الثرى و أين الثريّا؟

و تدلّنا بعض النصوص المأثورة عن الإمام الحسين (عليه السّلام) على سر هذا الاهتمام البليغ منهم بالدعاء.

١- قال (عليه السّلام): أعجز الناس من عجز عن الدعاء، و أبخل الناس من بخل بالسّلام^{٤٣٢}.

٢- و جاء عنه أنه كان يدعو فى قنوت الوتر بالدعاء الذى علّمه

(١) الفرقان (٢٥): ٧٧.

(٢) بحار الأنوار: ٩٣ / ٢٩٤.

ص: ٢٣٢

رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و هو: اللهم إنك ترى و لا ترى و أنت بالمنظر الأ على و إن اليك الرجعى و إن لك الآخرة و الاولى، اللهم إنّنا نعوذ بك من أن نذلّ و نخزى^{٤٣٣}.

٣- من الأدعية القصيرة المأثورة عنه قوله (عليه السّلام): «اللهم لا تستدرجنى بالإحسان و لا تؤدّبنى بالبلاء»^{٤٣٤}.

و قال فى معنى الاستدراج: الاستدراج من الله لعبده أن يسبغ عليه النعم و يسلبه الشكر^{٤٣٥}.

٤- و من أدعيته فى قنوته : «اللهم من آوى إلى مأوى فأنت مأوى، و من لجأ الى ملجأ فأنت ملجأ اللهم صلّ على محمّد و آل محمّد واسمع ندائى و أجب دعائى و اجعل مأبى عندك و مثواى، و احرسنى فى بلواى من افئتان الامتحان و لمة الشيطان بعظمتك التى لا يشوبها ولع نفس بتفتين، و لا وارد طيف بتظنين و لا يلمّ بها فرج حتى تقلبنى اليك بإرادتك غير ظنين و لا مظنون و لا مراب و لا مراتب، إنّك أنت أرحم الراحمين»^{٤٣٦}.

^{٤٣١} (١) الفرقان (25): 77.

^{٤٣٢} (2) بحار الأنوار: 93 / 294.

^{٤٣٣} (1) كنز العمال: 82 / 8، و مسند الإمام أحمد: 1 / 201.

^{٤٣٤} (2) بحار الأنوار: 78 / 128.

^{٤٣٥} (3) تحف العقول: 175.

^{٤٣٦} (4) نهج الدعوات: 49.

٥- و له دعاء آخر كان يدعو به في قنوته هو: «اللهم منك البدء و لك المشيئة و لك الحول و لك القوة، و أنت الله الذي لا إله إلا أنت جعلت قلوب أوليائك مسكنا لمشيئتك و مكنا لإرادتك، و جعلت عقولهم مناصب أوامرك و نواهيك فأنت إذا شئت ما نشاء حرّكت من أسرارهم كوامن ما أبطنت فيهم، و أبدأت من إرادتك على ألسنتهم ما أفهمتهم به عنك في عقودهم بعقول تدعوك و تدعو اليك بحقائق ما منحتهم به، و إنني لأعلم ممّا علّمتني ممّا أنت المشكور على ما منه أريتني و إليه آويتني».

٦- و له دعاء يسمّى ب (العشرات).

(١) كنز العمال: ٨ / ٨٢، و مسند الإمام أحمد: ١ / ٢٠١.

(٢) بحار الأنوار: ٧٨ / ١٢٨.

(٣) تحف العقول: ١٧٥.

(٤) نهج الدعوات: ٤٩.

ص: ٢٣٣

٧- و له دعاء كان يدعو به حين كان يمسك الركن اليماني و يناجي ربّه هو: إلهي أنعمتني فلم تجدني شاكرًا و أبليتني فلم تجدني صابرا، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر، و لا أدمت الشدة بترك الصبر إلهي ما يكون من الكريم إلّا الكرم^{٤٣٧}.

٨- و روى أن شريحا دخل مسجد الرسول (صلى الله عليه و اله) فوجد الحسين (عليه السلام) في المسجد ساجدا يعفّر خدّه على التراب و هو يقول: «سيّدى و مولاي المقامع الحديد خلقت أعضائي؟ أم لشرب الحميم خلقت أمعائي؟ إلهي لئن طالبتني بذنوبي لاطالبنك بكرمك، و لئن حبستني مع الخاطئين لأخبرنهم بحبّي لك، سيّدى ! انّ طاعتي لا تنفعك، و معصيتي لا تضرّك، فهب لي ما لا ينفعك و اغفر لي ما لا يضرّك فإنك أرحم الراحمين»^{٤٣٨}.

٩- و كان من دعائه إذا دخل المقابر : اللهم ربّ هذه الأرواح الفانيّة و الأجساد الباليّة، و العظام النخرة التي خرجت من الدنيا و هي بك مؤمنة أدخل عليهم روحا منك و سلاما منّي، و قال (عليه السلام): إذا دعا أحد بهذا الدعاء كتب الله له بعدد الخلق من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات^{٤٣٩}.

١٠- و من دعائه في الصباح و المساء قوله : «بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله و بالله و من الله و إلى الله و في سبيل الله و على ملّة رسول الله و توكّلت على الله و لا حول و لا قوة إلّا بالله العليّ العظيم . اللهم إنني أسلمت نفسي إليك و وجّهت وجهي إليك و فوّضت أمرى إليك، إياك أسأل العافية من كل سوء في الدنيا و الآخرة، اللهم إنك تكفيني من كلّ

^{٤٣٧} (١) إحقاق الحق: 11 / 595.

^{٤٣٨} (٢) المصدر السابق: 11 / 424.

^{٤٣٩} (٣) مستدرک الوسائل: 2 / 373 الحديث 2323.

أحد و لا يكفيني أحد منك فاكفني من كل أحد ما أخاف و أحذر، و اجعل لي من أمرى فرجا و مخرجا إنك تعلم و لا أعلم و تقدر، و لا أقدر، و أنت على كل شيء قدير برحمتك

(١) إحقاق الحق: ٥٩٥ / ١١.

(٢) المصدر السابق: ٤٢٤ / ١١.

(٣) مستدرک الوسائل: ٣٧٣ / ٢ الحديث ٢٣٢٣.

ص: ٢٣٤

يا أرحم الراحمين»^{٤٤٠}.

و أمّا دعاء عرفة المروى عن الإمام الحسين (عليه السلام) فهو من غرر الأدعية المطوّلة و التي تستدرّ الرحمة الإلهية بما تملّيه على الإنسان من أسباب الإنابة و التوبة و شموخ المعرفة، و قد أشرنا الى مقاطع منه في بحوث سابقة.

و إليك مقطعا آخر من هذا الدعاء:

«الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا فيكون موروثا، و لم يكن له شريك فى الملك فيضاده فيما ابتدع، و لا ولى من الذلّ فيرفده فيما صنع، سبحانه سبحانه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا و تفطرتا، فسبحان الله الواحد الحقّ الأحد الصمد الذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد، الحمد لله حمدا يعدل حمد ملائكته المقربين، و أنبيائه المرسلين، و صلّى الله على خيرته من خلقه محمّد خاتم النبيين و آله الطاهرين المخلصين، اللهم اجعلنى أخشاك كأنّى أراك، و أسعدنى بتقواك، و لا تشقنى بمعصيتك، و خزلنى فى قضائك، و بارك لى فى قدرك حتّى لا احبّ تعجيل ما أخرت، و لا تأخير ما عجّلت»^{٤٤١}.

فى رحاب أدب الإمام الحسين (عليه السلام):

لا ريب فى أن الإمام الحسين (عليه السلام) يعدّ امتدادا لجده و أبيه و أخيه من حيث المعرفة و من حيث الاقتدار الفنى فى التعبير.

و قد جاء على لسان خصومهم «أنهم أهل بيت قد زوّوا العلم زقا»، و «أنها السنة بنى هاشم التى تفلق الصخر و تغرف من البحر»^{٤٤٢}.

و علّق عمر بن سعد يوم عاشوراء على خطبة للإمام الحسين (عليه السلام): «إنّه

^{٤٤٠} (١) مهج الدعوات: 157.

^{٤٤١} (٢) بحار الأنوار: 218 / 98 - 219.

^{٤٤٢} (٣) المجالس السنية: 21، 28، 30.

(١) مهج الدعوات: ١٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ٩٨/٢١٨ - ٢١٩.

(٣) المجالس السنية: ٢١، ٢٨، ٣٠.

ص: ٢٣٥

ابن أبيه، و لو وقف فيكم هكذا يوما جديدا، لما انقطع و لما انقطع و لما حصر»^{٤٢٣}.

و قال أصحاب المقاتل عن كلماته و خطبه في كربلاء و يوم عاشوراء أنه لم يسمع متكلم قط قبله و لا بعده أبلغ في منطقه من الحسين (عليه السلام)^{٤٢٤}.

و بالرغم من قصر المدّة الزمنية لإمامته و عدم إتاحة الفرصة السياسيّة التي تفرض صياغة الخطب عادةً بخاصّة أنّه (عليه السلام) التزم بالهدنة التي عقدها أخوه (عليه السلام) في زمن معاوية، فقد اثر عنه (عليه السلام) في ميدان الخطبة و غيرها أكثر من نموذج فضلا عن أنّه (عليه السلام) في زمن أبيه (عليه السلام) قد ساهم في خطب المشاورة و الحرب^{٤٢٥}، و حشد فيها كل السمات الفنيّة التي تتناسب و الغرض الذي استهدف توصيله الى الجمهور^{٤٢٦}.

و أمّا خطب المعركة التي خاضها في الطف أو كربلاء، حيث فجّرت هذه المناسبة عشرات الخطب منذ بدايتها إلى نهايتها، فقد تنوّعت صياغة و مضمونا، و تضمّنت التذكير بكتبهم التي أرسلوها إليه و بطاعة الله و بنصرته و بالتخلي عن قتاله . و ممّا جاء في أحدها: «تبّا لكم أيّها الجماعة و ترحا، أحيين استصرختمونا و الهين، فأصرخناكم موجفين مؤدّين مستعدين سللتم علينا سيفا لنا في أيما نكم و حششتم علينا نارا قد حناها على عدوكم و عدونا فأصبحتم إلينا على أوليائكم و يدا عليهم لأعدائكم بغير عدل أفشوه فيكم و لا أمل أصبح لكم فيهم إلّا الحرام من الدنيا أنالوكم و خسيس عيش طمعتم فيه...».

و احتشدت هذه الخطبة بعناصر الفن المتنوعة بالإضافة الى عنصري المحاكمة و العاطفة . و بمقدور المتذوّق الفني الصرف أن يلاحظ ما تتضمنه من

(١ و ٢) المجالس السنية: ٢١، ٢٨، ٣٠.

(٣) راجع حياة الإمام الحسين في عهد أبيه، في هذا الكتاب .

(٤) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٣٠٧ - ٣١١.

^{٤٢٣} (١ و ٢) المجالس السنية: ٢١، ٢٨، ٣٠.

^{٤٢٤} (١ و ٢) المجالس السنية: ٢١، ٢٨، ٣٠.

^{٤٢٥} (٣) راجع حياة الإمام الحسين في عهد أبيه، في هذا الكتاب

^{٤٢٦} (٤) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٣٠٧ - ٣١١.

دهشة فنية مثيرة كل الإثارة^{٤٤٧}.

و الأشكال الأدبية الأخرى التي طرقها أدب الإمام الحسين (عليه السلام) هي الرسائل و الخواطر و المقالة و الأدعية و الشعر^{٤٤٨} و الحديث الفني.

و نشير الى نموذجين من شعره بما يتناسب مع المجال هنا:

- ١ -

تبارك ذو العلا و الكبرياء	تفرّد بالجلال و بالبقاء
و سوى الموت بين الخلق طراً	و كلّهم رهائن للفناء
و دنيانا- و إن ملنا اليها	و طال بها المتاع- الى انقضاء
ألا إن الركون على غرور	الى دار الفناء من الفناء
و قاطنها سريع الظعن عنها	و إن كان الحريص على الثواء ^{٤٤٩}

- ٢ -

اغن عن المخلوق بالخالق	تغن عن الكاذب و الصادق
و استرزق الرحمن من فضله	فليس غير الله من رازق
من ظنّ أن الناس يغنونه	فليس بالرحمن بالوائق
أو ظنّ أن المال من كسبه	زلّت به النعلان من حلق ^{٤٥٠}

و الحمد لله ربّ العالمين

^{٤٤٧} (١) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي 311- 303.
^{٤٤٨} (٢) للاطلاع التفصيلي على خصائص كل شكل في أدب الحسين (عليه السلام) راجع تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي للدكتور محمود البستاني.
^{٤٤٩} (٣) عن ديوان الإمام الحسين: 4 / 115.
^{٤٥٠} (٤) عن البداية و النهاية: 8 / 228.

(١) تاريخ الأدب العربى فى ضوء المنهج الإسلامى: ٣١١-٣٠٣.

(٢) للاطلاع التصيلى على خصائص كل شكل فى أدب الحسين (عليه السلام) راجع تاريخ الأدب العربى فى ضوء المنهج الإسلامى للدكتور محمود البستاني.

(٣) عن ديوان الإمام الحسين: ١١٥ / ٤.

(٤) عن البداية و النهاية: ٢٢٨ / ٨.

ص: ٢٣٧

الفهرس التصيلى

فهرس إجمالى ٥

مقدمة المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام ٧

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام الحسين الشهيد عليه السلام فى سطور ١٧

الفصل الثانى: انطباعات عن شخصية الإمام الحسين عليه السلام ٢٥

١- مكانة الإمام الحسين عليه السلام فى آيات الذكر الحكيم ٢٥

٢- مكانة الإمام الحسين عليه السلام لدى خاتم المرسلين صلى الله عليه و اله ٢٨

٣- مكانة الإمام الحسين عليه السلام لدى معاصريه ٢٩

٤- الإمام الحسين عليه السلام عبر القرون و الأجيال ٣٣

الفصل الثالث: مظاهر من شخصية الإمام الحسين عليه السلام ٣٧ ١- تواضعه عليه السلام ٣٨

٢- حلمه و عفوه عليه السلام ٣٨

٣- جوده و كرمه عليه السلام ٣٩

٤- شجاعته عليه السلام ٤١

٥- إباؤه عليه السّلام ٤٢

٦- الصراحة و الجرأة فى الإصحاح بالحق ٤٤

٧- عبادته و تقواه عليه السّلام ٤٥

صور من عبادته عليه السّلام ٤٦

ص: ٢٣٨

الباب الثانى:

الفصل الأوّل: نشأه الإمام الحسين عليه السّلام ٥١

تاريخ الولادة ٥١

رؤيا ام أيمن ٥١

الوليد المبارك ٥٢

اهتمام النبى صلى الله عليه و اله بالحسين عليه السّلام ٥٣

كنيته عليه السّلام و ألقابه ٥٥

الفصل الثّانى: مراحل حياة الإمام الحسين عليه السّلام ٥٧

الفصل الثّالث: الإمام الحسين عليه السّلام من الولادة الى الإمامة ٥٩

الإمام الحسين عليه السّلام فى عهد الرسول صلى الله عليه و اله ٥٩

ميراث النبى صلى الله عليه و اله لسبطيه عليهما السّلام ٦٢

وصية النبى صلى الله عليه و اله بالسبطين عليهما السّلام ٦٢

لوعة النبى صلى الله عليه و اله على الحسين عليه السّلام ٦٢

الإمام الحسين عليه السّلام فى عهد الخلفاء ٦٤

الحسين عليه السّلام فى عهد أبى بكر ٦٤

لوعة شهادة الزهراء عليها السلام ٦٤

الحسين عليه السلام فى عهد عمر بن الخطاب ٦٧

الحسين عليه السلام فى عهد عثمان ٦٨

موقف مع أبى ذر الغفارى ٧٠

الحسين عليه السلام فى عهد الدولة العلوية ٧٢

مع أبيه عليه السلام فى إصلاح الأمة ٧٣

حرص الإمام على عليه السلام على سلامة الحسين عليهما السلام ٧٤

ص: ٢٣٩

وصايا أمير المؤمنين للإمام الحسين عليهما السلام ٧٥

الإمام الحسين مع أبيه عليه السلام فى لحظاته الأخيرة ٧٩

الحسين عليه السلام فى عهد أخيه الحسن المجتبى عليه السلام ٨٠

حالة الأمة قبل الصلح مع معاوية ٨٠

احترام الإمام الحسين عليه السلام لبنود صلح الإمام الحسن عليه السلام ٨٥

رسالة جعدة بن هبيرة الى الإمام الحسين عليه السلام ٨٥

استشهاد الإمام الحسن عليه السلام ٨٦

الباب الثالث:

الفصل الأول: عصر الإمام الحسين عليه السلام ٩١

البحث الأول: حكومة معاوية و دورها فى تشويه الاسلام ٩١

منهج معاوية لمحاربة الاسلام ٩٢

١- سياسته الاقتصادية ٩٣

أ- الحرمان الاقتصادي ٩٣

ب- استخدام المال لتثبيت ملكه ٩٤

ج- شراء الذمم ٩٥

د- ضريبة النيروز ٩٥

٢- سياسة التفرقة ٩٦

أ- اضطهاد الموالي ٩٦

ب- العصبية القبلية ٩٦

٣- سياسة البطش و الجبروت ٩٧

٤- الخلاعة و المجون و الاستخفاف بالقيم الدينية ٩٧

٥- اظهار الحق على النبي صلى الله عليه و اله و العدا لأهل بيته عليهم السلام ٩٨

ص: ٢٤٠

٦- العنف مع شيعة أهل البيت عليهم السلام ١٠٠

٧- فرض البيعة بالقوة ليزيد الفاجر ١٠١

البحث الثاني: من هو يزيد بن معاوية؟ ١٠٢

ولادة يزيد و نشأته و صفاته ١٠٣

ولع يزيد بالصيد و شغفه بالقروود ١٠٤

إدمانه على الخمر ١٠٥

إلحاد يزيد و حقه على رسول الله صلى الله عليه و اله ١٠٧

جرائم حكم يزيد ١٠٨

السّر الكامن من وراء نزعات يزيد الشريرة ١٠٩

الفصل الثاني: مواقف الإمام الحسين عليه السّلام و إنجازاته ١١١

البحث الأول: موقفه عليه السّلام من البيعة ليزيد ١١١

١- دعوة انتهازية و خطة شيطانية ١١١

٢- أساليب معاوية لإعلان بيعه يزيد ١١٤

٣- محاولات الإمام الحسين عليه السّلام لإيقاظ الامة ١١٥

مواجهة معاوية و بيعه يزيد ١١٦

محاولة جمع كلمة الامة و الاستجابة لحركة الجماهير ١١٨

فضح جرائم معاوية ١١٨

استعادة حق مضيع ١٢٠

تذكير الامة بمسؤوليتها ١٢٢

موت معاوية ١٢٥

البحث الثاني: حكومة يزيد و نهضة الإمام الحسين عليه السّلام ١٢٦

بدايات النهضة ١٢٦

رسالة يزيد الى حاكم المدينة ١٢٦

ص: ٢٤١

الوليد يستشير مروان بن الحكم ١٢٧

الإمام عليه السّلام في مجلس الوليد ١٢٨^{٤٥١}

الإمام عليه السّلام مع مروان ١٣٠

^{٤٥١} گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق.

حركة الامام عليه السلام ١٣٠

وصايا الإمام عليه السلام ١٣٢

توجه الإمام عليه السلام إلى مكة ١٣٤

البحث الثالث: أسباب و دوافع الثورة ١٣٥

١- فساد الحاكم و انحراف جهاز الحكومة ١٣٦

٢- مسؤولية الإمام عليه السلام تجاه الأمة ١٣٧

٣- الاستجابة لرأى الجماهير الثائرة ١٣٨

٤- محاولة إرغامه عليه السلام على الذل و المساومة ١٣٨

٥- نوايا الغدر الاموى و التخطيط لقتل الحسين عليه السلام ١٣٩

٦- انتشار الظلم و فقدان الأمن ١٤٠

٧- تشويه القيم الإسلامية و محو ذكر أهل البيت عليهم السلام ١٤١

٨- الاستجابة لأمر الله و رسوله صلى الله عليه و اله ١٤١

أهداف منظورة فى ثورة الإمام الحسين عليه السلام ١٤٢

١- تجسيد الموقف الشرعى تجاه الحاكم الظالم ١٤٣

٢- فضح بنى امية و كشف حقيقتهم ١٤٣

٣- إحياء السنة و إماتة البدعة ١٤٤

٤- الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ١٤٥

٥- إيقاظ الضمائر و تحريك العواطف ١٤٦

لماذا لم ينهض الإمام الحسين عليه السلام بالثورة فى حكم معاوية؟ ١٤٧

١- حالة الأمة الإسلامية ١٤٧

٢- شخصية معاوية و سلوكه المتلون ١٤٨

٣- احترام صلح الإمام الحسن عليه السلام ١٥٠

المواقف من ثورة الحسين عليه السلام قبل انطلاقها ١٥١

البحث الرابع: توجه الإمام الحسين (عليه السلام) الى مكة ١٥٣

رسائل أهل الكوفة إلى الإمام عليه السلام ١٥٣

جواب الإمام (عليه السلام) على رسائل الكوفيين ١٥٥

تحرك مسلم بن عقيل نحو الكوفة ١٥٦

رسالة مسلم بن عقيل الى الإمام الحسين عليه السلام ١٥٧

رسالة الإمام (عليه السلام) الى زعماء البصرة ١٥٨

جواب الأحنف بن قيس ١٥٩

جواب يزيد بن مسعود النهشلي ١٥٩

موقف و الى الكوفة ١٦١

أنصار الامويين يتداركون امورهم ١٦٢

قلق يزيد و استشارة السيرجون ١٦٣

توجه عبيد الله بن زياد الى الكوفة ١٦٤

محاولات ابن زياد للسيطرة على الكوفة ١٦٥

موقف مسلم بن عقيل من اغتيال ابن زياد ١٦٦

الغدر بمسلم بن عقيل (رضي الله عنه) ١٦٧

البحث الخامس: حركة الإمام الحسين عليه السلام الى العراق ١٧٠

لماذا اختار الإمام الحسين عليه السّلام الهجرة الى العراق؟ ١٧٠

تصريحات الإمام عليه السّلام عند وداعه مكة ١٧٣

ص: ٢٤٣

خلاصة الثورة في رسالة ١٧٥

ملاحقة السلطة للإمام عليه السّلام ١٧٦

كتاب الإمام عليه السّلام لأهل الكوفة ١٧٧

إجراءات الامويين ١٧٨

اعتقال الصيداوى و قتله ١٧٨

مع زهير بن القين ١٧٩

أنباء الانتكاسة تتوارد على الإمام عليه السّلام ١٨٠

لقاء الإمام الحسين عليه السّلام بالحرّ بن يزيد الرياحى ١٨١

النزول في أرض الميعاد ١٨٣

جيش الكوفة ينطلق بقيادة عمر بن سعد ١٨٥

البحث السادس: ماذا جرى في كربلاء؟ ١٨٧

ليلة عاشوراء ١٨٧

يوم عاشوراء ١٩١

خطاب الإمام عليه السّلام في جيش الكوفة ١٩١

الحرّ يخير نفسه بين الجنة و النار ١٩٣

المعركة الخالدة ١٩٣

استشهاد الإمام الحسين عليه السّلام ٢٠٠

الحسين عليه السّلام وحيدا في الميدان ٢٠١

امتداد الحمرة في السماء ٢٠٣

حرق الخيام و سلب حرائر النبوة ٢٠٤

الخيّل تدوس الجثمان الطاهر ٢٠٤

ص: ٢٤٤

عقيلة بنى هاشم أمام الجثمان العظيم ٢٠٥

الفصل الثالث: نتائج الثورة الحسينية ٢٠٧

١- فضح الامويين و تحطيم الإطار الديني ٢٠٧

٢- إحياء الرسالة الإسلامية ٢٠٩

٣- الشعور بالإثم و شيوخ النقمة على الامويين ٢١٠

٤- إحياء إرادة الأمة و روح الجهاد فيها ٢١١

الفصل الرابع: من تراث الإمام الحسين عليه السّلام ٢١٣

في رحاب العقل و العلم و المعرفة ٢١٤

في رحاب القرآن الكريم ٢١٦

في رحاب السنة النبوية المباركة ٢١٨

في رحاب أهل البيت عليهم السّلام ٢٢١

بشائر الحسين عليه السّلام بالمهدي عليه السّلام و دولته ٢٢٣

في رحاب العقيدة و الكلام ٢٢٥

في رحاب الأخلاق و التربية الروحية ٢٢٧

في رحاب مواعظه الجليلة ٢٢٧

فى رحاب الفقه و الأحكام الشرعية ٢٢٩

فى رحاب أدعية الإمام الحسين عليه السلام ٢٣١

فى رحاب أدب الإمام الحسين عليه السلام ٢٣٤

الفهرس التفصلى ٢٣٧^{٤٥٢}

ص: ٢٤٥